سلسلة حقائق وأكاذيب في حياة المرأة المسلمة

٢

المرأة

في التصور الإسلامي

تأليف

الزهراء

فاطمة بنت عبد الله

دار ابن القيم

المكتبة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة للمكتب الإسلامية

الطبعة الأولى ١٤١١هـ

المكتب الإسلامية

هاتف ٨٤٢٨٨٧ - ص.ب ١١٣ الجبيهة - عمان - الأردن

دار ابن القيم للنشر والتوزيع

هاتف : ٨٢٦٨٣٤٣ - ص.ب : ١٨٦٥ - الدمام - رمز بريدي : ٣١٩٨٢ - الدمام - جنوب الاستاد الرياضي - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقـدمـة

الحمدُ لله الذي كرَّم المرأةَ، فشَرَع لها من الدِّين ما يَصُونُ عِفَّتَها، ويَكفُلُ لها كرامتَها، ويُوَفِّيها حقوقها، وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ الذي بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونَصَح للأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، حتى أتاه اليقين، وسلِّم عليه وعلى آله وصحبِه، ومَنِ اهتدى بهَدْيِه إلى يوم الدِّين.

أما بعدُ: فإن كتابي هذا يقدِّمُ نفسَه بنفسِه إلى كل مسلمة تَبْحَثُ عن الحقيقة الضائعةِ وسَطَ رُكَام الزَّيْف، وفي زمن زُيِّفت فيه الحقائق، واختلَّتْ فيه المفاهيم، وأصبح الحليمُ فيه حَيْرانَ، وانتشرتِ الفتنُ كقِطَعِ الليل المظلم.

وإن من كُبْريات الفتن: فتنةُ «المُوضَة» التي بلَغت من الخطورة شأناً لا يمكنُ تجاهُلُه، شأنُها في ذلك شأن التبرُّجِ، وتحلُّل المرأة المسلمة، وتسهيل اختلاطها بالرجال للقضاء على حصانةِ المجتمع الإسلامي، وتدميرِه تدميراً شاملاً.. فالمرأةُ هي أساس المجتمع، وإذا انْهَار الأساسُ تهدَّم البُنْيان!.

والمُوضَةُ أمـر مخطط له من قِبَل «حركة الصهيونية العالمية»، فهي اليدُ التي تُنَفِّذُه لتحطيمِ البناء الإسلامي والدِّيني عُموماً، ما عدا الديانةِ اليهوديةِ، وذلك من جِهَتَيْن: إحداهما ماديَّةٌ، والأخرى معنَويَّة.

وسنُوضِحُ هاتين الحقيقتين في مَعرِض بحثنا هذا، مع بيان أثر الموضَة على الأسرة والمجتمع، وحُكمَ الإسلام فيهما.

وقد يظُنُّ البعضُ ـ أثناءَ مطالَعة بَحْثي هذا ـ أنني أخلِطُ ما بينَ الموضةِ والتبرُّجِ والاختلاط، ولكن الحقيقةَ أن هذه الأمورَ تُعتَبرُ عِدَّةَ أوجهٍ لعُمْلَةٍ

واحدةٍ.. فاتِّباع الموضة تبرُّجٌ، وما تَرتَدِيه المتبرجاتُ عموماً يَخضَعُ لخطوط الموضة.. والموضةُ والتبرُّجُ يؤدِّيانِ إلى الاختلاطِ بطبيعتِهما... وهكذا.

وإنَّني أسألُ اللّهَ العَلِيَّ القدير أن يَحْظَى كتابي هذا بالقَبُولِ لَدى المسلمين، وأن يأخُذُوا بنصيحتي، ويتنبَّهوا إلى حقيقة المؤامَرات الإجراميَّة التي تستَهدِفُ سَحْقَ الإسلام والمسلمين! كما أسألُه تعالى أن يَهْدِيَ وُلاَةَ أمورِنا لما فيه صلاحُ حالنا.. فإنهم عنا مسؤُولون.. فأين أنتم أيُّها القائمون على رعايةِ مصالح المسلمين من تلك الكتب الجِنسيَّةِ المكشوفةِ، والمجلاَّت التي تخصَّصَتْ في نَشْر صُور المتبرِّجات بل العاريات، والإعلانات الوَقِحة غيرِ المبالية، والأفلام والمسَلسَلات التي تَدْعو إلى الفِسْقِ والفجور، والأغاني الماجِنَة الفاجرة.. مما يُذْكي الشهوات البَهيميَّة، ويَنشُر الموبِقات، ويُميتُ القلوبَ عن الحق!!.

أينَ أنتم من أصحاب الأفكار المضلِّلة، التي تَبُثُّ المبادىء الهدَّامة، وتحاربُ التعاليم السماويَّةَ، والقِيَمَ الروحية، وتَدْعُو إلى الإلحاد.. متَّخِذةً من الكتب والصحافة وسائر وسائل الإعلام، وسيلةً لبَثِّ السُّموم.. بل أين أنتم من المؤتَمرات التي تُعقَدُ في ديار المسلمين، وتقودُها شخصيَّاتٌ محسوبة على الإسلام، وهَمُّها هو تدميرُ الإسـلام!.

حتى إن إبليس اللعينَ لَيَتضاءَلُ أمامَ عُنْفُوانِهم التضليلي، ويترُكُ الساحة أمامَ مخطَّطِهم الإجرامي.. فقد وَجَدَ من يقومُ مَقامَه، ويؤدِّي رسالته بصورة أشد ضرراً وضراوة، وأكثر فسقاً وإفساداً، ممن يقولُ لسانُ حالهم:

وكنتُ امْرَءاً من جُنْدِ إبليسَ فَارْتَقَى ... بِيَ الدَّهرُ حتى صارَ إبليسُ مِن جُنْدِي
فلَوْ مات قبلي كنتُ أُحسِن بعدَه ... طرائِقَ فِسقٍ ليس يُحسِنُها بَعْدِي

«يقولُ الله تعالى ـ مُحذِّراً من هؤلاء الفسقةِ الظَّلَمة ـ: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [سورة هود: ١١٣].

والرُّكونُ إلى الشيء: السكونُ والميلُ إليه بالمحبَّةِ. ومن ثَمَّ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في الآية: لا تَمِيلُوا إليهم كلَّ الميلِ في المحبة، ولينِ الكلام والمودَّةِ.

وقال السُّدِّيُّ وابنُ زيد: لا تُداهِنُوهم.

وقال عكرمة: لا تُطِيعُوهم وتَوَدُّوهم.

وقال أبو العالية: لا تَرضَوْا بأعمالهم. والظاهر أنَّ ذلك كلَّه مُرادٌ من الآية»[1].

ويقولُ الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [سورة النور: ١٩].

وعن ابنِ عُمَرَ رضيَ الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كُلُّكم راعٍ، وكلُّكُم مسؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ ومسؤُولٌ عن رعيَّتِهِ...» متفق عليه[2].

وعن معقِل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مِنْ عبدٍ يَستَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ اللَّهُ عليه الجنَّةَ».

وفي رواية: «فلم يُحِطْها بنُصْحِهِ، لم يَجِدْ رائحةَ الجنة» متفق عليه[3].

وفي رواية لمسلم: «ما مِن أميرٍ يَلِي أمورَ المسلمين ثم لا يَجْهَدُ لهم، ويَنْصَحُ لهم، إلَّا لم يَدْخُلْ مَعَهُم الجنةَ»[4].

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» ج ٢ ص ١١٦، لابن حجر الهيتمي.

(٢)، (٣)، (٤) «رياض الصالحين» للنووي ص ٢٥٩، من باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم، والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم.

إننا نَستَصْرِخُ حكامَ المسلمين وِقايَتَهم مما يُدَبَّرُ لهم بأيدي بعض أهل الأدب والفنِّ والصحافة والإعلام، لنَشْرِ الأوبئة والجراثيم الفَتَّاكة، والإرهاب الفكري المدمِّر.. تحتَ ستارِ حرية الفكر والنَّشْرِ، التي تحوَّلَت في الحقيقة إلى هَمَجِيَّةٍ وفَوْضى. وكَيْدٍ وتخريبٍ.. وأصبحَ هَمُّها القضاءَ على الإسلام وقِيَمِهِ النَّبيلة.

ولَيْتَ الأمرَ اقتَصَر على أعداء الإسلام في الخارج، ممن نَعرِفُ نواياهمُ، ولا نَلتَفِتُ لأقوالِهم الصادرةِ عن نفوسٍ مَوْتُورة حاقدة، بل إن الأمرَ تجاوز حدَّه بظُهور أدباءَ ونُقَّادٍ وعلماءَ هم صنيعةُ أعداءِ الإسلام، يَخْدُمُون أفكارَهم، ويُرَوِّجون لمبادئهم، وفي المقابل يُدْعَمُون مادياً ومعنوياً، فيُصبِحُونَ من كبار المشاهير بينَ يوم وليلةٍ، وتُغْدَقُ عليهم الجوائزُ العالمية والمحلِّيَّةُ والألقابُ العظيمة، مما يُفتَنُ به شبابُنا، فيعتَقِدُون أن هذه الشخصيات الهدَّامةَ هي شخصياتٌ مصلِحة بنَّاءَة، فتنقادُ إليهم عقولُ شبابنا، ويَقَعُونَ في المَصْيَدة التي أعدَّها لهم أعداءُ الله وأعداؤهم! فإذا ما هبَّ أحدُ الناصحين المخلِصِين، وتصدَّى للدفاع عن الحقِّ.. تكتَّل الباطلُ، وشَحَذَ مختلفَ وسائله لإطفاءِ نورِ الله ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٣٢].

إن مسؤوليةَ أولياء الأمرِ عظيمةٌ في تطهير المجتَمع الإسلامي من الجراثيم والأوبئة الفكرية والنفسية.. «فها هُو رسولُ الله ﷺ يَأْمُرُ بإخراج المخنَّثِينَ من البيوت.. فيُخرِجُ فلاناً وفلاناً من العبيد: «أَنْجَشة» حادِي إبلِ النساء خوفَ افتتانِهنَّ بصوتِهِ، والآخر الذي وَصَفَ ابنةَ غَيْلَانَ لأخي أمِّ سلَمة رضي الله عنها، ويَنْفِي ﷺ مخنَّثاً قد خَضَّب يدَيْه ورجْلَيْه بالحِنَّاء إلى النَّقِيع، وكذلك يأمُرُ النساء بالتأخر عن الرجال بعد انصرافِهِنَّ من الصلاة.. وها هو عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يَعُسُّ ليلاً، فيسمَعُ امرأةً تقول:

هَلْ مِن سَبيلٍ إلى خَمْرٍ فأَشْرَبَها ... أَمْ مِنْ سبيلٍ إلى نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ

فيستَدْعِيه عمرُ، ويأمُرُ بما يُصْلِحُهُ، ويَنفِيه إلى البصرة، ثم يُلحِقُ به ابنَ عمه أبا ذئبٍ لإعجاب النساء بحُسْنِهما، ويَجْلِدُ جَعْدَةَ السلمي لخروجه مع النساء والتحدُّثِ إليهن في طريق البَقيع.. وقيل: إنَّه نَفَاهُ خارجَ المدينةِ»[1].

وإذا اعتبَرْنا أن الشِّعْرَ كان عندَ العربِ أكبرَ وسيلةٍ إعلامية، فإننا نَتَبَّينُ دَوْرَ وليِّ الأمر في إسكات صَوْتِ الباطل الذي يَتَّخِذُ من وسائل الإعلام طريقاً للظُهورِ!.

«فها هُو كعبُ بن زُهَير في جاهليته يُرسِلُ إلى بُجَيرٍ ـ الذي أعلَنَ إسلامَه ـ الأبياتَ التالية:

أَلَا أَبْلِغا عني بُجَيراً رسالةً ... فَهَلْ لك فيما قلتَ بالخَيْفِ هَلْ لَكا

سُقِيتَ بكأسٍ عندَ آل محمَّدٍ ... فـأَنْهَلَك المأمونُ منها وعلَّكا

فخَالَفْتَ أسبابَ الهُدى وتَبِعْتَه ... على أيِّ شيءٍ وِيب غيرِك دلَّكا

فبَلَغَ رسولَ الله ﷺ شِعرُه هذا، فتوعَّدَه ونَذَرَ دَمَه.. فكَتَب بُجيرٌ إلى كعب يُخبِرُهُ ـ بأن رسول الله ﷺ قَتَل رجلاً ممن كان يَهْجُوه، وأنه لم يَبْقَ من الشعراء الذين كانوا يُؤذُونَه إلا ابن الزِّبَعْرَي السَّهمي وهُبيرة بن أبي وهب المخزومي، وقد هَرَبا منه، فإن كانت لك في نفسِك حاجةٌ فَاقْدَم عليه، فإنه لا يقتُلُ أحداً أتاه تائباً، وإنْ أنت لم تفعَلْ فَانْجُ بنفسِك.

فلما وَرَدَ عليه الكتابُ ضاقَتْ عليه الأرض برُحْبِها، وأُرْجَفَ به مَن كان بحضرتِه من عدوِّه، فقال قصيدتَه التي أوَّلُها:

بانَتْ سعادُ فقَلْبي اليَوْم مَتْبُولُ

وفيها قال:

نُبِّئتُ أنَّ رسولَ الله أَوْعَدَني ... والعَفْوُ عندَ رسول الله مَأْمُولُ

---

(١) «فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب»، حاشية ص ٣ من المقدمة.

ثم أتى رسولَ الله ﷺ، فوَضَع يدَه في يدِه، وأَنشَدَه شعرَه، فقَبِل توبته، وعفا عنه، وكَسَاه بُرْداً. . .»[1].

والأمثلة كثيرة. . وفيها الأُسوة الحَسَنَةُ لكلِّ صاحبِ سُلطة، ووليِّ أمر.

وحسبي أن أُنهِيَ قولي بتذكير نسائِنا بواجباتهن نحوَ مجتَمعاتِهنَّ الإسلامية. . إذ أنهن إما أن يكنَّ يداً للبِناء، أو مِعْوَلاً للهَدْمِ. . كما أُذَكِّرُ رجالَنا بواجباتهم تُجاهَ نسائهم، وذواتِ أرحامهم، من إلزامٍ باتِّباع منهاج الله، وتأديبِهن عند المخالفة. . . !!.

كما أذَكِّرُ عامَّةَ المؤمنين بأن الحلَّ الأمثل، والشفاءَ الأكيد من كلِّ داءٍ لَحِقَ بمجتمعاتنا الإسلامية، هو في العودة إلى كتاب الله وسُنَّةِ رسوله، ففيهما الوِقايَةُ من الضلالة إلى الأبد. . وفيهما صلاحُ البشرية؛ فاللَّهُ هو خالق الإنسان، وهو العليمُ بما يَصلُحُه.

وعلى كلٍّ منا أن يتحمَّلَ مسؤوليته في إعلاءِ كلمة الله، ولِيَعْلَمَ أنه على ثُغْرَةٍ من ثغور الإسلام، فَلْيَحْفَظْها أن لا يُؤتَى الإسلامُ من قِبَلِه، وليتَّقِ الله عز وجل فيما وُكِّلَ إليه حِفظُه.

كما أُشيرُ إلى وجوب الأمرِ بالمعروف والنَّهيِ عن المنكَر فيما بينَنا. . لأنَّ في هذا التذكير الدائمِ إصلاحاً لِلحَالِ، وكفّاً للأذَى حتى عن أنفسِنا. . لأن سُكوتَنا عن هذه الفضيلة العظيمة سيؤدِّي إلى استِفْحال الشَّرِّ، وغَلَبَةِ المنكرات حتى تَعُمَّ الجميعَ. . وما سوءُ الحال التي وَصَلْنا إليها، والتي جَعَلَتْنا أُلْعوبَةً بأيدي أعداءِ الله، إلا من تقاعُسِنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أقولُ قولي هذا وأَسْتَغفِرُ الله العليَّ العظيم عن تَقصيرِنا، وأعوذُ به من شُرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا. . مَن يَهْدِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ

---

(١) «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ج ١ ص ١٤١ ـ ١٤٢.

له. . فثَبِّتِ اللهمَّ يا مقلِّبَ القلوب قلوبَنا على دينِك، ووفِّقْنا لإعلاء كلمتِك، وأخسِىءِ اللهمَّ أعداءَنا، واخْتِم لنا بخاتمة الخير والسعادة، والفوزِ والفلاح، وتوفَّنا وأنت راضٍ عنا. . وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المـؤلفـة
الزهراء فاطمة بنت عبدالله

حقيقـةُ الموضـة

المُوضَة (وَيَنـطِقُها البعض: مُـودَهْ): هي كلمة أجنبيـة محرَّفَـةٌ أصلُها «Modish»، التي تعني: على الطِّراز الحديث، على آخر زِيٍّ، مُودَهْ.

كما يُعرَف المتَّبعُ لها باسم «Modist» أي: من أتباع الزي الحديث.

ويُعرَف مصمِّمُها أو مبتدِعُها باسم «Modeller».

كما يوصَف متَّبعُ الموضة بأنه «Modern» أي: عصري، جديد، رجل عصري(١).

والموضةُ ابتكار أجنبي مُستَحْدَثٌ، لم تَعرِفْه العربُ أو المسلمون في تاريخهم الطويل، حتى بُلِينا بتحلُّلِ غالبية النساء العربيات والمسلمات بصفةٍ عامَّة في عصرنا الحاضر، كما بُلينا باتِّباع غالبيتهن للموضَة بعد أن ضُلِّلت عقولُهنَّ بما يعنيه مدلولُ هذه الكلمة من معنىً جميلٍ في ظاهره، قبيحٍ في حقيقته؛ إذ أن الموضة لم تَنْشَأْ لتَجْعَل من متَّبِعها إنساناً عصرياً، بـل إنها وُضِعت في الحقيقة لتحطيمه من جهتين: إحداهما مادية، والأخرى معنوية!! وهذا ما سَنُوضِحُه فيما بعدُ...

أما لماذا وُصِف متَّبِعُها بأنه «إنسان عصري» أي: متحضِّرٌ ومتمدِّنٌ، فإن ذلك «من باب التَّزْيين الشيطاني، وتحويلِ دِلالات الألفاظ إلى الغاية التي

---

(١) عن «القاموس العصـري» إنجليزي ـ عـربي، لإلياس أنـطون إلياس وإدوارد إلياس، ط ١٣ ص ٤٥٤ (P.454).

تَخْدُمُ الأهداف الدَّنيئة، وتزيدُ من الخبائث، وتَخْلَعُ على المنكر ثوباً خدّاعاً ناعماً.. وليس ذلك بجديدٍ، فعلى سبيل المثال: سُمِّيَتِ الخمرةُ التي هي أمُّ الخبائث «مشروباً رُوحياً»، وسُمِّي الزنى الذي هو في حقيقتِه فاحشةٌ ومَقْتٌ وساء سبيلاً باسم «الحُبِّ»، وسُمِّيت الخلاعةُ والانحلال والفجور «فنّاً»!.. وهكذا.

مُسمَّياتٌ ناعمة كاذبة لأشياءَ خبيثةٍ مُنْكَرةٍ!.. تُغْري بالشر وتُزيِّنُ لاتِّباعِه.. مسمَّياتٌ من صُنْعِ شياطين الإنس لإغواء وإضلال بني آدم.. بل والأَدْهى من ذلك أنهم وَضَعُوا مُسمَّياتٍ حاقدةً، ضالَّةً مُضِلَّةً، للتَّنْفِير من الخير، وبَثِّ العُقَد النفسية في نفوس المسلمين، لِيَنْحَرِفُوا عن الصِّراط المستقيم، ويتَخَلَّوْا عن دينهم القَويم، لِتَذُوبَ شخصيَّتُهم الإسلامية، وتَنْمَحِيَ عِزَّتُهم الرُّوحية، ويَسهُلَ على أعدائهم القضاءُ عليهم! ومن ذلك:

تسميةُ البُعد عن منهاج الله: تقدُّمِيَّة!.

وتسميةُ اتِّباع منهاج الله: رَجْعِيَّة!.

وتسميةُ الدِّين: أَفْيُون الشعوب!.

وتسميةُ الملتزم بِشريعة الله، والمتمسِّكِ بها، والدَّاعي لها: متعصِّبٌ، أو طائفي، أو معقَّدٌ نفسياً، أو متطرِّفٌ، أو أُصولي... وغير ذلك.

وهكذا.. حتى يَنفُر الناس من كل خير، ويتَّبِعوا كلَّ شرٍّ، إلا مَنْ عَصَم اللَّهُ، ممَّنْ صَفَتْ قلوبُهم، واستيقَظَتْ عقولُهم، وسَمَت أرواحهم، فاعتَصَموا بحبل الله حتى حَفِظَهم، وصَرَفَ عنهم الغَوَايَةَ والضلال.. وقليل ما هم»[1].

وهكذا تَنْدَرِجُ الموضة وملحقاتُها في السِّجِلَّات الشيطانية، لتأخذَ اسماً

(١) «المتبرجات» للمؤلفة، ص ٣٠. بتصرف.

ناعماً كاذباً، يُغرِي بالشر، ويَحُثُّ عليه، تحت ستار التقدُّم والعصرية، واتّباع الجديد!.

والدليلُ على ذلك: قولُ حكماء صهيون في بُروتُوكولهم الثالث عشر: «... لا يوجدُ عقلٌ واحد بين الأُمَمِيِّين[1] يستطيعُ أن يلاحظ أنه في كلِّ حالةٍ وراءَ كلمة «التقدُّم» يَختَفي ضلال وزَيْغ عن الحق، ما عدا الحالاتِ التي تُشير فيها هذه الكلمة إلى كشوف مادية أو علمية، إذ ليس هناك إلا تعليم حق واحد، ولا مجالَ فيه من أجل «التقدم»، إن التقدُّمَ كفكرة زائفة يعملُ على تغطية الحق، حتى لا يَعرِفَ الحقَّ أحدٌ غيرنا نحن شعبَ الله المختار، الذي اصطفاه ليكون قِوَاماً على الحق»[2].

نشأةُ الموضة

الموضةُ أمر بالغ الخطورة، يَخضَعُ لمخطَّطٍ هدَّامٍ، يَهدِفُ إلى إفساد العالم، وإضلاله، وإخضاعِه لليهود قلباً وقالَباً.. وهذا المخطط من صُنع وتنفيذ حركة يهودية تُعرف باسم «الصهيونية العالمية».

ومن البَدِيهي أن نقوم بتعريفٍ مُوجَزٍ لهذه الحركة، حتى نبيِّنَ سِرَّ عَلاقَتِها بالموضة..

«الصهيونية العالمية: حركةٌ يهوديةٌ تدَّعي وتَزْعُم أنه يَجْمَعُها التوراة والدين اليهودي، كما تدَّعِي وتزعُم أيضاً أن اليهود أفضلُ الشعوب، وأنهم شعبُ الله المختار، الذي اختارَه الله لهدايته، واختَصَّه برحمته، وأنجاه من عذابه من دُونِ الشعوب.. وليس زَعمُهم هذا حديثاً، وإنما هو عَرِيقٌ في القِدَم، ولقد قَصَّ الله لنا في القرآن الكريم ادِّعاءاتِهم الباطلةَ هذه، وردَّ عليها»[3].

---

(١) الأمميون: أي جميع الأمم والشعوب، ما عدا الشعب اليهودي.

(٢) «الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون» ص ٢٢٣.

(٣) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: ١٨].

«واليهودُ يعتَقِدُون ـ حسب أقوالِ التوراة والتلمود ـ أن نفوسهم وحدَهم مخلوقةٌ من نفس الله، وأن عُنصُرَهم من عنصره، كما يَعتَقِدُون أن الله مَنَحَهم الصورة البشرية أصلاً، تكريماً لهم، على حينِ أنه خَلَقَ غيرَهم «الجُوييم» (ويُرادُ بها غير اليهود) من طِينةٍ شيطانية، أو حيوانيةٍ نَجِسَة، ولم يَخْلُقِ «الجوييم» إلا لخدمة اليهود، ولم يَمْنَحْهم الصورة البشرية إلا مُحَاكاةً لليهود، لِكَيْ يَسْهُلَ التعاملُ بين الطائفتين إكراماً لليهود، إذ أنه بغير هذا التَّشابُهِ الظاهري ـ مع اختلاف العُنْصُرَينِ ـ لا يُمكِنُ التفاهُمُ بين طائفةِ السادة المختارين وطائفةِ العبيد المحتَقَرين!.

كما يَعتَقِدُ اليهود أن خَيْراتِ الأرضِ والعالمِ أجمعَ مِنْحَةٌ لهم وحدَهم من الله، وأن غيرهم من «الأُمَمِيِّين» أو «الجُوييم» وكلَّ ما في أيديهم مِلكٌ لليهود، ومن حَقِّ اليهود، بل من واجبِهم المقدَّس معاملةُ الأُمَمِيِّين كالبهائم، وأن الآداب التي يتمسَّك بها اليهود لا يَجوزُ أن يَلْتَزِمُوها إلا في معاملة بعضِهم بعضاً، ولكن لا يجوزُ لهم، بل يَجِبُ عليهم وجوباً إهدارُها مع الأُمَمِيِّين (أي: جميع الأمم ما عدا اليهود)، فلهم أن يَسرِقُوهم ويَغُشُّوهم، ويَكذِبُوا عليهم، ويَخدَعُوهم، ويَغتَصِبُوا أموالهم، ويَهتِكوا أعراضهم، ويقتلوهم إذا أَمِنوا اكتشافَ جرائمهم، ويرتكبوا في معاملتهم كلَّ المُوبِقَات»(١).

والذي يَرْغَبُ في التأكد من معتَقَداتهم الإجرامية، فما عليه إلا أنْ

---

(١) «الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون» للتونسي، ص ٧١ ـ ٧٢ باختصار.

يُطالِعَ كتبهم المقدَّسة لديهم: كالعهد القديم، والتلمود، ويَتَتَبَّعَ أقوالَ زعمائهم، وقرارات أحبارهم.. ناهيك عن التوراة التي حرَّفوها لترسيخ المبادئ الخبيثة التي وَضَعُوها بأيديهم، وما أَنْزَلَ اللَّهُ بها من سُلْطان، وذلك لتُقَدَّسَ وتُحْتَرَمَ في نفوس اليهود جيلاً بعد جيلٍ، ويُعمَل بها وكأنها من عند الله ديناً مُنزلاً!.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [سورة الكهف: ٥].

«وبناءً على زَعْمِها الباطل، وادِّعائها الكاذب، قامَتْ حركة «الصهيونية العالمية» لتَربِطَ بين يهود العالم، وتجعلَ منهم شعباً له حقُّ السيطرة والاستعلاء على باقي الشعوب، وقد اتَّخَذَتْ في مخطَّطِها للسيطرة على تلك الشعوب وسائلَ عديدة ومتنوعة.. أهمُّها:

أ ـ التشكيكُ في المعتقدات.

ب ـ إفسادُ الأخلاق.

جـ ـ اسْتِنزافُ المال.

د ـ استعمال القوة»[1].

ولكي نَتفَهَّمَ كيف نَشَأَتِ الموضةُ في تُرْبَةِ الصهيونية العالمية، فإنه يتوجَّبُ علينا أن نُدْرِكَ أنها وَلِيدةُ الوسيلتين الصهيونيتين (ب، جـ) سالِفَتَيِ الذِّكْر، واللتان سنُوضِحُهما عند الحديث عن أهداف الموضة.

ولقد وَجَدَ الغربُ الصليبي الذي يَعتَنِقُ الرأسمالية، ويتَّفِقُ مع اليهود في مخطَّطاتهم الإجرامية ضدَّ الإسلام، أن المُوضَة فكرةٌ جَدِيرة بالاهتمام والتنفيذ.

وَانْطَلَتْ هذه الفكرةُ الهدَّامة على دُوَلِنا النامية، بل والمتخلِّفة،

(١) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ باختصار.

والمطحونة تحت رَحَى الفقر والجوع والجهل والمرض.. حيثُ كان تخلُّفُنا نتيجةً لبُعدِنا عن ديننا الحنيف، وتَوْلِيَةِ وجوهنا شَطْرَ كلِّ خبيث من المعتَقَدات الباطلة، والتعاليم الضارَّة، وتَعظيمِنا لكلِّ ما هو أجنبي.. مع التقليد الأعمى للأجانب في الباطل والقُشور!.

ولقد تَنبَّأَ رسولُ الله ﷺ بما سيَصْدُرُ عنا من تَبَعِيَّةٍ كاملة لليهود والنصارى، وفي ذلك إعجازٌ (لكونه ﷺ تنبَّأ بأمر غَيْبي قد تحقَّقَ وقوعُه في عصرنا الحاضر)!.

«عن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ على أُمَّتِي كما أَتَى على بني إسرائيل، حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ، حتى إنْ كان منهم مَنْ أتى أُمَّه عَلانِيةً، لَكان في أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذلك، وإنَّ بني إسرائيلَ تفَرَّقَتْ على اثنتَيْنِ وسَبْعينَ مِلَّةً، وتفرَّقَتْ أمتي على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً، كلُّهم في النار إلاَّ مِلَّةً واحدةً» قالوا: مَنْ هي يا رسولَ الله؟ قال: «ما أنا عَلَيْهِ وأَصْحابِي» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسَنٌ غريب لا يُعرَفُ إلا من هذا الوجه.

وروى أبو داود في «سننه» من حديث معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: أَلاَ إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألاَ إنَّ مَن قَبْلَكم مِن أهل الكتاب افْتَرَقُوا على اثْنَتَيْنِ وسبعينَ مِلَّةً، وإن هذه المِلَّةَ ستَفْتَرِقُ على ثلاثٍ وسبعينَ: إثنتان وسبعونَ في النار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعةُ، وإنه سيَخرُجُ من أمتي أقوامٌ تَجَارَى بهم تلك الأهواءُ كما يَتَجارى الكَلَبُ بصاحبه».

... تَجارى ـ بحذف إحدى التاءَيْن ـ أي: تدخُل وتَسْري.

تلك الأهواء: أي البدع.

والكَلَب ـ بفتح الكاف واللام ـ: داءٌ يَعرِضُ للإنسان من عضِّ الكَلْب الكَلِب، وهو داءٌ يُصيب الكلب فيصيبه شِبهُ جنون، فلا يَعَضُّ أحداً إلا كَلِب. نسأل الله السلامة»[1].

(١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي، ص ٧ ـ ٨ وحاشيتها كذلك.

المستفيدون من الموضة

لِلموضة مستفيدون أساسِيُّون، وآخرون جانبيون:

فأما الأساسيون: فإنهم مُبتَكِرُوها، أي: أعضاء حركة الصهيونية العالمية، ويَتْبَعُهم في ذلك الدول الرأسمالية الصليبية.

وأما المستفيدون الجانبيون من الموضة: فإنهم أصحابُ دُورِ تصميم وعَرْض الأزياء، ومصانع النسيج وأدوات الزِّينة ومواد التجميل، والمؤسَّسات التجارية للملبوسات... وما إليها من موادٍّ تجميل وإكسسوارات للزينة[1]: كالحُلِيِّ والشُّنَط والأحذية، وكذلك أصحاب محلات «صالونات» التجميل... وبالمثل وسائل الإعلام التي يُرضِيها الترويجُ للباطل: كالصحف والمجلاَّت وبعض الكتب الدورية، والإذاعة والمرئي (التليفزيون)، وكلٌّ من هٰؤلاء يستفيدُ من الآخر بطريقة منظَّمةٍ، وموزَّعة توزيعاً دقيقاً..

فأصحابُ المصانع، والمؤسسات التجارية، ومحلات «صالونات» التجميل، يستفيدون مباشَرةً من النساء المتَموِّضَاتِ والمتبرِّجاتِ.. بينما تستفيدُ وسائل الإعلام من المبَتكِرِين أنفسِهم (ولو أنَّ معظم هذه الوسائل الإعلامية تابعة لسِيَادتهم)، وكذلك من أصحابِ المصانع والمؤسسات التجارية عن طريق الدعاية والإعلان[2].

ولا يُمكِنُ تجاهلُ ما تستفيدُه وسائل الإعلام، خاصَّةً إذا عَلِمْنا أن

---

(١) يُقصد بإكسسوارات الزينة هنا: ما تستخدمه المرأة من حلي وأشرطة وأمشاط، وما إلى ذلك.. بالإضافة إلى الشنط والأحذية، وهذا التعبير تستخدمه بعض المحلات النسائية لهذا الغرض.

(٢) تقوم الصحف والمجلات والكتب الدورية بنشر الإعلانات وتتقاضى على ذلك أموالاً طائلة، ويختلف ثمن الإعلان حسب حجمه وموقعه من الصحيفة أو المجلة، بل وحسب لونه فالإعلان الملون أعلى ثمناً من الإعلان غير الملون!.

الدعايات والإعلانات تُنفِقُ على إذاعة كاملة، فعلى سبيل المثال «إذاعة الشرق الأوسط» حيثُ إنني سَمِعتُ من الإذاعة ذاتها ـ وذلك منذ عدة سنوات ـ أنه لولا الدعايةُ التي تقدِّمُها هذه الإذاعة لأَغْلَقَتْ أبوابَها، وأعلَنت إفلاسَها، وبالتالي نهايتَها!.

وإلى جانب هٰؤلاءِ جميعاً يستفيدُ أصحابُ النوادي والكازينوهات والمسارِحِ ودار الخَيَالة (السينما) وسائر المرافق العامة بصورة تِلْقائية، لأن المرأة المتموِّضَةَ تريدُ مجالاً لعرض ما ترتديه، وتَصْبَغُ به نفسَها، وليس لها حِيلةٌ في ذلك إلا ارتيادُ الأماكنِ سالِفَةِ الذِّكر، والتي تَجْمَعُها بأشباه الرجال الذين يُرضيهم أن يُمتِّعوا خَيالاتهم وأبصارهم ـ على الأقل ـ برؤية الجمال الفاخر.. والحُسْن المزيَّف!.

أهـداف الموضـة

للموضةِ أهـدافٌ وأبعادٌ خـطيرة تتجـاوَزُ متَّبِعُها، وتتعـدّاه إلى أُسرتـه ومجتمعه وأُمَّته.. وإذا أردنا أن نتبيَّنَ تلك الأبعاد الخطيرة، فإننا نَبْحَثُ أولاً في تلك الأهداف.

الهدفُ الأول من إنشاء الموضة:

هو تحطيمُ الإنسان مادياً عن طريق استنزافِ أمواله، وإضاعة وقته فيما يَضُرُّ ولا يُفيدُ.. فعن طريق الموضة يقومُ المخطِّطون لها بالتَّحايُل لجمع أكبر قَدْر ممكنٍ من أموال هؤلاء البُلَهاء المخدوعين، الـذين لا يُميِّزون بين مـا يضرُّهم وما يَنْفَعُهم، بل تَنْطَلِي عليهم حِيَل المحتالين، وتَنْفُقُ على أيديهم بضائع الشياطين.

«إذ أنَّ الحركة الصهيونية والرأسمالية الصليبية تَرَى أن الشعوب بقَدْرِ ما تفتَقِرُ بقدر ما تحتاجُ، وأنها بقدر ما تحتاجُ بقدر ما تَذِلُّ وتَخضَعُ، وأنها بقدر ما تذِلُّ وتخضَعُ بقدر ما يَسهُل بسط النفوذ والسيطرة عليها لمن بيده زِمـامُ المال.

لذا فإنها تعمَلُ جاهدةً لتحقيق الهدَفَيْن الرئيسيَّيْن في هـذا المجال، وهما: إفقارُ الشعوب من جهةٍ، والأخذُ بزِمَام المال بيدها من جهة ثانية.

ومن وسائلها لتحقيق ذلك:

١ ــ ترويجُ تجارة الشهوات والغرائز الجنسية، وأنْ تَعُودَ أرباحُها لها.

٢ ــ ترويجُ تعاطي المخدِّرات والمسكِّرات، وأن تعودَ أرباحُها لها أيضاً.

٣ ــ أن تملِكَ زمامَ التصنيع والاختراع والإنتاج والإبداع، وأن تَملِكَ بالمقابل زِمام التصريف والتصدير، وبذلك تَمتَصُّ دماءَ الشعوب، وتَسْلُبُ أموالهم، وبنفس الوقت تَبْقى الشعوبُ محتاجةً إليها لسَدِّ الحاجات، والاستفادةِ من المختَرعَات.

وأما من جهة العالَم الإسلامي خاصةً، فإنها تحاولُ جُهدَها تَعويقَ تصنيعه، لِتستأْثِرَ وحدَها في المنطقة بالإنتاج الصناعي، ويَبقى العالَمُ الإسلامي سوقاً لتصريفِ صناعاتِها واختراعاتِها، ويبقى أيضاً محتاجاً إليها في سَدِّ حاجَاتِه وتحقيقِ متطلَّباتِه ومُسايَرةِ عصره.

٤ ــ ترويجُ الأزياءِ ووسائلِ الزينة وأدواتِ التجميل في العالم، وأن تكون المعاملُ المنتِجَةُ لها بيدها، لذا تراها قد مَلَكَتْ أكثرَ المعامل التي تُنْتِجُ ذلك في العالم، وهي التي تصدِّر إلى الشعوب سيولاً متجدِّدَةً من الأزياء والنماذج والمُوضَات؛ في المَلْبَس والزِّينة والشعر والمساحيق والطِّلاءات.. حتى صِرْتَ ترى أو تسمعُ أن لكل عام زِيّاً، ولكل موسم زياً، ولكل مكان زياً، ولكل وقتٍ في الصباح أو الظهر أو المساء أو السَّهرة أو الحفلة أو الاستقبال أو العملِ زيّاً جديداً. وهذا تشجيعٌ على التبرُّجِ لإفسادِ الأخلاق، واستنزافٍ للمالِ من يد الشعوب وحَصْرِه بيدها.

٥ ــ إشعالُ نيران الحروب المدمِّرة في العالم بينَ الشعوب، وبنفس الوقت امتلاكُ زمامِ التصنيع الحربي في العالم، لذا نَجِدُ أن أكثرَ الحروب المُشْتَعِلَة في العالم الحاضر من ورائها الصهيونيةُ العالميةُ، وأن أكثر المصانع الحربية يَمْتَلِكُها أو يُدِيرُها يهود من أصحاب الأموال والخبرة، والحربُ هي وسيلة من أكبر الوسائل لإفقار الشعوب، وبنفس الوقت هي سوقُ التصريف للبضاعة الحربية»[1].

---

(١) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ١٩٦ ـ ١٩٨.

ولتوضيح الأمر: نَجِدُ أن الموضة تجاوَزَتِ التجديد في الأزياء للكبار والصغار، ذكوراً وإناثاً، إلى التدخُّلِ في شكل الشَّعْر ولون الأصباغ المستخدمة لتغييره، وكذلك في شكل الحُلِيِّ ونوعيتها، وأشكال الشُّنَط والأحذية.. والعطور والأدهان ومساحيق التجميل، بل وقد تدخَّلَتْ في نوعية وشكل الأثاث والستائر وطلاء الجُدْران أو كِسْوتها بمختلف الدِّيكُورات.

ومن المعلوم لدى الجميع أنَّ هناك المئات من المجلاَّتِ النسائية الأجنبية وحتى العربية.. كلُّ هَمِّها أن تروِّجَ للموضة وتَحُثَّ عليها، وتَشْرَحَ كيفية اتِّباعها وتنفيذها.. حتى إنه صَدَرَتْ عدةُ مجلات: منها على سبيل المثال مجلةُ «البُرْدَة» الألمانية.. التي تستطيع بواسطتِها أيُّ امرأة تُتْقِنُ فَنَّ التفصيل والخياطة، أو لا تَفْقَهُ فيه شيئاً، أن تَحصُلَ على ما تريد من قصَّات جديدة، وموضات مُستَحْدَثةٍ منها، دون أن تعانِيَ من الذهاب إلى حائكة الثياب (الخيَّاطة)، وذلك كلُّه للإسراع في ترويج الموضات!.

كما صَدَرَتْ مجلات أجنبية فَصْلية مجَّانية تُوَزَّعُ على المحلاَّت التجارية، وتقومُ هذه بتوزيعها على النساء، وقد صُوِّرت فيها الأزياءُ الجديدة بصورة جَذَّابَة مُغْرية.. ووُضِعَ تحتَ كلِّ ثوبٍ رقمٌ، ثم لائحةٌ بالأسعار بعد ذلك في صفحة خاصة، لكلٍّ حسبَ رَقمِه.

ويعطيك الكُتَيِّبُ أو المجلّة عنواناً للمراسلة، وتَذْكرة (كوبوناً) يُكتب فيه رقمُ الثوب المراد شراؤه مُرْفَقاً به ثمنُه، ثم يقوم أصحاب البضاعة بإرسالها عن طريق البريد الجوي للمشترية على عنوانها.. وهذه من الوسائل التي ابْتَكَرُوها لتسهيل التسويق لمُنتَجَاتهم، والإسراع في ترويجها!.

كما يُقنِعُون ناقصاتِ العقل والدين عن طريق وسائل التضليل التي يُطْلَقُ عليها اسم «وسائل الإعلام» بأنَّ ما يُرْتَدَى في الصباح يجبُ أن يكون مغايراً لما يُرتدى وقتَ الظَّهيرة، وما يُرتدى نهاراً لا يجوز ارتداؤه ليلاً!.. وتختَلِفُ بالطَّبع المُلحَقات (من حُلِي وإكسِسْوارات ومساحيق تجميل) المستخدَمة باختلاف تلك الفترات.

كما يُقَسِّمُونَ الأزياء المستخدَمَةَ على مدار العام، وبالمثل ملحقاتها، وذلك حسبَ فصول السنة، فللشِّتاءِ أزياءٌ تختلف عن أزياءِ الخريف، وللخريف أزياءٌ تختلف عن أزياء الربيع، وللربيع أزياءٌ تختلف عن أزياء الصيف!.

وليتَ الأمرَ يقتَصِرُ على الاختلاف في الخامَة ونوعية الثوب من حيثُ مدى وِقايتِهِ لمن ترتَدِيه من البرد أو الحر.. وإنما ينشأ الاختلاف من فصل إلى فصل، ومن عام إلى عام، في الخُطوط والألوان والتصميمات والأشكال والأحجام، دون مراعاةٍ لملاءَمَةِ تلك النماذج أو الألوان لشخصية الإنسان، وطبيعة البِيئة والمُنَاخ!.

فبينما تكون الموضة في هذا الصيف ـ مثلاً ـ اللونَ الأصفر الفاقِعَ، نَجِدُ أنها تُصبح في فصل الربيع ـ مثلاً ـ اللونَ الأخضر الدَّاكِنَ.. وهكذا.

ويتكرَّرُ الأسلوب نفسُه في الفصول والأعوام المقبلة.. فحين تكون الموضة في الصيف المقبل هي الأشكال المشجَّرَة، نجِدُ أنها تصبح في الربيع الأشكالَ المقلَّمةَ.. وهكذا بالنسبة لباقي الفصول، وما ذَكَرْناه على سبيل المثالِ لا الحَصْرِ. ويقومُ أصحاب الموضة بالإعلان عنها قبلَ نزولها، عن طريق المجلَّات وبعض الصحف بأن يُكتَبَ «ترقَّبوا في العدد المقبل من مجلة (...) أحدثَ أزياءِ الخريف».. وما إلى ذلك من الأساليب الدعائية.

ومن الجدير بالذكر أن «حجم» الثوب النسائي يَتغيَّرُ كما يتغيرُ لونُه وشكلُه.. فمرَّةً نجدُه «ميني جيب» أي: قصيرٌ إلى ما فوقَ الركبة، ومرةً «ميكرو جيب» أي: مِجْهَرِي، أو بمعنى آخر: صغيرُ الحجم جداً ويَرتَفِعُ إلى نهاية الركبة من أعلى!.

وتارةً يصبح «شانيل» أي: تحتَ الركبة مباشرة، وتارةً «ميدي» أي: تحتَ الركبة بقليلٍ حيث يَصِلُ إلى منتصف الساق.. ثم يتغير إلى «الماكسي» وهو ثوب طويل يَنْسَدِلُ حتى يُغطِّيَ القدمين!.

أما عن الخطوط والتقسيمات الرئيسية للثوب، فإنها تختَلِفُ وتتغيَّرُ بين الحين والآخر.. فمرةً يكون «خَصْرُ الثوب» في الموضع الحقيقي للخصر، ومرةً ينتقل «خطُّ الخَصْرِ» إلى ما تَحتَ الصَّدر، ومرةً أخرى ينتَقِلُ إلى ما تحت الخصر الحقيقي ليستَقِرَّ على الأرداف!!!.

وعندما نَجِدُ أن الموضة في عام من الأعوام هي الملابس المنفوشة جداً، التي تأخُذُ شكل البِرْمِيل، فإنها في عام آخر تصبح ضيقةً جداً، وفي عام ثالث نَجِدُها متهدِّلةً على بعضها في اتّساع غريب، يُضْفِي على لابسته همجيةً وفَوضى.. وهكذا..

وحدِّث ولا حرج عن الموديلات والقصَّات التي تَنتَشِرُ عاماً وتَندَثِرُ عاماً آخر، ثم يُعادُ تكرارُها بعد أن يَستهلِكَها الناس!.

ولذلك نجدُ أن أصحاب المؤلَّفات في فن الخياطة والتفصيل، يَعْمَدُون إلى شرح أساسيات التفصيل والخياطة دون استعراضٍ للموضة، لأنها تتغير من حين لآخر.

فعلى سبيل المثال نجدُ أن مؤلف كتاب «طريقة فتحي خليل في أصول التفصيل» يقول مبيِّناً تلك الحقيقة: «... والموديلات التي يقدِّمُها هذا الكتابُ ليست استعراضاً للموضة الحديثة، ولكنها أساسيات تَعتَمِدُ عليها الموضة في تشكيل خطوطها وموديلاتها.

فإذا تابعنا الموضةَ نجد أنها تتجدَّدُ كل ثلاثين أو أربعين سنةً[1]، ونأخُذُ على سبيل المثال: البَنطَلُون الضيِّق، الذي تَمَّ شرحه في الجزء الأول من كتابي عام ١٩٦٨ م، وقد كان يشكِّل موضة في ذلك الوقت، ثم تطوَّرَتْ

---

(١) يقصد المؤلف هنا بتجدد الموضة اختفاءها ثم عودتها للظهور في نفس الهيئة للشيء نفسه، ولا يقصد أن الموضة لجميع الأشياء تتجدد بعد هذه الفترة الطويلة التي حددها، وفي المثال الذي ذكره خير دليل على ذلك، فالبنطلون الضيق عاد إلى الظهور بعد أن اختفى حوالي إثني عشر سنة وكأنه موضة حديثة، بينما هو تكرار لموضة ".

موديلات البنطلون فظهر البنطلون الشَّارْلِسْتُون الواسع والكلُوش، وفجأةً عاد البنطلون الضيق الذي قدَّمناه عام ١٩٦٨ م ليصبحَ على قمة الموضة عام ١٩٧٩ م - ١٩٨٠ م.

معنى ذلك أننا لا نقدِّم موديلات تتمشَّى مع الموضة، ولكن نقدِّم أساسيات تعتمدُ عليها الموضة، فالموديلات تختفي وتعود»[1].

والأغربُ من ذلك أن تَعْمَدَ بعضُ المصانع إلى إنتاج بعض الملبوسات بنقوشٍ وأشكالٍ غريبة غيرِ متكررة، بقَصْدِ زيادة الاستهلاك واستنزاف أموال المشترين.

احتجتُ ذاتَ مرةٍ إلى شراء ثوب (رُوب شتوي)، فقَصَدْتُ أحد المحلَّات التجارية لشرائه.. فهالَني أن أجدَ من نفس خامَةِ الثوب للشركة نفسها كميةً كبيرةً من الأثواب (الأرواب)، ولكنها ذاتُ نقوشٍ وألوان مختلفة غير متكررة ولا متشابهة، مما يُحَيِّرُ المشتري عند اختيار إحداها، لأنها جميعاً جذَّابة الشكل تُغرِي بالشراء..

واستقرَّ رأيي أخيراً على إحداها.. بينما أَخَذَتْ مجموعةٌ من النساء ممن قَصَدْنَ المحل للشراء في التشاور والتباحث أيّها يَخْتَرْنَ، فمنهن من اقترحت شراءَ ثلاثة أرواب لنفسها، ومنهن من اقترحت غير ذلك، وكُنَّ في غاية الحَيْرَةِ والرغبة في اقتناء الجميع!.

واستطعتُ بعد عناءٍ أن أجعل البائع يَلُفُّ لي الروب الذي اخترته، لأنه كان شديدَ الانشغال بالعرض والدعاية لأروابه.. وقال لي وهو يَلفُّه: ثِقِي يا سيدتي أنَّ هذا الروبَ الذي حصلتِ عليه لا توجدُ امرأة في العالم تَملِكُه غيرك؛ إذ أن المصنع الذي يَصنَعُه لا يكرِّرُ النقش المستخدم فيه أبداً!.

فتناولتُ الروب في صمت، ونقَّدتُ البائع ثمنه وغادرت المحلَّ، وأنا

---

(١) «طريقة فتحي خليل في أصول التفصيل»، ج ٢ ص ١٧٧.

في عجبٍ من تفكير هؤلاء القوم الذين يعلمون أن المرأة ـ بصفة عامة ـ لا تحبُّ أن يقلِّدَها أحد فيما تَلْبَسُه، لتبدوَ هي المتميزة والمتفوقة دائماً.

وهذا يدُلُّ على استغلال «علم النفس» لخدمة الأغراض التجارية التي تَدفَعُ المرء إلى إنفاق أمواله وبعثرتها دون تفكير أو حساب.

وفي حالتي فأنا قد اشتريتُ ذلك الثوب (الروب) لحاجتي إليه، سواء ارتَدَتْ مثلَه غيري أم لم ترتدِ.. ولكن في حالات أخرى كثيرة قد تشتري المرأة الثوبَ لمجرد أنه ليس له نظيرٌ أو شبيهٌ عند غيرها.. وحتى دون أن تكون بحاجة إليه، ولو كان دولابُ ثيابِها مُكدَّساً بالثياب، وبعددٍ لا بأس به من الأرواب!.

وإذا انتَقَلْنا إلى إكسسوارات الزينة، فإنه بالنسبة للأحذية ـ فضلاً عن التغيير في القَصة، والألوان، ونوعية الجلد المُستَخدم، والخامة التي يُصنع منها الكعب ـ نلاحِظُ أن الشكل العام للحذاء كلِّه يتغيَّرُ.. ففي وقتٍ ما نجدُ أن الموضةَ في الأحذية هي «ذات النعلِ المرتكز على مِسمارٍ رفيع».. وبعد فترة من الزمن يُعلِنُـون أن تلك موضـةٌ قديمـةٌ انتهت، ومَنْ ترتـديها تَتَّسِمُ بالجمود والرجعية.. ويُصدِرُون موضة أخرى هي على سبيـل المثال «ذات الكعب العريض الضخم» الذي يَشمَـلُ أسفل الحـذاء كله، وليس الكعبَ فحسب، ويكون ذلك الكعبُ عادةً من الخشب أو الفِلِّين أو المطاط!.

ثم بعد فترةٍ أخرى تكون النساء قد استهلكت هذه الموضة، فيَحدُثُ لها نفس ما حدث لسابقتها من ترغيبٍ وتنفير.. فيقوم مُبتَكِرُو الموضة بإعادة موضة النعـل الرفيـع المرتكـز على مسمار، حتى تعـودَ النساءُ إلى الـدائرة المغلقـة نفسها، فيُهْمِلْنَ مـا عندهن من أزيـاءٍ وأحذيـةٍ ومتعلِّقاتٍ أخـرى، ويَشتَرِين الجديد.. وهذا ملحوظ وواقع في حياتنا للجميع.

أما عن الحقائب النسائية: فتارةً تَجعَلُها الموضـة ذاتَ حجم صغير، وتارةً ذاتَ حجم متوسط، وتارةً أخرى ذاتَ حجمٍ كبير بشكل لافتٍ للنظر..

بينما تتعدَّدُ أشكالها ونقوشها وألونها. . فنراها مرةً مستديرة، ومرةً مستطيلة أو مربعة، ومرةً على شكل الكيس!.

أما عن الخامة المستخدمة لصُنْعِها فهي تتنـوَّعُ بين الجلد، والقَشِّ، والقماش، والأنسجة البترولية، وغير ذلك.

ولَمَّا فَرَضَتْ الموضةُ على مُتَّبِعاتها فكرةَ وجوب مـلائمة لـون الحقيبة للون الحذاء والثوب الذي تَرتَدِيه المرأة، فإن ذلك يَضْطَرُّ المتموضةَ إلى إنفاق وبعثرة الأموال في اقتناء عِدَّةِ أحذية، وعدَّةِ حقائبَ. . بالإضافة إلى ما اشتَرَتْهُ من أثوابٍ وذلك بلا حاجة أو ضرورة، إلا بهـدف تحقيق ما يُـوحِيهِ إليهـا المحتالون المخادعون بسبب تزيينهم لها هـذا الأمرَ، وتصـويرهِ بـأنه تقـدُّمٌ وعَصْرِيةٌ. . فأين بالله التقدُّمُ والحَدَاثة في موضات تَظهَرُ ثم تختفي، ثم تعودُ إلى الظهور بعد سنوات وكأنها زِيٌّ عصري حديث!.

إنها حقاً حداثة وتجديد، لكن في طُرُقِ النصب والاحتيال والخداع لا غير.

وأما بالنسبة للحُلِي والمجوهرات، فإنَّ نوعية خاماتها وأشكالها تتغير في كلِّ موسم، مما يَضْطَرُّ من تتَبَّعُ الموضة إلى الاستغناء عن حُليِّها السابقة: إما بإهمالها إذا كانت رخيصةً، أو ببيعها إذا كانت من الذهب أو البلاتين وغيرهما من المعادن الثمينة. . وفي هذه الحالةِ تُصابُ بالخسارة، حيث يَتِمُّ التلاعب في أسعار بيع وشراء الذهب لمصلحة التاجر فقط. . وذلك كلُّه لتحصُلَ على أُنْمُوذَجٍ جديد تَفرِضُه الموضة.

وأما عن الأصباغ والعطور وموادِّ التجميل، فحدِّث ولا حرجَ عما تُنْفِقُه المتموِّضَاتُ عليها، إذ أن لكلِّ وقتٍ من أوقات اليوم ماكياجاً[1] خاصاً. . فهو في النهار خفيفٌ، وفي المساء ثقيلٌ!! كما أن الموضةَ تجعَـلُ لكل فصـل

---

(١) الماكياج: هو ما تستخدمه المرأة من أصباغ ومواد تجميل لتزيين الوجه.

ماكياجاً خاصاً، فمكياج الخريفِ ذو ألوان تختَلِفُ عن ألوان ماكياج الربيع.. وهكذا.

فنجدُ أن هناك عشرات الألوان المختلفة من «أحمر الشِّفاه»، وعدة ألوان من ظِلاَلِ العيون، وإنَّ أَغرَبَ تلك الألوان هو اللون الأحمر الباهِت، الذي يجعَلُ من المرأة التي تَطْلِي به جَفْنَيْها ـ وكأنهما متورِّمان من شدة البكاء ـ حزينةَ المظهر.

وقد تفنَّنَتِ المجلاتُ النسائية في بلادنا العربية بالترويج للماكياج، وجَعَلَتْ له أبواباً ثابتة فيها، وكأنه فريضةٌ يَجِبُ أن تؤدَّى مراسيمها بانتظام ومواظبة.. ومن أبرز تلك المجلات مجلة «حوَّاء»، التي تَحْمِلُ ـ ويا للأسف ـ اسمَ أم البشر، وكان من الأنسب أن تُسَمَّى «خَوَاء».. فلَكَمْ ساهَمَتْ تلك المجلَّة بدَوْرٍ فعَّال في الحثِّ على التبرُّج، والترويج للموضة، وتدريب النساء على الإغراء وكيفية اجتذاب قلوب الرجال بمُختلف الوسائل.. وخاصّةً عندما كانت تراَّسُ تحريرَها «أمينة السعيد»، التي حاربت عَوْدَةَ المسلمات إلى الحجاب بشراسة وضَرَاوة يَنْدَى لها جبينُ كلِّ امرأة حُرَّةٍ شريفة عفيفة.

ونعودُ للماكياج.. لنَجِدَ أن تلك المجلات المذكورة جَعَلَتْ ماكياجاً للسَّمْراوات.. وآخر للشُّقراوات.. وآخر لذوات اللون الخمري.. كما أَوْصَتْ بضرورة تَجرِبة عدة أصباغ وأدهان للوصول في النهاية إلى اللون الملائم!.

وحتى تَصِلَ المرأةُ إلى ما يلائمها، فإنه يَلْزَمُها أن تَمُرَّ بمختلف المنتوجات لمختلف المصانع والمؤسسات.. ومن الجديرِ بالذِّكر أن هناك العشرات، بل المئات من شركات التجميل التي تَحمِل منتجاتُها اسمَها.. وتقوم شركةٌ ما ـ على سبيل المثال ـ بإنتاج أدهان (كريمات) لحِفْظ البَشَرة، وأدهان (كريمات) لترطيب البشرة، وأخرى لتغذية البشرة، وأخرى لتنظيف

البشرة، وأخرى لتثبيت الماكياج، وأخرى لإزالَة الماكياج، وأخـرى لتقويـةِ البشرة!.

كما تَصنَعُ صابوناً خاصّـاً بها، وبُـودرةَ جسم خاصـة، وعطراً خـاصاً لمختلف المناسبات. . هذا كلُّه فضلاً عن مساحيق تجميل الوجه المتعددة، وعشرات الأعداد من أحمر الشِّفاه وظِلاَلِ العيون وطلاء الأظافر. . بالإضافة إلى الأدهان المستَخْدَمَة لإزالة عيوب البشرة: فهذا كريم لإزالة التجاعيد، وآخر لإزالة النَّمَشِ، وآخر لإزالة حَبِّ الشباب، وآخر لإزالة الكَلَفِ!.

أما عن الشَّعْر، فإنه فضلاً عن اختراع الشامبو[1] الـذي يختَصُّ بكل نوعية من الشعر، فهذا للشعر العادي، وآخر للدُّهْني، وثالث للجافِّ، ورابع للشَّعر الضعيف، وخامس للشعر ذي القُشور، وسادس للشعر المتساقط. . ؛ فإنه تُوجَدُ أصباغٌ وأدهان مختلفة لتقوية فَرْوَة الرأس، وأخرى لتَلْوين الشعر، وأدهان لتَلْميعه، وأخرى لتصفيفه، وأخرى لتثبيت الشَّعر على تسـريحته. . وأخرى لفَرْدِه. . وهكذا.

كما تَنتَشِرُ موضات صَبْغ الشعر انتشاراً واسعاً، فتارةً يُصبَغ الشعرُ باللون الذَّهَبي، فعندها يكونُ ذلك اللونُ هو موضة الموسم، وتارةً أخـرى باللون الأسود، وتارةً باللون النُّحاسي. . كما يُصبغ تارةً أخرى بعِدَّةِ ألوان مرةً واحداةً بصبغ كل خُصْلَةٍ بلون معيَّن على حِدَة، وتارةً أخرى يُصبغ بلونين متماوِجَين فقط، وهلمَّ جراً. . .

وكلُّ هذه الأصباغِ لا تتناسب مع لون شعر الحواجب، حيث يبدو لون شعر الحاجب مختلفاً عن لون شعر الوجه، مما يُسَبِّبُ التنافرَ وعدمَ التلاؤم مع الأصل الطبيعي لخِلْقَةِ الإنسان.

أضِفْ إلى ذلك: التغيُّرَ المستمرَّ في موضات تسريحات الشعر، مما

---

(١) الشامبو: هو صابون سائل لغسل الرأس.

يتطلَّبُ متابعتَها المستمرة، والاستعانةَ بالكوافير، وهو رجلٌ يقوم بتزيين النساء، لتنفيذ تلك الموضات المختلفة.

ثم إنَّ تسريحات الشعر قد خَضَعَتْ لمختلف الأوقات والمناسبات، فهناك تسريحاتُ شعْرٍ للمساء والسَّهرة، وهناك تسريحات للصباح، وأخرى للأفراح والأعياد، وأخرى للطالبات، وأخرى للنساء العاملات.. وهكذا.. حسبَ ما تقتَضِيه الموضةُ وتأمُرُ به.. وقد تطلَّبَ الأمرُ إنشاءَ معاهدَ خِصِّيصاً لتعليم قصِّ الشعر وفرده وتسريحه!!.

وهناك الأدهانُ المتعلقة بالجسد: فهذا «كريم أولوسيون» لحفظ الجلد، وذاك لتقويته، وآخر لتغذيته، وذاك لترطيبه، وآخرُ يُستَعمل قبلَ السباحة، وآخرُ يُستَخدَمَ للوقاية من الشمس قبل أخذِ الحَمَّام الشمسي، وآخر بعد أخذه.. وهناك العطور التي تُضاف لماءِ الاستحمام المعتاد، والأدهان التي تُستَعمل بعد الاستحمام.. إلى آخر ذلك.

وخُلاصَةُ الأمرِ استهلاكُ الكثير من الأصباغ والأدهان بلا داعٍ ولا ضَرُورة.. ولا أُنكِرُ أنَّ منها ما يُفيد حقاً، ولكنها ليست كلُّها لازمةً ومفيدةً، بل إن فيها من التحايُل التجاري، والخداع والتمويه الشيء الكثير.. خاصةً إذا علمنا أن أساسياتها تكادُ تكون واحدةً مع الاختلاف في اللون والرائحة فقط.. (ويَعرِفُ هذا الأمرَ أصحابُ الصناعة).

إن المرأة التي تَتْبَع الموضة تَلهَثُ لَهْثاً وراءَ كل جديد.. وتتكدَّرُ وتَشْقى إذا لم تحصُل عل ما تبتغيه، وإن كانت لا تَعدَمُ الحيلةَ لامتصاص مال أبيها أو زوجها (حسبَ حالتها الإجتماعية).. أو تُنْفِقُ ما معها إن كانت ذاتَ مال: كأن تكونَ موظفةً أو عاملةً، أو حاصلة على تَرِكَةٍ كبيرةٍ مثلاً.. وذلك لتمتَلِكَ كلَّ جديد يَغْمُرُ الأسواق.. مع إهمالِ ما لديها من ثياب ومتعلَّقاتِها مما هو مكدَّس في دولاب ثيابها تكديساً (مع زعمها كلَّما أرادت أن تشتري شيئاً جديداً أنها لا تَملِكُ شيئاً).

إنَّ أمرَ الموضة لا يتعلَّقُ بالنساء فحسب، وإنما أسهَبْتَ في ذكر تأثّرهن بالموضة لأنهن أكثر أتباعِها، وتَنْطَلِي الحِيَلُ عليهن أكثر.. بل إن الرجال تُحاكُ حولَهم نفس الشِّباك، وتدبَّرُ لهم نفس التدابير..

«فتارةً يَجعَلُ مصمِّمو الأزياء بنطلون الرجل بحمّالاتٍ، وتارةً أخرى بدونها، وتارةً يجعلون فَتحته السُّفلِية كبيرة متسعة جداً وكأنها شمسية، وتارةً أخرى يجعلونها متوسطةَ الاتِّساع، وأخيراً يُقلِعُون عن ذلك فيَجعَلُونها ضيقة جداً، فيَمْشِي الرجل وكأنه يرتدي مِحقَناً.. ثم يُعيدُون الكَرَّة من جديد...»[1].

هذا بالإضافة إلى ظهور عِدَّة موضات بالنسبة للشكل العام لثياب الرجال.. فقد جَعَلُوا للرجل سُتْرة للسهرة «Smoking jacket»، أو ما يُسمَّى «البدلة السموكنج».. بالإضافة إلى التغيير المستمر في النُّقوش والألوان والخامات التي تُصنع منها القُمصان والبدلات الرجالي.. كما ظَهَرتْ عدةُ موضات وخطوط وأشكال بالنسبة لثياب الرجال.. فهناك ثيابُ الهِيبِّز.. وثياب رُعاة البقر.. وثياب الجِينْز.. والثياب ذات الرِّقاع.. وغير ذلك.

وتنتشرُ الآن تقاليعُ غريبةٌ، وموضات عجيبةٌ للشَّعْر الرِّجالي، تَظْهَرُ بها علينا المجلات والصحف من حين لآخر.. فمِنَ الشباب الأجنبي من يقومُ بحَلْق شعر رأسه تماماً، ويُلصِقُ بَدَلاً منه ريشاً ملوَّناً على شكل عُرْفِ الدِّيك! أو يرتدي الشعور المستعارة (الباروكات) المختلفة: منها ما هو على شكل ألسنة اللهب، ومنها ما هو على شكل النَّافُورة، ومنها ما هو على شكل الشُّعَيْرات الرفيعة النافرة.. وهكذا، مما يَمْسَخُ الشخصيةَ، ويَستنزفُ الأموال، ويُدمِّر الشباب.

ومن المثير للعجب هو التشبُّهُ بالحشرات والحيوانات، واتخاذُها مثلاً أعلى للتحضُّر والتموُّض.. وهذا يتجلَّى في قَصَّات الشعر الرجالي.. فتارةً

(١) «المتبرجات» للمؤلفة، ص ٢٨.

يجعلون الموضة قَصَّةَ الخنافس، وتارةً أخرى قصة الهِيبز، وغيرها. . مما يُمثِّلُ التردِّي والسقوط والانسلاخ عن الآدمية!.

وسنتحدَّثُ عن ذلك بالتفصيل عند بيان الهدف الثاني من أهداف الموضة، بمشيئة الله تعالى.

أما ما ابْتَكَرَهُ شيطانُ الموضة لتحطيم رجولة الرجال، وصَبْغِهم بصبغة النساء، فهو فَرْضُ موضة التزيُّن بالسلاسل الذهبية[1]. . وكذلك إيهامُ الرجال بأن إعفاءَ اللحية قذارةٌ وهمجيةٌ ورجعيةٌ، بل وتطرُّف! وإيهامُهم بأن «اللحية المُعْفَاة» تمثِّلُ تخلفاً في التفكير والسلوك، وصدَّق المسلمون ذلك الادِّعاءَ المغرِض الكاذب. . فحَلَقُوا لِحَاهم، وشوَّهوا شخصياتِهم، فأَصْبَحْتَ لا تميِّزُ بين الرجال والنساء، إذ أن اللحية هي الفارقُ الرئيسي الظاهر بين الرجل والمرأة. . ومن المؤسف أن نَجِدَ من الوعّاظ والخطباء والشيوخ مَن يَحلِقُون لحاهم استجابةً للمؤثِّرات الأجنبية، والإيحاءات المُغرِضة. . ويسوِّغُون ذلك الفعلَ الذميم، والتصرُّفَ المشين، بأن إعفاء اللحية جائز وليس واجباً! مع أن إعفاء اللحية باديءَ ذي بَدْءٍ من سُنَن الفِطْرة التي فَطَر اللَّهُ الناس عليها. . وفي إعفائها تحقيق وتأكيد للصورة الطبيعية التي ينبغي أن يكونَ عليها الرجل، وفيها يتجَلَّى جمالُه وكماله، ويتميَّزُ بها عن الجنس الآخر، ولكنَّ أعداء الله يَأْبَوْنَ إلا القضاءَ على الرجولة، ومَسْخَ الفِطرة.

ومن جانبٍ آخر فإن رسول الله ﷺ أَمَر بإعفائها، والأمرُ يستدعي الوجوبَ، كما أنه ﷺ نهى عن التشبُّهِ بالنساء، بل ولَعَنَ من تَشَبَّهَ من الرجال بالنساء. . ومن المعلوم أن شَعْرَ اللحية هو علامةُ الذكورة، ومن هنا تشتدُّ الحرمة وتتأكَّدُ على مَنْ حَلَقَ لحيته. . ولا نعلمُ أن أحداً من سَلَفِنا الصالح ـ بَدْءاً برسول الله ﷺ وصحابته وخُلَفائه ـ مَنْ قام بحَلْقِ لحيته، أو بتشويهها

---

(١) ومن هذه السلاسل ما هو على شكل «صليب»، مما يمثل الإنسلاخ عن الدين، ومنها ما هو على شكل «كيوبيد» (الذي يعتبره الوثنيون إلٰهاً للحب).

(بحَلْقِ بعضِها وتَرْك بعضها الآخر).. وهذا دليلٌ على مشروعية إعفائها بالفعل، فضلاً عن مشروعية ذلك بالقول.

والأدلَّةُ كثيرة في هذا الصَّدَد، وإنما أكتَفِي بما ذكرتُ حتى لا أخرجَ عن الموضوع الذي أقومُ ببحثه: وهو أن الموضة قرَّرَتْ ذاتَ مرة أن تجرِّب مدى خضوعِ الرجال لها، وسَلْبِيَّتِهِم تُجَاهَ دينهم وفِطرتهم، فقرَّرَتْ أن تجعل من إعفاء اللحية موضة، فسارَعَ الفساقُ بتلبية الأمر، وأعفَوْا لحاهم.. ثم عادوا لحَلْقِها من جديد عندما انْقَضَتْ موضتُها!.

ولو تدبَّر المسلمون حقيقة الأمر، لعلموا أنهم وَقَعوا في المستنقع الذي أعدَّه أعداء الله لهم لمسخ شخصيتهم الإسلامية، والتلاعب برجولتهم، وجعلهم يُصِرُّون على المعاصي، إذ أن حَلْقَ اللحية معصية متكررة، لأن مَن يرتكبها يُكرِّرُ الحلق كلما نَبَتَتْ، ومن المعلوم أن الإصرار على المعصية يَجْعَلُها من الكبائر المهلكة.

ثم إننا نجدُ من الأجانب مَن يَعْفُون لحاهم، وهم في قومهم كبار العظماء، والنُّخبة الممتازة في المجتمع الأجنبي: كرجال الدين، وكبار المفكرين، والفلاسفة، ومشاهير الرسَّامين، وأصحاب العقليات العبقرية الفَذَّة.. فكيف بالله ساقَنا أعداؤنا إلى احتقار اللحية، ودَفَعُوا رجالنا إلى حَلْقِها؟! تشبيهاً بالسفهاء والمخنَّثِين، وعدواناً على الفِطرة والدِّين.

وأما ما استَلزَمُه حَلقُ اللحية من خسائرَ ماديةٍ.. فهو استهلاك ماكينات الحلاقة، وظهورُ أنواع متعددة منها لإغراء الرجال بالشراء: فمنها اليدوي، ومنها الكهربائي، ومنها ما يُستَعملُ لحلاقةٍ واحدة فحسب، ومنها ذو شفرة واحدة، ومنها ذو شفرتين.. وغير ذلك.

كما أن الحلاقة تستدعي استهلاكاً مستمراً لشفرات الحلاقة، إذ أن الشفرة المستعملَة سابقاً لا تكادُ تَصلُح لتكرار الحلق بها، أو لمن يريد حلاقةً أفضل للحصول على النعومة الأُنثوية!.. ولما كان شعرُ اللحية يَنْمو بسرعة،

فإن هذه العملية تُعْتَبرُ مكلفة مادياً، ومَضْيعة للوقت الثمين، وتعذيباً مستمراً دائماً للرجل، حيثُ إنه قد يَصْحُو من نومه متأخراً، ويريدُ اللَّحاق بعمله، فتُعِيقُه الحلاقة عن ذلك، ولكنه يضطرُّ للحلاقة حتى يُوصَفَ بأنه رجل أنيق (جِنتلمان) كما أوهمه أهلُ الموضة، فيذهب إلى عمله متأخراً.. وقد يُعاقِبُه مدير العمل على ذلك التأخير بخَصْمٍ من راتبه عند تَكرار ذلك.

هذا بالإضافة إلى أن كثرة استعمال شفرات الحلاقة مع الأدهان والسوائل الخاصة (اللوسيونات) المستخدَمَة لتَطْرِية الجلد الذي جفَّفَته كثرة الحلاقة، يؤدِّي إلى الخسارة المادية التي يَهدِفُ إليها مُبتَكرو الموضة، فضلاً عن تحطيم الرجل معنوياً، وإدخال النَّقْصِ على رجولته.

وتتعدَّى الموضة شخصيةَ الإنسان إلى أثاث بيته ومتاعه، وكيفية تصميم البيوت، وطريقةِ طِلائها، والخامات المستخدَمَةِ في كِسوَة جدرانها (الديكورات)، مما يُكلِّفُ الأموالَ الطائلة للتجديد والتغيير.

فهذا البيتُ مصمَّمٌ على الطِّرازِ الإنجليزي، وذلك على الطِّراز العربي، وهذا على الطِّراز الريفي.. وهكذا.. وذلك الأثاث من خشب الجوز، وهذا من الفورميكا، وثالث من الجلد، ورابع من الإسفنج، وخامس من القطيفة.. وهذا بعَجَلات، وذلك بدون عجلات، وهذا من البوص، وآخر من الخشب، وهذا على الطِّراز الإنجليزي، وذلك على الطراز الإيطالي، وثالث على طراز لويس الخامس عشر!.. وهلمَّ جراً.

ونجدُ أن الموضة بالنسبة للجدران هي في طلائها بالزيت أو الدهان العادي حيناً.. أو في رشِّها بآلةٍ خاصة لتُعطِيَ شكلَ الحُبَيْبَات النافرة الخَشِنة حيناً آخر.

وتارةً تُكسى الجُدران بالخشب، أو الورق، أو ما يُسمَّى بالديكور عموماً.. وإن من أبرزِ صور الإسراف هو استعمالُ الستائر التي تغطي جميع الجدران بغير حاجة ولا ضرورة، وسنبيِّنُ حرمةَ ذلك فيما بعدُ.

ويضطرُّ أتباعُ الموضة إلى مجاراتها، فيبدِّلون أثاثَ بيوتهم من آن لآخر، ويغيِّرونَ كسوة الجدران كلما أوحت لهم الموضة بفكرة جديدة مما يَستَنزِفُ الأموالَ، ويسبب الخسائر المادية، ويؤدِّي إلى أن يَثْرَى المخادعون المحتالون على حساب المخدوعين المنساقين إلى اتِّباع الموضة دون وَعْيٍ ولا تفكير، حتى وإن كانت ذاتَ شكل لا يتناسَبُ مع شخصية الإنسان وذَوْقِه وبيئته، حتى وإن كان فيها المخالفة الصريحة لدينه، بل وإن كانت ذات ألوان ونقوش لا تتناسب مع سِنِّه ووَقَارِه!.

وتَصِلُ في النهاية إلى تحطيم الإنسان مادياً، من حيثُ يظنُّ أنه حقق التقدُّمَ والرُّقِيَّ المزعومين.

الهدف الثاني من إنشاء الموضة:

وهو تحطيم الإنسان معنوياً!.

فالموضة تجعَلُ من الزينة المادية همَّ الإنسان الأكبر، وشاغِلَه الأوحد في الحياة، فهو يلاحقها ويتابعها، ويلاحق كلَّ ما يُنشَرُ عنها، حتى يَستَغْرِقَ فيها استغراقاً كاملاً يَشمُلُ جُلَّ وقتِه وتفكيره، ويَصرِفه عن الغاية الأساسية التي من أجلها خُلِق الإنسان،والتي بيَّنَها الحقُّ جلَّ شأنه في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

«إن هذا النصَّ الصغير لَيَحتَوي على حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيمُ حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها، والتي تُعَدُّ حَجَر الأساس الذي تقوم عليه الحياة.

هذه الحقيقة التي تبيِّنُ أن هناك غاية معيَّنة لوجود الجن والإنس، تتمثَّلُ في وظيفةٍ: مَنْ قام بها وأدَّاها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصَّر فيها أو نَكَلَ عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياتُه فارغةً من

القصد، وانتهى إلى الضَّياع المطلق، الذي يصيب كلَّ كائن يَنفَلِتُ من ناموس الوجود الذي يَربِطُه ويحفَظُه ويَكفُل له البقاء.

هذه الوظيفة المعيَّنة هي العبوديةُ لِلّه، وإن مدلول العبادة لا بدَّ من أن يكون أوسعَ وأشملَ من مجرد إقامة الشعائر، نَعرِفُها بالنسبة للإنسان من قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، فهي الخلافة في الأرض إذن عَمَلُ هذا الكائن الحي، وهي تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عَمَارَةِ الأرض، والتعرف إلى قُواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها، كما تقتضي الخلافةُ القيامَ على شريعة الله في الأرض، لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسَقُ مع الناموس الكوني العام»(١).

ولكنّ أتباع الموضة يَنحَرِفُون عن هذه الوُجهة إلى حيثُ يصبحون عبيداً لشهواتهم المادية، فضلاً عن عبوديتهم لمصمِّمِي الأزياء من حيثُ لا يشعرون.. فالعبودية تعني الطاعة، وأتباع الموضة يُطِيعون أهل الموضة طاعة عمياء، فيتلاعب هؤلاء بعقول من يَتَّبِعُونهم، ويُشَكِّلُونهم كيفَما شاؤوا.. فتارةً يجعلون الرجل أنثى، والأنثى رجلاً، وتارةً يجعلون من الرجل حشرةً (بموضة الخنافس)، وتارةً متوحشاً (بموضة الهِيبِّز).. وهلمَّ جراً.

وأما عن المرأة فإنهم يجعَلُوها مرة محتشمة، ومرة خليعة فاجرة، ومرة لا مبالية.. وهكذا، وذلك بحَسبِ ما يَفرِضُونه عليها من أزياء.. وهذا مَسْخٌ للفطرة، وتلاعب بالشخصية، واستهزاء بالعقل الإنساني..! فالملابس تَعْكِسُ شخصيةَ مرتديها، فهي التي تميِّزُ بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وبين أهل التقوى وأهل الفجور، بل وتميزُ بين أهل العلم وأهل الجهل.. وبين الجندي والمدني..

---

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب، ص ٣٣٨٧ باختصار من المجلد السادس.

ويتجاوَزُ الأمرُ ذلك التميزَ الظاهرَ إلى أن يتخلَّق اللابس لثياب فئةٍ معينة بأخلاق تلك الفئة، كما يُبيِّنُ ذلك شيخُ الإسلام ابن تَيْمِيَّة في قوله: «إن المشاركةَ في الهَدْي الظاهر تُورِثُ تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقودُ إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال. وهذا أمرٌ محسوس، فإن اللابسَ لثياب أهلِ العلم ـ مثلاً ـ يَجِدُ من نفسه نوعَ انضمامٍ إليهم، واللابسَ لثياب الجند المقاتلة ـ مثلاً ـ يجدُ في نفسه نوعَ تخلُّقٍ بأخلاقهم، ويصيرُ طبعُه مقتضياً لذلك، إلا أن يَمنَعَه من ذلك مانع»[1].

وكما يقول الأستاذ أنور الجندي: «إن للملابس عَلاقاتها بالشخصية والخُلُق، وهي عَلاقة جَذْرية أساسية لا سبيلَ إلى إنكارها، فإن الملابس هي التي تُعطي الشخصيةَ طابَعَها، وملابس البيت في الإسلام غير ملابس الشارع، وملابس الرجال غير ملابس النساء، ولا بد من وُضوح الفوارق بينهما. وملابس الشجاعة تعطي الشجاعة، وملابس الخُنوثة تعطي الرَّخاوة، وملابس الممثلين والجوكي تُفقِدُ الإنسان طابَعَ الإيمان برجولته ووقاره»[2].

وفي موضع آخر من كتابه السابق يَنقُلُ لنا الأستاذُ أنور الجندي مفهومَ سيدة إنجليزية اعتنقت الإسلام للأزياء، وهي السيدة «عائشة عو» التي تقول:

«تستطيعُ المرأة المسلمة أن تَلبَسَ ما يَحْلُو لها أمام زوجها والعائلة، وفي وسط صديقاتها، ولكن عندما تخرُجُ خارج البيت، أو عندما يَتواجَدُ داخلَ البيت رجال آخرون غير زوجها ومحارمها، فالمُنْتَظَرُ منها أن تلبَسَ رداءً يغطي كل أجزاء جسمها ولا يُظهر شكلها.

ما أعظَمَه من تبايُن مع الأزياء الغربية التي تركِّزُ عامدةً في كل عام على كشفِ مفاتنَ جديدةٍ في جسم المرأة للنظرات العامة، لقد رأينا في السنوات

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية، ص ١١.

(٢) «التحديات في وجه المرأة المسلمة» للأستاذ أنور الجندي، ص ٦٤.

القليلة الماضية ظهورَ واختفاءَ أنواعٍ عديدةٍ من الملابس الفاضحة التي تَحمِلُ أسماء مختلفة: المِيني (أي: القصير إلى الحدِّ الأدنى)، والمِيكرو (أي: المجهري)، والويت لوك (أي: النظرة التي يَنْدَى لها الجبين)، والهوتبانتس (أي: السروال الساخن)، والتوبلس (أي: الصدر العاري)، والسيرو (أي: الشفاف، أو انظر خلاله إلى ما تحتَه). ولا هَدَفَ لها سوى إبرازِ أو الكشفِ عن أجزاءِ العورات في جسم المرأة.

ويمكن للمرء أن يَلْحَظَ نَزْعَةً مماثِلة في ملابس الرجال التي أُصبحت ضَيِّقَةً، لدرجة بَدَتْ معها وكأنها جِلدُ الرجل نفسه، وبالرغم من أن مصممي أزياء الرجال قد وصلوا ـ فيما يبدو ـ إلى وِقْفَةٍ مؤقَّتة، إلى أن يتحرَّرَ الرجال بما فيه الكفاية، لأن يقبَلوا سراويل ضيقة تُظهِر عوراتهم لدى النساء!.

إن هدف الرداءِ الغربي أن يكشِفَ أو يعرِّيَ جسم الإنسان، في حين أن هـدفَ الـرداء الإسـلامي إخفـاءُ أو تغـطيـةُ الجسم على الأقـل في العَلَن...»[1].

إن هذا الهدف الخبيث ـ وهو تعريةُ جسم الإنسان ـ يُعتبر من خصائص أهلِ الجاهلية، وهو الرِّدَّةُ من الإنسانية إلى الحيوانية، أو بمعنى آخر: يُعتَبر تخلُّفاً ورجعية، ولكنَّ التزيين الشيطاني للناس يُصَوِّرُ ذلك الأمر بأنه حضارة وتجـديد (مـوضة)، ويُـزيِّف الحقائق فيجعَـلُ من الستر والعفـاف والالتزام بشريعة الله «رجعية»! أو تصرفاً غير حضاري!!.

وعن هذه الظاهرةِ الخبيثة يحدِّثُنا شهيدُ الإسلام سيد قُطب، فيقول في تفسيره للآيات [١٩ ـ ٣٢] من سورة الأعراف: «إنَّ القصة (أي: قصة آدم عليه السلام مع الشيطان)، والتعقيبات عليها، تُشيرُ إلى شيء مركوز في طَبْع الإنسان وفِطرته، وهو الحياءُ من التعرِّي وانكشافِ سَوْأَتِهِ.

---

(١) «التحديات في وجه المرأة المسلمة» للأستاذ أنور الجندي، ص ٦٩ ـ ٧٠.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾.

وكلُّها تُوحِي بأهمية هذه المسألة، وعُمْقها في الفِطرة البشرية، فاللباس وسترُ العورة زينةٌ للإنسان وسَتْرٌ لعوراته الجسدية، كما أن التقوى لباسٌ وستر لعوراته النفسية، والفطرة السليمة تَنْفِرُ من انكشاف سوءاتها الجسدية والنفسية، وتَحرِصُ على سترها ومواراتها..

والذين يحاولون تعريةَ الجسم من اللباس، وتعريةَ النفس من التقوى، ومن الحياءِ من الله ومن الناس، والذين يُطلِقُون ألسنتهم وأقلامهم وأجهزة التوجيه والإعلام كلِّها لتأصيل هذه المحاولة - في شَتَّى الأساليب والصور الشيطانية الخبيثة - هم الذين يُريدون سلب «الإنسان» خصائِصَ فطرته وإنسانيته، وهم الذين يُريدون تسليمَ الإنسان لعدُوِّه الشيطان، وما يريدُه به من نَزْعِ لباسه وكَشْفِ سوأته!.

وهم الذين يُنَفِّذُون المخططاتِ الصهيونيةَ الرهيبة لتدمير الإنسانية، وإشاعة الإنحلال فيها، لتَخْضَعَ لملك صهيون بلا مقاومةٍ، وقد فَقَدَتْ مقوِّماتِها الإنسانية!.

إن العُرْيَ فطرة حيوانية، ولا يَميلُ الإنسان إليه إلا وهو يرتَكِسُ إلى

مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان، وإن رؤية العُرْي جمالاً هو انتكاسٌ في الذَّوْقِ البشري قطعاً. والمتخلِّفون في أواسطِ إفريقيا عُراة، والإسلام حين يَـدْخُلُ بحضارته إلى هذه المناطق يكونُ أول مظاهرَ الحضارة اكتساءُ العراة!.

فأما في الجاهلية الحديثة «التقدُّمِيَّة» فهم يُـركَسُون إلى الـوَهْدَةِ التي يَنتَشِلُ الإسلام المتخلفين منها، ويَنقُلُهم إلى مستوى «الحضارة» بمفهومها الإسلامي، الذي يستهدف استنقاذَ خصائص الإنسان وإبرازها وتقويتها، والعُرْيُ النفسي من الحياء والتقوى ـ وهو ما تجتهد فيه الأصواتُ والأقلام وجميعُ أجهزة التوجيه والإعلام ـ هو النكسة والرِّدَّةُ إلى الجاهلية، وليس هو التقدُّمَ والتحضُّر كما تريد هذه الأجهزة الشيطانية المدرَّبة الموجَّهة أن توسوس!.

لقد كانت العرب تطوفُ بالبيت الحرام عُراةً إلا الحُمْس (والحُمس: قريش وما ولدت)، فلمّا لَبِس المسلمون الثياب وطافوا بالبيت عَيَّرهم المشركون بها.. فنزلت الآية: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾.

فانظر كيف تَصْنَعُ الجاهلية بأهلها!.. ناس يَطُوفون ببيت الله عرايا! فَسَدَتْ فطرتُهم وانحرفت عن الفطرة السليمة التي يحكيها القرآن عن آدم وحوّاء في الجنة ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾.. فإذا رأوا المسلمين يطوفون بالبيت مَكسُوِّين بالثياب، وهي الزينة التي أنعم بها الله على البشر ليسترهم ولتنمُوَ فيهم خصائص فطرتهم الإنسانية في سلامتها، وليتميَّزوا عن العري الحيواني: الجسمي والنفسي.. إذا رأوا المسلمين يطوفون ببيت الله في زينة الله وَفْقَ فطرة الله «عيَّروهم»!.

إنه هكذا تصنَعُ الجاهلية بالناس.. فتمسَخُ فطرهم وأذواقهم

وتصوراتهم وقيمهم وموازينهم.. تُعَرِّيهم من اللباس ومن التقوى والحياء، ثم تدعو ذلك رُقِيّاً وحضارة وتجديداً، ثم تعير الكاسيات من الحرائر العفيفات المسلمات بأنهن رجعيات!!!»[1].

ولقد بيَّنّا في الهدف الأول من إنشاء الموضة: أن الموضات تَنْدَثِرُ ثم تعود لما كانت عليه في الماضي تارةً أخرى، مع إيهام الناس بأنه موضة حديثة لجَذْب الناس إليها، بالرَّغْم من أنها وُصِفت قبل ظهورها من جديد بأنها موضة قديمة لتنفير الناس منها، وليتبعوا غيرَها من الموضات الأخرى، إمعاناً في استنزاف أموالهم، واستهزاءً بعقولهم، واستخفافاً بتفكيرهم، ولقد استغلَّ الباعةُ فِكرةَ الموضة للإثراء على حساب ضِعاف العقول.. فأصبحوا يقولون للمشتري: هذه البضاعةُ (...) آخرُ موضة، لإقناعه بالشراء!.

حدث أن قَصَدتُ ذاتَ مرة محلاً للأحذية لشراء حذاء يَصلُح للخروج في فصل الشتاء بأوحاله الدائمة في بلادنا العربية، ذات الأرض التي قلَّما تجدُ فيها رصيفاً متكاملاً جيدَ الرصف! فأبرزَ لي البائعُ عدة أحذية كلها بيضاء اللون.. فقلت له: إنني أريد حذاءً أسودَ اللون، فالأبيضُ لا يَصلُح للشتاء. فقال لي: إن الأبيض هو آخر موضة لفصل الشتاء، فهذا حذاءٌ ذو كعب إيطالي ووجه محلِّي.. وهذا.. وذاك.. وكلها آخر موضة، انتَقِي ما شئتِ. فهَمَمْتُ بالقيام والانصراف، فقال لي - وهو يَحمِلُ أحد الأحذية وكأنه يتوسَّلُ -: ولكنه آخر موضة! فقُمتُ على عجل وتركته يُقلِّبُ الحذاء بين يديه ويردد بذهول: ولكنه آخر مو.. ضة!.

وقلت في سرِّي: كعب إيطالي.. وجه محلي.. هل أصبحَتِ الأحذية هيئة للأمم؟!.. ليتَ من يَستَوردُ الموضة لبلادنا يستورِدُ لنا أرصفة جيدة لنتمكن من السير عليها بتلك الأحذية الدولية.

---

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب، المجلد الثالث، من ص ١٢٧٥ إلى ١٢٨٣، باختصار.

كما احتجتُ ذات مرة لحياكة ثوب، فتوجَّهت إلى خياطةٍ أعرِفها ذات تقوى وصلاح، ولكنها المرةُ الأولى التي أردتُ أن أجرِّبها فيها.

قلت لها: أرجو منك أن تَخِيطِي لي هذا القماشَ بزيّ ملائم، أترك لك أمر اختياره.

فقال لي بحماسٍ ظاهر: إن لدَيَّ موديلًا جديداً، وأريد أن أُخِيطَ لك مثله، وهو «آخر موضة»!.

ثم نادَتْ على ابنتها، وقالت لها: ارتدي ثوبَك «الفلاني»، وتعالي لتراه الأخت (أي: لكي أراه، وكان هو الثوب المقصود أن تَصْنَع لي مثله).

فأقبلت الفتاةُ بثوبها (الذي يُشبِه كيساً منتفخاً مربوطاً من أسفله) وأخذت تردِّدُ بحماس: إنه آخر موضة.. لقد رأيتُ الممثلة «فلانة» ترتدي مثله في التمثيلية منذ يومين.. وبالأمس رأيتُ الممثلة «علاَّنة» ترتدي مثله في فيلم السهرة!.

فنظرتُ نحو الخياطة بذهول، فوَجَدْتُها تنظر نحو ابنتها بإعجاب شديد، ثم استدارَتْ نحوي قائلة: ما رأيك؟.

فوالله لقد أُصِبت بخيبة أملٍ كبيرة، وأَلْجَمَتِ الحسرةُ لساني، ولم أدرِ من أيتهما أعجب؟ من الخياطة الصالحة التي تَرَى في ذلك الثوبِ جمالاً زائداً، لمجرد أنه موضةٌ ترتديها الممثلات، أم من ابنتها التي بَدَتْ بثوبها المذكور وكأنها مجنونة هاربة من المستشفى!!.

وكم من الموضات ما يخالف ذَوْق الإنسان وشخصيته، ولا يتناسب مع وَقاره واتزانه، فقد جمعتني الأقدار بسيدة مغتربة.. أعرف أنها ذات ذوق رفيع، يتَجلَّى ذلك من طريقة تنظيمها لبيتها، ومن المظهر العام لزوجها وأبنائها.. ولكنها كانت ترتدي ثوباً ذا لون أصفرَ فاقعٍ يُزعِجُ البصر، ولا يتناسب مع شخصيتها المتزنة، أو ذوقها السليم.. وفوجئتُ بها تقول لي وللحاضرات: تصوَّروا أنني كنت أبغضُ هذا اللون (أي: لون ثوبها) بغضاً

شديداً، ولا أطيق رؤيته على أحد؛ إلى أن أرسَلَتْ لي والدتي رسالةً تقول لي فيها: إن موضة هذا العام اللونُ الأصفر الفاقع! فأمَّنت إحدى الحاضرات على قولها.

ثم أكمَلَتْ عنها الحديثَ قائلةً: وكذلك الأشكالُ المشجَّرة ذات الحجم الكبير، كالتي أرتَدي مثلها الآن.. وكنت أنا الأخرى لا أحبُّها حتى علمتُ أنها موضة!.

فردَّت عليها امرأة أخرى وهي تَضحكُ: لقد علمتُ أن ثوبك المشجَّر آخرُ موضة من قبل أن تتفوهي بذلك؛ إذ أنني أعرف أنك لا يُمكن أن ترتدي ثوباً إلا أن يكون وَفْقَ آخرِ خطوط الموضة!!.

وهكذا انقَضَتِ الجلسةُ.. دون كلمة خير واحدة.. إنه التردِّي والإسفاف الذي أوقع مبتكرو الموضة الناسَ في هاويته المظلمة.

إن العقل الذي تُسيِّرُه الموضة كيفما تريد، هو عقل فاقد للوعي والإرادة، سريعُ الانقياد للمهالك، يسهُل التحكُّم فيه لإبعاده عن القيم والمبادىء الأخلاقية النبيلة، كما يَسهُل سَلْخُه عن دينه، وتحويله إلى الوجهة التي يريدها له أعداؤه وأعداء دينه وأمته..

وإليكم بعضَ أقوال هؤلاء الأعداء، التي تُثبِتُ هذه الحقيقة المرَّة:

«نحن اليهودَ لسنا إلا سادةَ العالم ومفسديه، ومحرِّكي الفِتَنِ فيه وجلَّاديه».

الدكتور أوسكار ليفي[1]

«مهمَّتُنا سَحْقُ الحضارة الإسلامية، وإحلالُ الحضارة العبرية محلها، والمهمَّة شاقة».

السفاح بيجين[2]

---

(١) «الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون» للتونسي، ص ٤.

(٢) «تداعت عليكم الأمم» لمحمد عطية خميس، ص ١٠٠.

«ما دام هذا القرآنُ موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيعَ أوروبا السيطرةَ على الشرق، ولا أن تكون هي نفسَها في أمان».

غلادستون

«لن يستقيمَ حال الشرق ما لم يُرفعِ الحجاب عن وجه المرأة، ويُغطَّى به القرآن».

غلادستون (رئيس وزراء إنجلترا خلال عهد مصطفى كامل)[1]

ومما يؤكد أن هدف «الاستِخْراب»[2] هو القضاءُ على الإسلام، وليس مجرَّد الاستيلاء على خيراتنا (كما علَّمَتْنا كتبُ التاريخ التي يجِبُ إعادةَ كتابتها بصورة صحيحة) هي هذه الأقوال:

«يقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر»: إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارةٍ عند العرب، بل بسبب الإسلام..

يجبُ محاربةُ الإسلام للحَيْلولة دون وَحْدة العرب، التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحبُ دائماً مع قوة الإسلام وعزَّتِه وانتشاره، إن الإسلام يُفزِعُنا عندما نراه يَنتَشِرُ بيُسْرٍ في القارَّة الإفريقية».

وبعد استقلال الجزائر ألقى أحدُ كبارِ المستشرقين محاضرةً في «مدريد» كان عنوانها «لماذا كنا نحاوِلُ البقاءَ في الجزائر..؟»، أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخَّصُه:

«إننا لم نكن نسخِّر النصفَ مليونِ جنديٍّ من أجل نبيذ الجزائر أو

---

(١) «فصل الخطاب في مسألة الحجاب والنقاب» ص ٥.

(٢) درج الناس على تسمية المخربين المحتلين باسم «الاستعمار»، وهذه الكلمة تدل على التعمير، فهي اسم على غير مسمى. وتتنافى مع ما يفعله أعداء الله بالمسلمين من نهب وتدمير وتخريب وقتل وتبديد، لذا فإن البديل الملائم لكلمة «الاستعمار» هو: الاستخراب.

صحاريها أو زيتونها.. إننا كنا نعتَبِرُ أنفسَنا سورَ أوروبا الذي يَقِفُ في وجه زَحْف إسلامي محتَمَل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فَقَدُوها، وليَدْخُلوا معنا في قلب فرنسا «بمعركة بواتيه» يَنْتَصِرُون فيها، ويَكتَسحون أوروبا الواهنة، ويُكملون ما كانوا قد عَزَمُوا عليه أثناء حكم الأُمَوِيِّين، بتحويل المتوسط إلى بُحَيرة إسلامية خالصة، من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر».

ويقول فيليب فونداسي: «إن من الضروري لفرنسا أن تقاوِمَ الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسةً عِدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقافَ انتشاره».

أما كيف سيقضي هؤلاء السفهاءُ على الإسلام، فإنه يتبيَّنُ لنا ذلك من أقوالهم:

يقول المبشر تاكلي: «يجب أن نَستخدِمَ القرآن ـ وهو أمضى سلاح في الإسلام ـ ضدَّ الإسلامِ نفسه، حتى نقضِيَ عليه تماماً، يجب أن نبيِّنَ للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديدَ فيه ليس صحيحاً».

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر، بمناسبة مرور مئة عام على احتلالها: «يجب أن نُزيلَ القرآن العربي من وجودهم.. ونقتَلِعَ اللسان العربي من ألسنتهم حتى نَنتصِرَ عليهم».

ويقول المبشر تاكلي: «يجب أن نشجِّع إنشاءَ المدارس على النَّمَطِ الغربي العِلْماني، لأن كثيراً من المسلمين قد زُعْزِعَ اعتقادُهم بالإسلام والقرآن حينما دَرَسُوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلَّمُوا اللغاتِ الأجنبيةَ».

ويقول صموئيل زومير، رئيس جمعيات التبشير، في مؤتمر القدس للمبشِّرين، المنعقد عام ١٩٣٥م:

«إن مُهمة التبشير التي نَـدَبْتُكُم دولُ المسيحية للقيـام بها في البـلاد المحمدية، ليست في إدخالِ المسلمينَ في المسيحية، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريماً.

إن مهمتكم أن تُخرِجُوا المسلمَ من الإسلام ليُصبحَ مخلوقاً لا صِلَةَ له بالله، وبالتالي لا صلةَ تربِطُه بالأخلاق التي تعتَمِدُ عليها الأمم في حياتها، ولـذلك تكـونـون بعملكم هـذا طليعـةَ الفتـح الاستعمـاري في الممـالـك الإسلامية.

لقد هَيَّأْتُم جميـعَ العقول في الممـالك الإسـلامية لقَبُـولِ السير في الطريق الذي سَعَيْتُم له، ألاَ وهو إخراج المسلم من الإسلام.

إنكم أعدَدْتُم نَشْـأً لا يعرِف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسـلام، ولم تُـدخِلُوه في المسيحيـة، وبـالتـالي جـاءَ النِّشْءُ الإسلامي مطابقاً لما أراده الاستعمار؛ لا يهتَمُّ بعظائم الأمور، ويُحِبُّ الراحة والكســل، ويَسعى للحصـول على الشهـوات بـأي أسلوب حتى أصبحت الشهواتُ هدفَه في الحياة، فهو إنْ تعلَّم فللحصول على الشهوات، وإذا تبوَّأ أسمى المراكز ففي سبيـل الشهوات. . إنـه يَجُودُ بكـلِّ شيء للوصول إلى الشهوات! أيها المبشرون: إن مهمَّتَكم تَتِمُّ على أكمل الوجوه»[1].

هذا بيان ضَئيل لتصوير الجهد الصليبي لسَحْق الإسـلام، فماذا عن الجهد الصهيوني؟.

يقول البروتوكول الثالث عشر لحكماء صهيون:

«سنبدأُ الإعلانَ في الصحف داعِينَ الناس إلى الدخول في مباريـات شتى. . في كل أنواع المشروعات: كالفنِّ والرياضة وما إليهما. هذه المتعُ

---

(١) «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم، ص ٤٤ ـ ٥٦ باختصار.

الجديدة ستُلْهِي ذِهنَ الشعب حتماً عن المسائل التي سَنختَلِفُ فيها معه، وحالما يَفقِدُ الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستَقِلِّ بنفسه، سيَهتِف جميعاً معنا لسبب واحد، هو: أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدةٍ، ولهذا السب سنحاول أن نوجِّهَ العقلَ العام نحو كل نوع من النظريات المُبَهْرَجَةِ، التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية، لقد نَجَحْنا نجاحاً كاملاً بنظرياتنا عن التقدم في تحويل رؤوس الأُمَمِيِّين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية.

ولا يوجدُ عقل واحد بين الأُممِيِّين يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراءَ كلمة «التقدم» يختفي ضلال وزَيْغٌ عن الحق، ما عدا الحالات التي تُشِير فيها هذه الكلمة إلى كشوف مادية أو علمية، إذ ليس هناك إلا تعليم حق واحد، ولا مجالَ فيه من أجل «التقدم»، إن التقدم كفكرة زائفة، يَعْمَلُ على تغطية الحق حتى لا يَعرِفَ الحقَّ أحدٌ غيرُنا نحن شعبَ الله المختارَ، الذي اصطفاه ليكون قِوَاماً على الحق»(1).

كما يقول البروتوكول السابع عشر:

«ولقد عُنِينا عنايةً عظيمة بالحطِّ من كرامة رجال الدين من الأُمِمِّيين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نَجَحْنا في الإضرار برسالتهم التي كان يُمكِنُ أن تكون عقَبةً في طريقنا، وإنَّ نُفوذَ رجال الدين على الناس ليَتَضاءَلُ يوماً فيوماً».

كما يقول: «سنَقْصُرُ رجالَ الدين وتعاليمهم على جانب صغير جداً من الحياة، وسيكون تأثيرُهُمْ وبيلاً سيئاً على الناس، حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثرٌ مناقض للأثر الذي جَرَتِ العادةُ بأن يكون لها»(2).

---

(1) «الخطر اليهودي ـ بروتوكولات حكماء صهيون» للتونسي» ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(2) المصدر السابق، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

وبعد. . فإن هذه المخططات الإجرامية التي جَرَى تنفيذُها، ولا يزالُ جارياً، تَتَّخِذُ طرقاً ناعمة في سبيل الوصول إلى أهدافها، ومن هذه الطرق: نَزْعُ حجابِ المرأة المسلمة، والتبرج والاختلاط والموضة والفن والرياضة، وغيرها من المُلهِيَات التي عَصَفَتْ بديار المسلمين عصفاً، وأوردتهم مواردَ الذُّل والهلاك. . وتُغَذِّي وسائلُ الإعلام عندنا هذه الموجات وتَدعَمُها، وتسعى لإتمامها على أقبح وجه إفسادي.

وقد تعدّى الأمرُ ذلك إلى التعليم، حيث يَتِمُّ التخطيط لعَلْمَنَةِ (جَهْلَنة) التعليم. . ويَعظُمُ الخَطْبُ والمصاب عندما نجد أن الأيدي المنفِّذة للجريمة هي أياد عربية، فيَسْخَرُونَ من بعض الكلمات التي أصبحت ـ مع اتساع الهُوَّةِ، وقيام الجفوة بيننا وبين اللغة ـ كلماتٍ غريبة، مثل كلمة «فَرْقَد» ـ على سبيل المثال ـ والتي تعني «النجم الساطع». . مع أن مثل هذه الكلمات لم تُصبح غريبةً إلا بسبب هجرنا لها، واحتقارنا للغتنا، تحت تأثير المخططات الأجنبية لاقتلاعها (كما سبق وبيّنا من أقوالهم التي تشهَدُ عليهم). . بل إن هذه الكلمات الغريبة إن دلّت على شيء فإنما تدُلُّ على أن لغتنا غنية بالكلمات وزاخِرَةٌ بالمعاني. . ومتجددة الأساليب. . وعالية البلاغة. . وهو ما لم تَرْقَ إليه لغة أخرى في العالم. . وكَفَى بها شرفاً أنها لغة الكتاب السماوي الوحيد المحفوظ من التبديل والتحريف، والذي لا يَأتِيه الباطلُ من بين يَدَيْهِ ولا من خلفِه. . لغةُ «القرآن الكريم».

وفي المقابل نَجِدُ أن أهل اللغات الأخرى ـ كالإنجليزية مثلاً ـ يَسْعَوْنَ جاهدين لتجميل لغتهم الناقصة، التي لا تكادُ تجد فيها من الضمائر ما يغطي الحاجة. . فعلى سبيل المثال: تُستَخدَمُ كلمة «They» للدِّلَالَةِ على ضمير الجمع للغائب المؤنث والمذكر، والعاقل وغير العاقل، فتَجمَعُ بين الإنسان والحيوان والجماد دون تَفْرِقَة. . وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة «We» أي: نحن، لجمع المذكر والمؤنث. . وكلمة «You» التي يبلُغُ من عجزها أنها تخاطِبُ المفرد والجمع، بمعنى: أنت وأنتم، للمذكر والمؤنث!.

هذا مثال بسيط جداً عن نقص اللغات الأجنبية الفاحش، ومع ذلك فإن أصحابها يَسعَوْنَ جاهِدِين لنشرها وجعلِها اللغةَ العالمية الأولى (لاقتلاع عالمية وشمول اللغة العربية).. كما نَقَلْنا على لسان ذلك المبشر الحقود.. فنجدهم يعلِّمون لغتهم الإنجليزية مثلاً في الإذاعة، ومن طريق أشرطة التسجيل والكتب والنشرات المختلفة، ويُنشِئون المعاهد الخاصة لتدريسها وتيسيرها، مع توزيع ذلك مجاناً في الغالب.. كما ينشئون المراكز الثقافية لتَغْرِيب الشباب المسلم، واقتلاع اللسان العربي منه، وفِتْنَتِه عن دينه!.

فاستَبْدَلَ معظمُ شبابنا وشاباتنا بلغتنا الجميلة ألفاظاً أجنبية منفردة، مثل كلمة «بونجور» و«چود مورننچ»، بدلاً من كلمة «السلام عليكم» التي تُشِيعُ السكينة في النفس ويُثاب قائلها.. وكلمة «مرسي» و«ثانك يو»، بدلاً من كلمة «جزاك الله خيراً».. و«مدام» و«مودموازيل»، بدلاً من «سيدة» و«آنسة»... إلخ.

فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير!!.

أما عن الحطِّ من كرامة علماء الدين الإسلامي، فإن ذلك ما يَبُثُّه المرئيُّ (التليفزيون) عند عرضه للتمثيليات المختلفة.. وكذلك دارُ الخَيالةِ (السينما)، عندما تصوِّرُ رجلَ الدين برجل متشدِّق، مُتَفَيْهق، بَدِينِ الجُثة، عظيم البطن.. هَمُّهُ الأكل والشرب، مع تصويره بصورة مُزْرِية لا تَمُتُّ إلى الواقع بصلة، بل تثير السخرية من الدين وأهله.. وتَحمِلُ الناس على احتقار الدين والتنصل منه بطريق غير مباشر أو مباشر!!.

فضلاً عن تكريم السفهاء الذين يقومون بالحطِّ من قيمة الرسل والأنبياء، بل والله نفسه!!.. ومَنْحِهم الجوائزَ العالمية، واحتضانِهم والدفاع عنهم ضد كل ما يتهدَّدُهم من الأخطار.. كما حدث مع مؤلف «آيات شيطانية» و«أولاد حارتنا»!.

كل هذه الأساليب الخبيثة وغيرها مما يَضِيقُ المجالُ هنا بذكرها

(لالتزامنا بموضوع معين هو الموضة).. من الأساليب الرامية إلى هدم الإسلام وسحق المسلمين. فهل يتراجَعُ شبابنا وشاباتنا عن السير في تلك السبل المظلمة.. ويلتفتُون إلى ضياء القرآن، الذي أكَّد لهم حقيقة المؤامرات التي تسعى لتدميرهم منذ زمنٍ بعيد، وأرشَدَهم إلى سبيل النجاة..؟!.

يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

ويقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٥١].

ويكرره الله تحذيره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٥٧].

ولأي شيء اتخذوهم أولياء؟.

يقول تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء: ١٣٨ - ١٣٩].

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٣].

أثر الموضة على الأسرة والمجتمع

الأسرة: هي وحدة بناء المجتمع.. فالمجتمع إذن: عبارة عن مجموعة من الأسر، وإن المرأة وِعاءُ الحياة، فقد جعلها خالقُها وسيلةً لإنتاج النسل البشري، وفي ذلك تشريف لها أيّما تشريف، إذ أن مهمتها تُعتبر من أرقى وأصعبِ المهمّات، فهي عِمادُ تكوين الأسرة، وبالتالي المجتمع.. وهي المؤثر الأول الأساسي في حياة الرجل، إذ أنّها الأمُّ، والأخت، والزوجة، والإبنة.. فلا شكَّ أن صلاح المرأة يَتْبَعُه صلاحُ أسرتِها، وبالتالي مجتمعها، كما يتبَعُ فسادَها وانحلالَها فسادُ الأسرة وخراب المجتمع.

ولهذا فإن أعداء الإسلام فَطِنُوا إلى أهمية دور المرأة المسلمة في المحافظة على حصانة المجتمع الإسلامي، حتى وإن كانت أُمِّيَّةً.. فوجَّهوا إليها جُهودَهم المكثَّفةَ لِهَتْكِ سَتْرِها، ومَسْخِ شخصيتها، وهدم كرامتها، ومسح هويتها الإسلامية.. في مخطط إجرامي مدروس!.

فخِلالَ الحملاتِ الصليبية على العالم الإسلامي، والتي كان الغرض منها ـ كما سبق وبيّنا ـ هو القضاء على الإسلام.. حدثت عدة أمور تبدو في ظاهرها لصالح الأمة، بينما هي في الحقيقة لتخريبها وتدميرها.. ومن الغريب أن تَشِيدَ كتبُ التاريخ بهذه الآثار، ولا ترى منها إلا ظاهرها، بينما تُغمِضُ العينَ عن حقيقتها وباطنها.. مع أنه من البديهي أن العدو لا يَهُمُّه إلا التخريبُ، والقضاءُ على كل ما فيه مصلحة لعدوِّه..

يتجلَّى هذا فيما فعله «دنلوب» و«زويمر» أيامَ الحملة الإنجليزية على

مصر، حيث أسَّسَا أولَ مدرسة لتعليم البنات، قام بوضع مناهج التعليم فيها هذان المبشِّرانِ الحقودان على الإسلام.. ولقد كانت النساء في ذلك العهد مُقَيَّدات بقيودٍ تتجاوَزُ ما فَرَضه الإسلام عليهن.. وذلك كهضم بعض الحقوق الاجتماعية التي كَفَلَها الإسلام، بل وفرضها للمرأة منذ القديم، وحُرِمَت منها في الفترة التي سبقت «الإستخراب» بسبب التعصُّب الذميم، والجهل بأحكام الدين، وانتشار البدع والخرافات، وعدم استيعاب روح الدين الإسلامي استيعاباً صحيحاً.

وبالرَّغْم من كل هذه العيوب الاجتماعية، إلا أن «الإستخراب» المسلَّح لم يَصمُدْ طويلاً أمامَ بَسالةِ رجالنا، وبَأْسِهم الشديد، إذ أن التزام النساء في ذلك العهد بالحجاب، كان من أهم الأسباب التي حَفِظَت الرجل المسلم من الانحرافات الخلقية التي تؤدِّي إلى تدمير الرجولة، وبَثِّ روح الهزيمة والاستسلام، والركون إلى الدنيا بلهوها ومتاعها وزخرفها وشهواتها، مما يَقذِفُ في القلوب الوَهَن: وهو حبُّ الدنيا وكراهية الموت في سبيل الله، كما هو حالنا اليوم!.

وكان التركيز على هَتْكِ حجاب المرأة المسلمة تحت شعار «تحرير المرأة» هو حجر الأساس في تبديل مجتمعاتنا، وإنشاءِ مجتمعاتٍ لا إسلامية، متعددة السبل، ومتنوعة المشارب في أمتنا الإسلامية.

فهذا جلادستون ـ رئيس وزراء إنجلترا في تلك الحقبة الزمنية ـ يقرِّرُ أنه «ما دام هذا القرآنُ موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرةَ على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان» ـ على حد تعبيره ـ.

ثم نراه يَضَعُ الخطةَ الفعَّالة للقضاء على التعاليم القرآنية، وسَلْبِ القرآن من أيدي المسلمين بالقضاء على حجاب المرأة المسلمة، وهذا وحدَه في الحقيقة يُعَدُّ كافياً لإنجاح الخطة، ولقد تحقق بالفعل ما يَرمِي إليه ذلك الصليبي الحقود، بل وتجاوز الأمر ما كان يتمنّاه، فقد كان يَصْبُو إلى رفع

الحجاب عن وجه المرأة المسلمة[1] فحسب، لتدمير الإسلام، فإذا بالحجاب يُرفع عن وجهها ورأسها وصدرها وساقيها وذراعيها، بل ـ وكما قرَّرتْ عليها الموضة ـ يُرفع عن فَخِذَيْها.. هذا هو حالها في الشوارع والأماكن العامة، حتى انعدم الطابَعُ الإسلامي من الدول الإسلامية!.

أما حالُها على شواطىء البحار، فإنها تبدو عاريةً تماماً إلا من ورقة التوت ـ كما يقولون ـ وربما كانت في غُرفةِ نومها أكثرَ حِشْمَةً مما تكونُ عليه هناك.. فلا تكاد تميِّزُ بين المرأة في العصور الحجرية والمرأة على شاطىء البحر، ويُسَمُّون ذلك تحضراً ورقياً!!.

وهكذا استَقامَ حالُ الشرق على طريقة «چلادستون» الذي قال: «لن يستقيم حالُ الشرق ما لم يُرفع الحجاب عن وجه المرأة ويُغطى به القرآن»!.

أما كيف حَدَثَ ذلك؟.. فعن طريق تأسيس المدارس لتعليم البنات المسلمات، بحيث تَجرُّهُنَّ مناهجُ التعليم بعيداً عن الدين، وقد أدَّى التدرُّج في الأمر إلى اعتبار الدِّين مادةً غير أساسية، ولا تضافُ درجاتها إلى المجموع الكلي للدرجات في عصرنا الحاضر. على الأقل في البلد الذي كان مَسْرَحاً لإنشاء أول مدارس لتعليم البنات في الشرق..

وبَلَغ السَّيلُ الزُّبَى عندما أصدر وزير التعليم هناك مرسوماً يقضي بحَذْفِ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بل والأناشيد الدينية!! من كتب المرحلة الابتدائية للتعليم.. وهذا التدرُّجُ كان متوقعاً، لأنه مخطَّط له من قِبل الاستخراب العسكري، الذي رَحَلَ عن أرضنا الإسلامية بجسده، بينما بقي

---

(١) الحجاب الصحيح إسلامياً ـ فيما أرى ـ هو ما ستر جميع جسد المرأة بما في ذلك وجهها، وعندما أرادوا تحرير المرأة ـ بزعمهم ـ أغروها في البداية برفع الحجاب عن وجهها فقط لا غير، وهبَّت طائفة من صنائع «الاستخراب» في عالمنا الإسلامي لتأول معاني النصوص المتعلقة بالحجاب إلى الوجهة التي تجيز للمرأة كشف وجهها في جميع الأحوال، مع أنه لا يجوز كشفه إلا في حالات خاصة هي حالات الضرورة: كالعلاج والخطبة والشهادة، أو في العبادات كالصلاة والإحرام في الحج.

فيها بروحِه وتعاليمه.. ثم تراجع عن ذلك عند ثورة الصحافة الإسلامية عليه.

يقول مُرُوبرچر - وهو يهودي أمريكي معاصر - في كتابه «العالم العربي اليوم»: «إن المرأة المسلمة المعلِّمَة هي أبعدُ أفراد المجتمع عن تعاليم الدين، وأقدر أفراد المجتمع على جرِّ المجتمع كلّه بعيداً عن الدين»!.

حقاً.. فبالتعليم لَقَّنُوها أن سبب تأخرها، وهضم حقوقها، هو التمسُّك بالحجاب.. وبالتعليم علَّموها كيفيةَ التبرج.. وحَبَّبُوا إليها الاختلاط.. وبالتعليم عَرَفَت قراءةَ الأفكار والمبادىء الإلحادية الهدَّامة، والنظريات الفاسدة، وكيف تُتابع الموضات، وتقرأ الكتب الجنسية المكشوفة، وتُتْقِن أساليب الإغراء.

وبالتعليم عَرَفَتْ كيف تَتَّبع النظم الغربية في إدارتها لبيتها ورعايتها لأطفالها، وفي أسلوب وطريقة معيشتها وزينتها.. فلم تَجِدْ وقتاً كافياً لأن تقرأ القرآن، وتَتَهذَّبَ بتعاليم الإسلام.. بل على العكس.. فقد أصبحت ترى في القرآن عدوّاً لَدُوداً، لأنه يُذكِّرها دائماً بضرورة المحافظة على القيم والأخلاق.. وضَرُورة الالتزام بالحجاب، ويبيِّنُ لها الثواب والعقاب، وحتمية الجزاء والحساب.. وينهاها عن سيِّء الأخلاق التي اكتسبتها النساءُ المسلمات ببعدهن عن الدِّين، ولهذا سارَعَتْ بتصديقِ مَن قال لها: إن الدِّين رجعية، وإن تطبيق حدودِ الله تصرُّفٌ غيرُ حضاري.. وإن الدين أفيون ومخدر.. أما ما تتعاطاه من مخدِّرات ومسكرات في البارات فإنه رُقِيٌّ وتحضُّر.. واعتقدت ناقصةُ العقل والدين أن الإسلام يَحُدُّ من حريتها، ويُفْسِد عليها متعتها، ويعطِّل تماديها في شهوتها.. فبادرت إلى خَلْعِ حجابها وغَطَّت به القرآن!.

تماماً.. كما أشار عليها بذلك قائدُها الروحي چلادستون وأذنابه.

ونَتَج عن ذلك ما تنبَّأ به نبي الإسلام محمد ﷺ منذ أربعةَ عشرَ قرناً من

الزمان.. وهو تسلسل الانحلال الذي أوَّلُه فساد المرأة وطغيانها بتجاوزها الحد، وذلك بتركها هَدْيَ الرحمٰن، واتباعِها سُبُلَ الشيطان.

يقول الإمام حسن البنا: «يجب أن نعلَمَ أن قضية المرأة في المجتمع الآن، وقبل الآن، هي أهمُّ ما يَدُورُ عليها صلاح المجتمع وفساده، وإذا نظرنا إلى الأحاديث التي تُشير إلى هذا المعنى، وإلى تسلسل الانحلال الذي أوَّلُه فساد المرأة؛ نجد أن النبي ﷺ قال: «كيف بِكُم إذا طَغَى نساؤُكم، وفَسَقَ شبابُكم، وتَرَكْتُم جهادَكُم؟!».

قالوا: وإن ذلك لَكائِنٌ يا رسولَ الله؟.

قال: «نعم ـ والذي نَفْسي بيدِه ـ وأشدُّ منه سيكون. كيف أنتُم إذا لم تَأمُروا بمعروفٍ، ولم تَنْهَوْا عن منكرٍ؟».

قالوا: وكائنٌ ذلك يا رسول الله؟.

قال: «نعم ـ والذي نَفْسي بيدِه ـ وأشدُّ منه سيكون».

قالوا: وما أشدُّ منه؟.

قال: «كيف أنتم إذا رأيتم المعروفَ منكراً، والمنكرَ معروفاً؟».

قالوا: وكائنٌ ذلك يا رسول الله؟.

قال: «نعم ـ والذي نفسي بيده ـ وأشد منه سيكون».

قالوا: وما أشدُّ منه؟.

قال: «كيف وأنتم إذا أَمَرْتُم بالمنكرِ، ونَهَيْتُم عن المعروف؟».

قالوا: وكائنٌ ذلك يا رسول الله؟.

قال: «نعم ـ والذي نفسي بيده ـ وأشد منه سيكون».

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «بي حَلَفْتُ: لأُتِيحَنَّ لهم فِتنةً يَصِيرُ الحليمُ فيها حَيرانَ» رواه أبو يعلى.

سلسلةٌ متصلة الحَلَقات، تَطْغَى المرأة فيتبَعُها فجور الشباب، ويَغفُل كلٌّ عن واجبه، ويصير من الغريب أن تخرُجَ المرأةُ محتشمةً متسترة، ويترتَّبُ على ذلك تركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يتدرَّجُ الأمرُ إلى أن يكون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ثم تكون الفتنة التي تجعَلُ الحليمَ في الأمة حيران؛ لا يدري ماذا يصنع؟»[1].

وهكذا فَسَدت الأسرةُ المسلمة، وفَسَد المجتمع الإسلامي، وعُدنا إلى الوراء عن طريق ما يُعرف «بالاستخراب الثقافي» الناشىء عن جهود الصهاينة والصليبيين والشيوعيين وأذنابهم.. بأضعافٍ مضاعفةٍ عما كنَّا عليه في زمن الجمود السابق «للاستخراب العسكري».. فَفَقَدْنَا العزةَ والكرامةَ، والمَنَعة والقوة.. واستَمْرَأ رجالُنا حياةَ الجبن والخَوَر.. وتهافتوا على الاستسلام.. وتنازلوا لأعدائهم بأقصى التنازلات.. وبذلوا ماءَ الوجه لاستجداء هٰؤلاء الأعداء عَقْدَ العهود والمواثيق الاستسلامية.

واستُنزِفت أموالُنا.. وفَقُرَت شعوبُنا.. وفَسَدت أخلاقنا.. وتهرَّأت مجتمعاتنا.. كل ذلك كان نتيجةً حتميةً لفساد المرأة المسلمة، وما استتبع ذلك الفسادَ من طغيانِ المنكرات.

كانت تلك نَبذةٌ عن دَوْر المرأة في المجتمع الإسلامي.. **أما عن الآثار السيئة الناتجة عن اتِّباع الموضة على الأسرة والمجتمع، فيمكن تلخيصها فيما يلي:**

١ ـ انتشارُ جاهلية الجِنْس:

إن قَبُولَ المرأة للموضة واتباعها لها، يعني رَفْضَها للحجاب الذي أَمَرَ به اللّٰهُ تعالى، فتخرج بذلك كاسيةً عاريةً.. مائلة مُمِيلة.. ترتدي ما

---

(١) من كتاب «نظرات في إصلاح النفس والمجتمع» للإمام حسن البنا، سجَّلها وأعدَّها للنشر أحمد عيسى عاشور، ص ٧١.

أوهَمُوها[1] بأنه أحدث الأزياء.. وتنتهج أخسَّ أساليب الإغراء والإغواء.. فَتنشُرُ الفتنَ[2]، وتسبب الانحلال الخلقي، وتدمِّرُ الآداب المصطلح عليها في جميع المذاهب والأديان، مما يؤدي إلى انتشار جاهلية الجنس..

«وإن جاهليةَ الجنس كانت نقطةَ تحوُّلِ المجتمعات من الإسلام إلى الجاهلية، ونجدُ ذلك في قول رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا الدُّنيا واتَّقُوا النساءَ، فإنَّ أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساءِ».

والفكرةُ التي في الحديث أن فتنة النساء كانت الفتنةَ الأولى في مجتمع بني إسرائيل، ومعنى الفتنةِ الأولى أنها كانت بدايةَ الانحراف ونقطةَ التحوُّل، وبضَعفِ الغَيْرَةِ لدى الرجل تكون السلبيةُ في مواجهة الانحراف والتي تتحوَّلُ بالإنسان السلبي إلى موقف المنحرف!.

ونهائيةُ معدَّلِ الانتشار يتحقق بطبيعة المجتمع المنحرف ذاته، لأنه لا يَقبَلُ بطبيعته وجودَ أي صاحب قيمة أخلاقية فيه، إذ أنه: إما أن ينحرفوا بأصحاب تلك القيمة، مثلما حاوَلَ بنو إسرائيل مع العابد جُريج.. حيث حاولت المرأةُ البَغِيُّ إغراءَ العابد، فلما فَشِلت لم تستطع مواجهةَ القوم بهذا الفشل، فأتت لهم بغلام من رجل آخر.. وادَّعت أن العابد هو الذي ارتكب معها خطيئةَ الزنى.. ورَفْضُ المرأة المنحرفة للفشل في إغراءِ أي إنسان تريد الانحراف به، هو أخطرُ ما في طبيعة المرأة عندما تَنْحَرِفُ.

وإما أن يُخرِجَ المجتمعُ المنحرف أصحابَ تلك القيمة منه، مثلما حاول قومُ لُوط عندما قالوا ما حكاه عنهم القرآن الكريم: ﴿أَخْرِجُوهُم

---

(١) نعم، إن ذلك وهم، لأن جميع ما يظهر على الساحة من أزياء هو تكرار لأزياء سبق عرضها قديماً، والمتابع للموضة بدقة يمكنه أن يتأكد من صحة ما قلناه.. فالموضة أكذوبة.. ووهم!.

(٢) الفتن: جمع فتنة، والفتنة: الضلال والإثم ـ وفُتن إلى النساء: أي أراد الفجور بهن. من «لسان العرب» ج ١٧ ص ١٩٥.

مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٨٢].

وإما أن يفسِّر المجتمعُ الجاهلي القيمةَ الأخلاقية تفسيراً ينفي حقيقتها، مثلما فَعَل بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام لمّا رَأَوْهُ يغتَسِلُ بعيداً عنهم، فقالوا: إن به عيباً.. ويقول الله عز وجل في ذلك: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩].

وهكذا نرى أن المجتمع المنحرف إما أن يدفع الإنسان المستقيم إلى الانحراف، أو يدفع به خارجَ واقعِه، أو يفسِّر استقامته تفسيراً ينفي معناها حتى يكون المجتمع خالصاً للانحراف.

وخطرُ الانحراف الجنسي بمُعَدَّل انتشاره السريع والنهائي يأتي باعتبار أن هذا الانحراف هو الخطرُ الأكبر على الرجال، والرجال هم طاقة الدعوة، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «ما تَركتُ فتنةً أضرَّ على رجالِ أمتي من نسائها».. » اهـ[1].

٢ ـ الموضة تؤدي إلى الاختلاط بأضراره وأخطاره:

تَرغَبُ المرأة المتموضة في الاختلاط، لأنها تريدُ أن يُطرِيَ الرجالُ على ذوقِها وجمالها وتحضرها المزعوم.. فتَسعى إلى ارتياد الأماكن العامة، وتحرِصُ على الظهور في الحفلات والنوادي وغير ذلك من الأماكن، لكي تُبرِزَ للجميع هيئتها.. وتباهي بثيابها وزينتها، وتُمتِّعُ نفسَها الضالة بصحبة الرجال.

---

(١) «بيت الدعوة» لرفاعي سرور، ص ٨ ـ ١٢ باختصار.

ومع اجتماع المرأة بالرجل يَحدُثُ ما حاول الإسلام أن يتجنَّبه بمنع الاختلاط؛ وهو ضَياع الأعراض، وخُبْث الطوايا، وفسادُ النفوس، وتهدُّم البيوت، وشقاء الأسر، وانتشار الجريمة.. بالإضافة إلى الرخاوة والليونة عند الرجال، بل يتجاوَزُ الأمر الحد إلى التخنُّثِ، وظهور ما يُسمى بالجنس الثالث (وهم أولئك الذين خَلَقَهم الله رجالاً، ولكنهم يتصرَّفون تصرفاتٍ نسائية، أو مَنْ خَلَقَهُنَّ الله نساءً ويتصرَّفْنَ كالرجال).

بل لقد جاوز الأمرُ حدَّ التشبُّه إلى التخلُّق بخلقة الجنس الآخر.. فقد طالعتنا الصحف بنبأ تحويل رجل ذكر (لا يَحمِلُ أدنى صفة من صفات الأنوثة) إلى أنثى، وذلك في بلد عربي مسلم!!!.

بل لقد سادت ظاهرةُ التخنث عالَمَنا العربيَّ تقليداً لتلك الموجات اللاأخلاقية التي طَفَحَ بها الغربُ وفاضت خبائِثُها علينا.. وكل هذا ملموس لا يُمارِي فيه إلا مكابر، ويؤدي إلى الانحراف الجنسي.

«وإنِ خطر الانحراف الجنسي يَستهلك ويَهدِمُ الشخصية الإنسانية.. ومن هنا كان حد الزنى ـ للمحصن ـ هو «الرجم» بمعناه المباشر، وهو إنهاء وجود هذا الكيان المنحرف»[1].

ويظن البعض ممن خَبُثَت طواياهم، وانحرفت أفكارُهم، وفَسَدَتْ تصوّراتهم، أن الاختلاط يَمْنَعُ الكبت ويجعل من الجنس أمراً عادياً.. وكَذَبُوا.. إذ أن الاختلاط يزيدُ من عَرامَة الجنس، ويُذْكي نار الشَّهوة.. ويُحَوِّل البشر من الآدمية إلى الحيوانية، حيث لا تجدُ في المجتمع المختلط ضوابط للعلاقات الجنسية.

وكم من المآسي التي تتكرَّرُ يومياً في البلاد العربية التي داست على القيم الإسلامية، وأباحت تبرُّجَ النساء، وخروجَهُنَّ للعمل واختلاطهن بالرجال.. حتى لقد جاوز الأمر حدَّه بأن سَمِعنا عن رجل اعتَدَى على عِرض

---

(١) «بيت الدعوة» لرفاعي سرور، ص ١٣.

ابنته، وآخر على عِرض أخته، وآخر فرَّ مع زوجة أخيه بعد انكشاف أمرِهما بتهمة «الزنى».. هذا فضلاً عن ارتكاب الفاحشة مع سائر الإناث في المجتمع بسهولة، وكأنهن إناث الحيوانات لا يَرْفُضْنَ طالباً!.

والإحصائيات الصادرةُ عن الدول الأجنبية المتحضرة التي أباحت الزنى والسِّفاح، تشهَدُ أن الاختلاط يتسبَّبُ في الطغيان الجنسي، الذي يؤدي إلى ظهور الأمراض الجنسية الخطيرة: كالزهري والسِّيلان والسِّفْلِس.. ومرض الإيدز الخطير، الذي ظَهَر أخيراً، ويُسبِّبُ فقدانَ المناعة من الجسم، بحيث ينتهي الأمرُ بالمصاب إلى الموت مع وقوفِ الطب عاجزاً عن العلاج.

ثم بعد ذلك كله تَنعَتُ تلك الدول المتحللة من الشرف والأخلاق الدولَ الإسلامية بالرجعية والتخلُّف! فما هو مفهوم الحضارة عند هؤلاء؟ فوضى وحيوانية وتعرٍّ وهمجية وضياع!! إننا حقاً متخلِّفون، ولكن عن ذلك الركب المنحرف الملعون.. ورجعيون، ولكن إلى الفِطْرة السليمة، والأخلاق المستقيمة.

يقول السيد عبدالباقي رمضون: «نَسُوقُ إليك بعض الإحصاءات والحقائق عن نتائج التبرج والاختلاط ومفاسِدِهما بالأرقام، لتعرِفَ كيف أنها تَكثُر وتزداد بشكل مذهِل مخيف في المجتمعات الجاهلية الغارقة في تبرجها واختلاطها.. وكيف أنها تَقِلُّ تدريجياً في المجتمعات الإسلامية الملتزمة:

ففي فرنسا: من أوائل القرن العشرين لا يزالُ حكام الجيش الفرنسي يُخَفِّضُون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوبة في المتطوِّعين للجيش الفرنسي على فترة بضع سنين، وذلك لكونهم مصابِين بمرض الزهري - وهو مرض جنسي خطير - وعددهم - أي: عدد المصابين بالمرض - خمسةٌ وسبعون ألفاً في السنتين الأوليين من سِنِي الحرب العالمية الأولى.

ويقول الدكتور «ليريد» الفرنسي: إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألفَ نَسَمةٍ بأمراض الزهري المختلفة كل عام.

وفي أمريكا: يموت ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحدَه كل عام، كما تبلُغ نسبة الحُبالى من تلميذات المدارس الثانوية في إحدى المدن ٤٨٪، وإن نسبة البيوت والأسر المحطَّمة تَقفِزُ فترة بعد فترة، كلما ازداد الاختلاط وكثرت الإباحية.

فحسب إحصائية أمريكية صدَرت سنة ١٩٥٠ م، بَلَغت نسبة الطلاق ٦٪ عام ١٨٩٠ م، وقَفَزَت تدريجياً إلى أن بلغت ٤٠٪ عام ١٩٤٨ م.

وفي الإحصائية نفسها: أن التعليمات صدرت إلى جميع مدارس نيويورك بإنشاء غرفةٍ ولادةٍ في كل مدرسة!! وقد بَلَغ عددُ الطالبات الحوامل دون زواج في مدارس نيويورك وحدها ٢٤٨٧ حاملاً في عام ١٩٦٩ م.

ودلَّت الإحصاءات الحديثة أن رُبْعَ طالبات المدارس الثانوية حبالى، وأن البَكارة مفقودة ألبتة.

وفي الإحصائية: أن رئيس أمريكا أَعلَن أنه لم يَصلُحْ سوى مليون شاب أمريكي للخدمة العسكرية من بين ستة ملايين تقدَّموا للتجنيد، وعَزَا ذلك إلى ضعف بنية الشعب الأمريكي بصفة عامة، نتيجة لحياة الترف والاختلاط والانغماس في الشهوات.

كما وقعت ٤,٥ مليون جريمة كبرى عام ١٩٦٨ م في الولايات المتحدة الأمريكية، وتزيد جرائم القتل فيها ٤٨ مرة عن مثيلاتها في بريطانيا وألمانيا واليابان معاً، فالعنف أصبح حقيقةً أساسية موجودة في المجتمع الأمريكي، ويعيش الأمريكيون في رُعْب الجريمة كلَّ يوم.

ومن المضحكات المبكيات أن الشرطة التي من المفروض أن تَحمِيَ الشعب أصبحت هي التي ترتكب الجرائم بحقِّه، فهناك شرطي (جندي بوليس) أمريكي اغتصب ٢٣ فتاةً خلال ثلاثة أشهر!.

(وقد قرأتُ في إحدى الصحف أن شرطة ولاية سان فرانسيسكو شاذَّة

جنسياً، وتمارس اللِّواط، وأنها اعترضت على قـانونٍ يَحـظُر على الشرطـة ممارسةَ اللواط بحجة أن مثل هذا القانون سيعمل على إعفاء جميع أفـراد الشرطة من الخدمة!!).

وقرَّرَ كنيدي في تصريحه الخطير عام ١٩٦٢م أن مستقبل أمريكا في خطر، لأن شبابهـا مائـع مُنحَلٌّ، غـارق في الشهوات، لا يُقَـدِّرُ المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدَّمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين، لأن الشهوات التي غَرِقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية الجسمية والنفسية.

وفي روسيا: صَرَّح خرشوف عام ١٩٦٢م كما صـرَّح كنيدي، بـأن مستقبل روسيا في خطر، وأن شباب روسيا لا يؤتَمن على مستقبلها، لأنه مائع منحل، غارق في الشهوات.

وفي السويد: انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين، وارتفاع مستمر في عدد المواليد غير الشرعيين، كما أن نسبة الطلاق في السويد هي أكبر نسبة في العالم كلِّه.

وفي إيطاليا: أثبت الإحصـاء أن ٧٥٪ من الشعب الإيطالي يُفَضِّلُون قراءة مجلات الجنس والفكاهة، كما أن مؤسسات نشـر الكتب والمجلات الجنسية العارية تُعتَبر أضخم المؤسسات في إيطاليا.

وفي المجر: أعلن البروفسور المجري أن عدد حالات الإجهاض التي تحدُث في العالم أصبحت تبلغ ٣٠ مليـون حالـة سنويـاً، وأن عدد تلك العمليات في بعض الدول كألمانيـا والنمسا وبلجيكـا، يَفُوقُ عـدد حالات الوضع.

وفي إنكلترا: يبلغ العدد الإجمالي لحوادث الإجهاض عام ١٩٧١م (٨٠٧٢٣) حادثة، والأرقام في زيادة مستمر»[1].

---

(١) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ١٣٧ ـ ١٤٨ باختصار.

وفي الصين: ذكرت مجلة «البيادر السياسي» التي تصدُر في القدس، في عددها ٣١٧ ـ السنة الثامنة ـ ١٧ أيلول ١٩٨٨ م، أنه قد أُعلَنَت الصحيفة التي تُعنَى بالشؤون الصحية «هيلث ديلي»: أن نسبة المصابين بالزهري في الصين سنة ١٩٨٧ م قد ارتفعت ثلاثة أضعاف مقارنة بعام ١٩٨٦ م، وذلك في مقاطعة «جوانج دنج» المحاذية للحدود مع «هونج كونج».

وكانت الصين قد أُعلنت سنة ١٩٦٤ م أنها خالية من أي مرض جنسي ينتَقِلُ بواسطة الجنس، ولكنها أَخَذت تصرِّحُ بارتفاع معدلات الإصابة بعد اتباعها سياسة الباب المفتوح (أي: الانفتاح الاقتصادي) منذ عشر سنوات.

كما ذكرت المجلة سالفةُ الذكر، وهي «البيادر السياسي»: أنه قد صَدَر في بريطانيا قانون في الخمسينات يُضْفِي شرعية على ممارسة الشذوذ الجنسي.

«وعموماً.. فإن الحياة المادية المَحْضَةَ هي التي تَسُودُ الشرق والغرب، ففي تلك المجتمعات نجدُ: الشباب الشارد المخمور، والمتحلِّلَ المائع المريض جسمياً وعقلياً ونفسياً، وعصاباتِ القتل والخطف والاغتصاب وتهريب المخدرات، وعصاباتٍ من الأطباء والمحامين ورجال القانون لتغطية الجرائم وهَضْم الحقوق لِقاء الرِّشْوة المالية والجنسية!.

كما تنتشر المواخير ونوادي العُراة، وكتب الجنس ومجلات العُرْي، والأغاني الفاحشة والموسيقى المثيرة، والتمثيليات المهيِّجة، كما ينتشر الإباحيون المستهترون، وأفواج «البوب» الغارقين في السُّكر والفحش، بالإضافة إلى أفواج «الهيبيين» المتشبهين بالحيوانات والحشرات.

هذا ما صارت إليه المجتمعات الأوروبية بسبب التبرج والاختلاط والإباحية.. إنه المصير المريرُ الخسيس الحقير.. وإنها النهاية القاتلة المميتة المعدمة»[1].

(١) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ١٣٧ ـ ١٤٨ باختصار.

وصَدَق الإمامُ البوصيري حيث يقولُ في بُردَتِه الشهيرة:

فلا تَرُمْ بالمعاصِي كسرَ شهوتِها ... إنَّ الطعامَ يُقَوِّي شَهْوةَ النَّهِمِ
والنفسُ كالطفلِ إن تُهْمِلْه شبَّ على ... حُبِّ الرَّضاع وإن تَفْطِمْه يَنفَطِمِ
فاصرِفْ هواها وحاذِر أن توليه ... إن الهوى ما تُولي يُصْمِ أو يَصِمِ
وراعِها وَهْي في الأعمال سائمة ... وإنْ هي استَحَلَّتِ المرعى فلا تُسمِ
كم حَسَّنَت لَذَّةً للمرءِ قاتِلَةً ... من حيثُ لم يَدْرِ أن السُّمَّ في الدَّسمِ

٣ ـ تهدُّم الأمم واندثار الحضارات والاستسلام للأعداء:

يؤدي اتِّباعُ الموضة وما تستلزمه من انحرافات خلقية، إلى تهدُّمِ الأمم واندثار الحضارات، فقد كان أهلُ اليونان أرقى الأمم القديمة حضارةً، وأزهرها تمدُّناً في التاريخ، ولكن عندما أخذت الشهواتُ النفسية تتغلَّبُ على أهلِ اليونان، وتنحرف بهم في تيار الغرائز البهيمية، والأهواء الجامحة عندما تبوَّأتِ العاهراتُ والمُومِسات مكانةً عالية في المجتمع لا نظيرَ لها في التاريخ، وأصبحت بيوتُهن مركزاً يَؤُمُّه سائر طبقات المجتمع، ومرجعاً يَرجِعُ إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة، وعندما صَنَعوا التماثيل العارية لتحرِّكَ فيهم الشهوات دوماً، وتَمُدُّ في غرائزهم البهيمية؛ اندثرت حضارتهم، وتلاشى مجدهم وعزهم..

وبالمثل نجدُ أن الرومان الذين بلغوا ذُروةَ المجد والرقي في العالم بعد اليونانيين، لما تراخت عُرى الأخلاق، وصيانة الآداب في مجتمعاتهم، وغَرِقوا في الشهوات البهيمية، وتجاوزوا الحد فيها، دَالَتْ دولةُ الرومان، وتمزَّق جمعها كل ممزَّق.

وصدق قول الشاعر فيهم:

وإنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ ... فإنْ همُ ذَهَبَتْ أخلاقُهم ذَهَبوا

وها نحن نُواجَه في عصرنا الحاضر بمثل ما كان عليه ضياعُ هذه الأمم وتهدمها بصورة أشدَّ ضراوةً؛ فإنه بالإضافة إلى وجود التماثيل العارية، فقد

انتشرت المصوَّرات العارية والمجلات والكتب الإباحية، وسَهَّلَت وسائلُ الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة كلَّ السبل أمام انتشار الفواحش وهيمنتها على العقول والنفوس، فالأغاني تَدْعُو إلى العِشق، والأفلام والمسلسلات التليفزيونية تُبرِزُ النساء بطاقتهن الإغوائية كاملة، حتى في الدينية منها.. حتى الإعلانات أصبحت يَنْدى لها الجبين، والتي تحتَلُّ مكاناً بارزاً في الشوارع، أو على شاشة التليفزيون.

كما أَخَذَت الحكومات في بلاد العرب والمسلمين تُكرِم المغنين والمغنيات، والممثلين والممثلات، الأحياء منهم والأموات! وتغدق عليهم الجوائز التقديرية، والمكافآت التشجيعية، والمعاشات الدائمة، كما أنشأت لهم نقاباتٍ تعتني بشؤونهم، وتَكفُل حقوقهم، وترفَع من مكانتهم التي كانت محتقرة إلى زمن قريب لدى الناس.

ولقد أصبحت الممثلاتُ مثلاً أعلى، وقدوة يُحتَذى بهن، وتتنافس فتياتنا في تقليدهن تقليداً أعمى في الزي والهيئة والحركات!.. حتى في طريقة النطق بالألفاظ.. وصَدَرت مجلات تُعنى بأمورهن فحسب، مثل مجلة «الكواكب» مصرية، و«الموعد» لبنانية، و«الشبكة» لبنانية أيضاً.. وغير ذلك من المجلّات التي تروِّج لهؤلاء، وتَنشُر سخافاتِهم، وتضيع وقتَ شبابنا في متابعتها وملاحقتها، وليتَ الأمرَ يقتصر على ضياع الوقت، بل وعلى ضياع شبابنا أنفسهم.. بل وضياع بلادنا ومقدساتنا!.

ذكر الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه «درس النكبة الثانية» أنه: «وزِّعت قبل المعركة بأيام (أي: معركة عام ١٩٦٧ م، والتي أدَّت إلى ضياع القدس وفلسطين كاملةً وسيناء والجولان) عشراتُ الآلاف من صور المطربات والممثلات على الجنود المرابطين في خط النار، تشجيعاً لهم، وتقوية لرُوحِهم!!!.

وكانت بعض الإذاعات تُلهِبُ حماس المحاربين في ساعات القتال

الرهيبة بمثل هذه الكلمات: قاتِلوا واضربوا واسحَقوا العدو، إن الفنانين والفنانات من ورائكم.. إن فلانة المطربة معكم، والأخرى الممثلة بجانبكم!!.

أمَّا الله وملائكته وتأييده فلم يكن في الحساب.

لا عجب إذن ـ وقد تخلَّينا عن الإسلام ـ أن يَحجُبَ الله نصره عنا، وأن يسلِّط علينا عدوه وعدونا»[1].

«وكذلك اعتَرَف المؤرخون بأن السبب الرئيسي في سقوط باريس عاصمة فرنسا، أثناء الحرب العالمية، واستسلام الجيش الفرنسي أمامَ جيش الألمان خلال أسبوعين، هو الانغماسُ في الشهوات، والانكباب على اللذات، والخوف على مراقص ومواخير باريس من قنابل الألمان، مع أن خطَّ ماجينو الدفاعي الذي أنشأته فرنسا لحمايتها، كان أحصنَ وأشدَّ ما عُرف في التحصينات الحربية في ذلك الحين»[2].

وهل ضاعتِ الأندلسُ من أيدي المَسلمين إلا بعدما غَرِقوا في الترف والملذَّات؟.

وها هو «الاتحاد السوفييتي» ـ الذي يُعتَبَرُ عند من يقيس الأمور بظواهرها «دولةً عُظمى»، ويَمتلك من السلاح والتكنولوجيا الحديثة ما يكفي لتدمير الكرة الأرضية عشرات المرَّات ـ قدِ اندَحَرَتْ فُلُولُه مهزومةً ذليلةً خاسئة أمام قوة وعظمة وفاعلية الإسلام، المتمثلة في رجالٍ صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، لا إسلام النظريات والشعارات الكاذبة المخادعة؛ أولئك هم رجال الأفغان المسلمون الحُفَاة العُراة، الذين لا يملكون سوى الأسلحة البدائية.. وما ذلك إلا لأن هؤلاء السوفييت الملاحدة قد أسلموا أنفسهم للشهوات،

(١) «درس النكبة الثانية» للقرضاوي، ص ٣٨ ـ ٣٩ باختصار.

(٢) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ١٣٨.

وغَرِقوا في الماديات، واعتنقوا المبادىء الهدَّامة التي يَستَنْكِف عن اتباعها أعتى الشياطين، فقد تنكَّروا للخالق وللأديان، واتَّبعوا نظرياتٍ فاسدةً عقيمة وضع أسُسَها اليهود منذ إنشائها، وكان غالبية أعضاء الحزب الشيوعي عند إنشائه يهود؛ صبغوا الشيوعية كفكرة هدَّامة لتضليل الشعوب، وإقصائها عن الحق، تحت شعارات تقدمية زائفة..

والآن، وبعد الجرح العميق الذي لن يَنْدَمِلَ للروس، قام زعيمُهم الحالي «چورباتشوف» بقَلْب المفاهيم الشيوعية رأساً على عَقِب، وخرج على العالم بما يُسمَّى «إعادة البناء».. وأخذ يَبحَثُ عن بديل للشيوعية بعد أن أعلنت فشلها وإفلاسها في جميع الميادين.. ولكن يا للأسف! لا نجد من الذين ارتدُّوا للشيوعية من أبناء العرب والإسلام مَن يتَّعظ ويتراجع، بل إنهم يدافعون عن الشيوعية دفاعَ المستميت، ويجعلون من مبادئها ديناً، ومن صانعها ومبتكرها ـ كما تُبتَكَر الموضات والأزياء ـ معبوداً!.

وهذا ارتكاسٌ ما بعدَه ارتكاس وتردٍّ، وجهل مركَّب ما بعده جهل.. لأنه اعتناق لمبادىءَ هدامةٍ أنكرها أهلُها، وسَئِموا منها، بعد أن أذاقهم الأمرَّين، وجَلَبَتْ عليهم الخِزْيَ والهزيمة، بل والفقر؛ فها هي روسيا الشيوعية تَشْكُو اليوم من نقص المواد الغذائية!.

لقدِ انْقَلَبَ ميزانُ القوى في العالم، وأيقن الجميعُ أن الإسلام هو القوة الفولاذية الوحيدة في هذا العالم.. وأن الإنسان المسلم الحق هو إنسان الحضارة بمفهومها الإنساني الحقيقي..

أضِفْ إلى ذلك كلِّه أن أعمال الجاسوسية والخيانة العُظمى للأمة، وتسريبَ أسرارها إلى أعدائها، يَتِمُّ تحتَ إغراء الجنس والمال والترف!.

ولما كانت المرأةُ هي الأداة الأساسية في هذا الشأن، فإن الذي شجَّعها على ذلك هو التخلي عن الحجاب والفضيلة التي نادَتْ بها جميعُ الأديان.

٤ ـ الأضرار الصحية للموضة والتبرج والاختلاط:

يؤدِّي اتِّباعُ الموضة إلى الكثير من الأضرار الصحية المتنوعة، أنقُلُ طرفاً منها عن كتاب «حكيم البيت»، الذي اشتَرَك في وضعه نُخبَةُ الصف الأول من الأطباء الأخصائيين وأساتذة الطب في ج.م.ع:

فمن ناحية **الأمراض الجلدية**: يقول الدكتور حسن الحفناوي:

«البرمانَنت[١] هو عدوُّ الشعر رقم (١)، وبعدَه صَبغَةُ الشعر دون مناسبة، ثم الريجيم الغذائي الذي يُعمل بغير نظام طبي، فيسببُ نقصاً في مادةٍ أو موادَّ من المواد الهامَّة في بناء الجسم، واستمرار سلامة كيانه، وأكثر أنواع التبقُّع الجلدي انتشاراً «التبقع الفِطري»، وهذا المرض منتشر جداً عند السيدات اللواتي يُسْرِفْن في استعمال المساحيق والكريم والمراهم والعطور، واللواتي يُعرِّضْن بشرتهن للشمس في المصايف.

وفي عيادة **السرطان** (مرض المدنية الحديثة):

أعلَنت هيئةُ الصحة العالمية طِبقاً لتقارير خبرائها أن «أحمر الشفاه»[٢] قد يُسبِّبُ الإصابة بالسرطان.

وأثار الدكتور «جريمس» ـ وهو طبيب كندي مشهور ـ معركةً في صحف بلاده ومحافِلِها العلمية، بإذاعته لبحثٍ له ذَكَرَ فيه أنه ثبت أن «المايوه البكيني» سببٌ مباشر للإصابة بالسرطان.. ذلك أن نسبة كبيرة من أجسام النساء تتعرضُ للشمس، بينما لا تتعرض الأجزاء المغطّاة بالبكيني[٣]، وهذه الأجزاء المختفية هي التي لا تتعرَّضُ للإصابة بالسرطان.

---

(١) يُقصد بالبرمانَنت تجفيف الشعر بالكهرباء بواسطة أجهزة خاصة، منها ما يُعرف باسم «السشوار».

(٢) أحمر الشفاه: هو ما تصبغ به المرأة شفتيها بقصد التجميل، ويسميه البعض باسم «الروج».

(٣) البكيني: لباس للاستحمام في البحر، مكوّن من قطعتين فقط لا تكادان =

وقد أيَّدَ الدكتورُ إسماعيل السباعي، أستاذ الجراحة بمعهد السرطان، أن لهذا البحث نصيباً من الصحة، إذ أن كثرة التعرُّضِ للشمس تُعَدُّ من أهم أسباب سرطان الجلد! (ومن المعلوم أنَّ من الموضات ما يُعرِّي أجزاءً كثيرةً من الجسم فتتعرض هذه بدورها للشمس).

وفي نهاية هذا الباب وَرَدَتْ نصيحةٌ تحت عنوان «للنساء فقط»:

اعتدلي يا سيدتي في استعمالِ مساحيقِ ومستحضراتِ الزينة، فإن بعض المواد الداخلة في صناعة بعضها تشكِّلُ خطراً.

تجنَّبي التعرضَ المنتظم للشمس طويلاً.

وفي عيادة جراحة التجميل يقول الدكتور جمال الدين البحيري: الأساس في التجميل هو العناية بالبشرة، حتى يُتَّقى إضرار مساحيق الماكياج بالجلد، ويكون الجلد صحيحاً قوياً قادراً على مقاومة أضرار هذه المساحيق..

ويقول: ليس لِزاماً على كل سيدة أن تلتزم «الموضة» في أحمر الشفاه، ولكن عليها أن تحاوِلَ تقريب الخطوط الطبيعية لشَفَتَيْها من خطوط الموضة ما أمكنها، وحسب ما يتلاءَمُ مع مظهر جمالها»[1] اهـ.

ويقول الدكتور وهبة أحمد حسن ـ كلية طب جامعة الإسكندرية ـ:

= تستران من سوأة المرأة شيئاً، وهو لباس فاضح، ربما كانت صاحبته أكثر احتشاماً في غرفة نومها عن وقت ارتدائه على الشواطىء.. وهذا اللباس المعروف بالمايوه خضع للموضة كذلك؛ فقديماً كان عبارة عن سروال طويل وقميص، ثم تطور ليصبح قطعة واحدة تخفي الصدر والبطن والأرداف، مع ترك الظهر وباقي الجسم عارياً.. ثم أصبح من قطعتين ضئيلتي الحجم تخفيان حلمتي الثديين وحلقتي الدبر والفرج فقط.. وهذا التهتك انتشر على شواطىء بلاد المسلمين، وتنفذه نساء محسوبات ضمن تعداد المسلمين!!!.

(١) «حكيم البنت» إعداد د. محمد رفعت.

«. . . ماكياجات الجلد لها تأثيرُها الضار، فهي مصنوعة من مركَّبات معادن ثقيلة: مثل الرصاص والزئبق، تُذابُ في مركبات دُهنية مثل زيت الكاكاو، كما أن كل المواد الملونة تدخُلُ فيها بعضُ المشتقات البترولية، وكلها أكسيدات تَضُرُّ بالجلد، وإن امتصاص المسام الجلدية لهذه المواد يُحدِث التهاباتٍ وحساسيةً، أما لو استمرَّ استخدام هذه الماكياجات فإن لها تأثيراً ضاراً على الأنسجة المكوِّنة للدم والكبد والكِلى. . فهذه المواد الداخلة في تركيب الماكياجات لها خاصية الترسيب المتكامل، فلا يتخَلَّصُ منها الجسم بسرعة»[1].

كما أن انتعال الأحذية ذاتِ الكعب المرتفع، والتي تُقَرِّرُها الموضة بين حين وآخر يؤدي إلى إرهاق القدمين. . كما يؤدي إلى آلام الظهر. . فقد قرَّر بعض الأطِبَّاء أنه من أسباب انقلاب الرَّحِم انتعالُ الأحذية ذات الكعب المرتفع، مما يؤدي إلى إسقاط الحمل عند الحوامل. . والشعورِ بالآلام الشديدة أسفلَ الظهر لدى غيرهن من النساء.

فهل اعتبَرت المتموِّضاتُ المتبرجاتُ اللاتي أمرهنَّ الإسلام بالقَرَارِ في البيوت، والالتزامِ بالحجاب الذي يَستُرُ أجسادَهن عن التعرض للشمس وغيرها من المؤذيات. . وقد سبَقَ وعَلِمْنا أن وجودَ المرأة في حَمَّامات السباحة أو على شواطىء البحار وتعرِّيها، كفيلان بإصابتها بالسرطان!.

لقد وَقفْتُ طويلاً أمامَ قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [سورة النحل: ٨١]، والسرابيل: هي الثياب.

وكنت أتساءَل عن السرِّ في إشارة الله تعالى إلى أنه رَزَقنا ثياباً تَقِي من الحر، مع أن البرد أولى بالاتقاء! وكنت أُدرِك أن وراء كلمات علَّام الغيوب

---

(١) عن كتاب «التحديات في وجه المرأة المسلمة» لأنور الجندي، ص ٦٦.

أسراراً بالغةَ الأهمية.. فلما قرأت تقارير الأبحاث الطبية أن التعرض لحرارة الشمس يُسَبِّبُ الإصابة بمرض السرطان الخطير، والذي يؤدِّي إلى الموت.. أدركت السر الرباني في تخصيص تفضُّلِه علينا بالثياب وِقايةً من الحر، مع أن الناس يَنزِعُون في الحر إلى التجرُّدِ من الثياب.. فللّه الحمدُ، وله المِنَّةُ والفضل، تبارك اللّهُ أحسن الخالقين.

أما عن الأضرار الصحيّة الجنسية الناشئة عن الاختلاط والتبرج واتباع الموضة، والأمراض الجنسية التي تُهدِّدُ كلَّ مَن يَنْحَرِف في حياته عن الوِجهة السليمة، فإنها استشرت وارتفعت نسبتُها في بلاد الغرب والشرق، وتزداد نسبةُ هذه الأمراض زيادة طَرديَّةً مع نسبة الإباحية والاختلاط والتبرج.. ومن هذه الأمراض نذكر بإيجاز:

«أ ـ الزهري: وهو مرضٌ مُعْدٍ خطير.. أعراضه الأولى: قُرْحة صُلْبَة تظهر بعد ثلاثة أسابيع من الإصابة، إما على الأعضاء التناسلية، أو في موضع آخر: مثل الشَّفَة العليا عَقِب القُبلة، وبين الحاجبين، وفي ثَقْب الأنف، وفتحة الأذن، أو بين الثَّدْيَيْن.

والأعراض تظهَرُ على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: القُرحة.

والمرحلة الثانية: مهاجمةِ مِيكروب «الزهري» لأي عضو في الجسم، خصوصاً إذا كان العضو مصاباً من قبل إصابة مرضية أخرى: مثل القلب والكِلى والكبد.

والمرحلة الثالثة: تظهَرُ فيها بُقَع وردية مختلفة، تنتشر في بعض أجزاء الجسم وتُرى بالعين المجرَّدة، وقد تُحدِث بقعاً مخضرَّةً في اللِّثةِ وفي الحلق، وتُسبب صعوبة في المَضْغ وبعض حالات سقوط الشعر.. وأعراض المرحلة الثالثة تجيء بدرجات متفاوتة بعد أعراض المرحلة الثانية بأشهر، أو ربما سنين.

وهناك كثير من الأمراض الجلدية تَنتُج عن الزهري مثل القُرحة الصمغية التي تشوّه الجلد، كما أن هناك أمراض أخرى: مثل الشلل والجنون والصَّرَع، وغيرها من الأمراض العصبية، وقد يهاجِم الميكروب العظام ويَنْخِرُ فيها كالسوس، وقد يُصاب المريض بالعَمى أو الصمم إذا ما هاجم الميكروب العينَ أو الأذنَ، وقد يُصاب بالذّبحة الصدرية إذا ما هاجم الميكروب الشرايين والأوردة، وكذلك أمراض الجهاز الهضمي.

ومريض الزهري يُجرِمُ نحو زوجته وذريته ووطنه إذا تزوَّج دونَ أن يُعالَج؛ إذ يَنْقُلُ العدوى إلى زوجته، وإن لم يحدُثْ لها إجهاض تُنجِبُ ذريةً مشوَّهة غبية ومنحرفة، تُعمِّرُ الإصلاحيات والسجون ومستشفيات الأمراض العقلية. ومن طرق الوِقاية العدولُ عن الشذوذ الجنسي بمختلف صوره.

وهناك بعض البلاد في أوروبا يَنتَشِرُ فيها الزهري بصورة مفزعة مثل بريطانيا ذات السمعة المعروفة في الشذوذ الجنسي.

ب ـ مرض السّيلان: ويصيب الأعضاء التناسلية والمجاري البولية، وهو مَرضٌ معدٍ خَطِر جداً على الفرد والأسرة والمجتمع، ويبلُغ انتشاره ثلاثة أضعاف انتشار الزهري.

ومن أخطر مضاعفاته إصابتُه لكل الأعضاء الحساسة، فيَحصُلُ فيهما ورم والتهاب شديدان، وقد يؤدِّي الأمرُ إلى تَلَفِهما، ويُصاب المريض بالعُقْم.

وإذا لم يُعالج المريض في الوقت المناسب يتحوَّلُ المرض إلى سيلان مزمن، وهذا من أصعب الأمراض علاجاً، ويسبِّبُ السيلان المزمن تصلُّبَ المفاصلِ بالروماتيزم السيلاني، وهو مرض عُضَال، قد يَصِلُ في الشدة إلى أن يُقعِد المريضَ تماماً.

كما يصاحب السيلان المزمن الإصابةُ بالنورستانيا، أو ضعف الأعصاب، وينشأ عنه ضِيقٌ في قناة مجرى البول قد يؤدي إلى احتباس البول تماماً.

والسيلان قد يُصيب العين: إما عن ملامسةِ المريض لعينه بيده الملوَّثة، أو لانتقال الجراثيم إلى الطفل أثناءَ الولادة من أمِّه المريضة.. ولذلك فإن السيلان مسؤولٌ عن نِسبةٍ لا يُستهان بها من الإصابة بالعَمَى.

ويصيب السيلان الرَّحِمَ والمِبْيَضَيْنِ عند النساء، وينشأ عنه العُقم المحقَّق، فضلاً عن الالتهابات والآلام والمتاعب التي لا آخِرَ لها، والتي قد تُنَغِّصُ حياةَ المريضة جميعَها.

جـ ـ القُرحة الرَّخْوة: وتَظْهَرُ هذه القُرحة على الأعضاء التناسلية، وقاعدتها رخوة، وتنتقل عَدْواها من المريض إلى السليم.

وهي تسبِّبُ ألماً للمُصاب، ويكون قاعُها مُغَطّىً بالصَّديد.. وكثيراً ما تظهر على الجسم عدةُ قُرَحٍ منها في وقت واحد.. وقد تتحوَّلُ هذه القرحة إلى قرحة أكَّالة تَتَّسع كثيراً ويَصعُب علاجها.

ومن مضاعفاتها حدوثُ ورم والتهاب بالغُدَد الموجودة أعلى الفخذ، مما قد يَنتُج عنه خراج يضطر المريض إلى فتحه بواسطة الطبيب»[1].

ويذكر الدكتور محمد كمال عبدالعزيز، المدرّس بكلية الطب ـ جامعة الأزهر ـ:

أن أسباب هذه الأمراض الجنسية الفتّاكة هي العلاقةُ الجنسية المحرمة، والوَطْءُ في نكاح محرم غير صحيح، ولا يمكن أن يَحدُثَ مطلقاً نتيجة وَطْءٍ حلال، ولا يمكن أن ينتقل المرض مطلقاً إلى عفيفٍ أو عفيفةٍ.

«وقد أطلق الدكتور محمد عبدالعزيز على أعراض مرض الزهري بمراحله الثلاثة اسم «وَصْمات العار»، وبيَّنَ أنها من سِيماء المجرمين التي

---

(١) «حكيم البيت» إعداد د. محمد رفعت، واشترك فيه نخبة الصف الأول من الأطباء الأخصائيين وأساتذة كلية الطب في جمهورية مصر العربية، ص ٧٨ ـ ٨٤ باختصار.

يُعرَفون بها.. وقد استشهد بالآية الكريمة: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ...﴾ [سورة الرحمن: ٤١].

وبيَّن أن لهذه الجريمة مقدِّمات وملابسات كلها فاحشة مثلها: فالتبرج، والاختلاط المثير، والكلمات والإشارات، والحركات، والضحكات الفاجرة، والإغراء والتزيُّن، كلُّها فواحشُ تُحيط بالفاحشة الكبرى..

ولأن هذه الفواحش ذاتُ إغراءٍ وجاذبية، كان التعبير «ولا تَقْرَبُوا» في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، للنهي عن مجرد الاقتراب؛ سدّاً للذَّرائع، ووقايةً واتقاءً للجاذبية التي تضعُف معها الإرادة.

كما ذَكَرَ أن غَضَّ البصر، وحفظ الفرج، والتحشُّمَ (بارتداء الحجاب) وسائل من وسائل الوقاية للفرد والمجتمع»[1].

د ـ «مرض الإيدز: وهو الرُّعْبُ الحالي الذي يُهَدِّدُ إنسان الغرب والحضارة الغربية بالفَناء، ويُصيبهم بالهَلَع والجَزَع، وهو مرض «الفشل المناعي» أي: فشل جهاز المناعة عند الإنسان، وهو أخطرُ من كل أنواع الفَشَل التي عَرَفها تاريخ الطب والمرض حتى الآن..

ومريض الإيدز يتحوَّلُ بعد إصابته إلى مجرد «هباءة» لا يكادُ يُحتَمل، أو يصمد أمام أضعف الأمراض، ويَقَعُ صريعَ الموت أمام نَزْلة بَردٍ، ويقضي عليه أقلُّ الميكروبات خطراً، وأضعفُ الفيروسات شأناً.

ومن الثابت حتى الآن أن أهم أسباب انتشار المرض والعدوى هو الشُّذُوذُ الجنسي»[2].

---

(١) «لماذا حرَّم الله هذه الأشياء؟» للدكتور محمد كمال عبدالعزيز، ص ١٨ ـ ٢٣ باختصار.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١ باختصار.

وبعد: فإن هذه الأمراض الجنسية وغيرها نتيجةٌ حتمية للبعد عن منهاج الله، والاستغراق في الشذوذ والإباحية التي ولَّدها التبرج والموضة والاختلاط.. فهل يَعْقِلُ الناس أن الله تعالى عندما يَأمُرُ النساءَ والرجال بأمرٍ، أو ينهاهم عن فعلٍ، فإن ذلك من قَبِيل الحرصِ عليهم.

ولقد توعَّد الله المنحرفين جنسياً، المظهرين للفواحش، بالأمراض التي لم تكن في أسلافهم، بل وبالموت كذلك.. وقد تحقَّقَ ما توعَّدَ به اللَّهُ تعالى أولئك الفَجَرة، فإن الأمراض الجنسية سالفةَ الذكر لم نَسْمَعْ بها إلا في عصرنا الحاضر، ولم تكن موجودةً فيمن قَبْلَنا.

كما أن مرض الإيدز يسبِّب موت الملايين بسهولة، فهو شديدُ العدوى، حتى إن بُصاقَ المريض به، أو مُخاطَ أنفه، يمكن أن يُعدِيَ مَنْ حولَه! ويتسبب له بالموت في غُضون أسابيع أو شهور قلائل.. ولذا كان الإسلام رحيماً بنا إذ مَنَعَ المسلم من مصاحبة ومخالطة أصحاب السوء.

«وقد أخرج الحاكمُ وقال: صحيح على شرط مسلم: «ما نَقَضَ قومٌ العهدَ إلا كان القتلُ بينَهم، ولا ظَهَرَتِ الفاحشةُ في قومٍ إلا سلَّطَ اللَّهُ عليهم الموتَ، ولا مَنَعَ قومٌ الزكاةَ إلا حَبَسَ الله عنهم القَطْرَ».

وأخرج ابنُ ماجه: أقبَلَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «يا معشرَ المهاجِرِينَ، خمسٌ خصالٍ إذا ابْتُلِيتُم بهنَّ ـ وأعوذ بالله أن تُدرِكُوهُنَّ ـ: لم تَظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنوا بها، إلا فَشَا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مَضَتْ في أسلافِهِمُ الذين مَضَوْا..» الحديث»[1].

٥ ـ الأضرار النفسية للموضة:

وهي أضرارٌ خطيرةٌ لا يُستهان بها، خاصةً وأنه من المعروف لدى

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لابن حجر الهيتمي، ج ٢ ص ١٣٩.

الأوساط الطبية في عصرنا الحاضر أن معظمَ الأمراض العُضوية قد يكون مَنشَؤُها نفسانياً!.

ولو تتَبَّعْنا ما تُخلِّفُه الموضة من آثار وأضرار نجد أن «المرأة المتبرجة (والمتموِّضةَ) تحاول أن تستأثر بنفسِها دون زميلاتِها بإعجاب الرجال بها، ولَفْتِ أنظارهم إليها، فتراها تسعى لأن تَلبَسَ أحدثَ الأزياء، وتستعملَ جميع وسائل الزينة من مساحيقَ وأصباغٍ وحلل.. وإنها إن وُجِدت مع نساء لم يَحُزْن ما حازَتْ حقَّرَتْهن وازدرتهن، وتعالت وتكبَّرت عليهن.. وإذا وُجدت مع نساءٍ سبَقْنَها وتفوَّقْن عليها في ذلك امتلأت نفسها غيظاً وحسداً وحقداً عليهن، وأصابها هَمٌّ وغم وحسرة وحزن.. وهكذا تجِدُها إما متكبرةً متعاليةً، وإما حاقدةً حاسدةً، وهذه أمراضٌ خطيرة في النفس، وأدواء فتّاكة في القلب، وآفات مُضعِفة للعقل»[1].

كما أن انشغالَ المرأة بالموضة، ومتابعتَها للأزياء، وكثرةَ خروجها لعرض زينتها، يؤدي إلى إهمالها لأطفالها، وتركهم إما لِدُورِ الحضانة، أو أيدي الخادمات، فينشأ الأطفال محرومين من الحبِّ والحنان.. مصابين بالعُقَدِ النفسية، والانحرافات الخُلُقية، فيَشِبُّوا في الغالب عُشّاقاً للجريمة، طلّاباً للشهوة، أشقياء الروح والجسد، محرومين من التنشئة الحَسَنة، والإنبات الطيب، بعيدين عن الدِّين، مُفتَقِدين للقُدْوة الحسنة، وصدق الشاعر القائل:

لَيسَ اليتيمُ مَنِ انتهى أبواه ... مِن هَمِّ الحياة وخلَّفاه ذَليلا
إنَّ اليتيمَ هو الذي تَلْقَى له ... أمّاً تَخَلَّتْ أو أباً مَشْغُولا

ويتبيَّنُ ذلك الأمر من النظر في المجتمعات المنحرفة، والتي تَسُودُ فيها الإباحية والفوضى الجنسية بلا ضابط ولا نكير.

---

(١) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ٩٢ باختصار.

فقد نشرت مجلة «آخر ساعة» في ركن «دنيا المرأة»: أن الإحصائيات الأخيرة تؤكد أن في الولايات المتحدة الأمريكية ١٢ مليون طفل يعيشون في ظروف غير صحية، ومنهم مليون طفل مشرَّد.

- في إيطاليا ٦٠ ألف طفل يعمَلُون في سنٍّ غيرِ قانونية.

- في إسبانيا ٤٠٠ ألف طفل يُعانُون من ظروف حياة قاسية.

- في إنجلترا يضطر ٢,٥ مليون طفل إلى العمل من أجل مساعدة الأسرة التي يَشْكُو عائِلُها من البَطَالة.

ويؤكد علماءُ الاجتماع أن الأوضاع الاجتماعية القاسية تسبب ارتفاع معدلات الجرائم، وتُعتبر إيطاليا أكثر بلد في العالم تُرتَكَبُ فيه جرائم الأطفال.

هذه الإحصائية الحديثة تَذْكُر طرفاً مما يعانيه الأطفال في الدول المذكورة.. أما عن بقية بلدان العالم فإنها تعاني بالمثل كلٌّ حسبَ حالته.. وما ذُكر على سبيل المثال لا الحَصْرِ.

وإنه لمن المثير للحسرة والألم أن التبرج والموضة والاختلاط والإباحية، ولَّدَ سُعَاراً جنسياً لم يُطفَأ بارتكاب فاحشة الزنى، بل تعدَّاه إلى الشذوذ الجنسي «اللواط»، وليت الأمر اقتصر على الكبار، بل تعدَّاه إلى التغرير بالقاصرين (الأطفال)..!!.

إن أعداء الإسلام هاجموا الحجاب الذي يَضمَنُ عِفَّة وطهارة الجنسين، بحجة أنه يُولِّدُ الكَبْتَ الجنسي.. ويأبى اللّهُ إلا أن يُتِمَّ نورَه بإشهاد خلقه على أن الذي يُولِّدُ الكَبْتَ الجنسي والشذوذ الجنسي هو التبرج والاختلاط والانحلال.. وكلما عاش الناس مرحلةً من الفجور انتقلوا إلى أخسَّ وأحطَّ منها، وما ذلك إلا لكَبْتِهم النفسي الذي لم يَرْتَوِ، فمن زِنىً إلى لواطٍ إلى فعل الفاحشة بالأطفال!.

«وقد قامت مجموعة من الباحثين الاجتماعيين النرويجيين بتصوير فيلم «سراً» عن عمليات التغرير بـالأطفال واستعمـالِهم جنسياً في عـدة دول من العالم، على رأس هذه الدول: البلد الأول في العالم، الولايات المتحدة.. يَلِيها الفلبين.. إلخ.

ويَسمَحُ القانون ببيع أفلام وصُوَر وكتب جنسية خاصة بالأطفال.. ومنها صورة طفل عمره [redacted] سنوات يَنَامُ على السرير عارِياً، وتُلتَقَطُ له صور مع وحش يمـارِسُ الجنس!!.

وهناك طبيب ذَهَب من النمسا ـ لإشباع غريزته المتوحشة ـ إلى الفِلِبِّين، فاختار من هناك طفلاً عمره [redacted] سنوات، وطفلة عمرها ٥ سنوات، لم يترُكْهُما هذا المتوحش إلا بعد أن فَارَقا الحياة!.

وقامت دراسات عالَمية بيَّنَتْ أن ٢٥٪ من أطفال الدانمارك تعرَّضُوا لهذه الجـريمة القَـذِرة البشعة.. وينتمي مُـرتَكِبـو الجـريمـة إلى جميـع طبقـات المجتمـع، والكثيـر منهم استُغِلُّوا من آبـائهم المـدمنين على المخـدرات والكحول، أو أزواج أمهاتهم.

وكذلك ٦٪ من أطفال السويـد تعرَّضـوا لهذه الجـريمة، و ١٤٪ من أطفال النرويج تعرَّضوا لهذه الجريمة القذرة»(١).

وهذه صورة على سبيل المثال فقط.. والأرقام الحقيقية أعلى من ذلك بكثير، لأن هذه العمليات هي أكثرُ العلميات الجنسية سريةً في العالم!.

من ناحية أخرى فإن اتِّباعَ المرأة للموضة يؤدي إلى جعلهـا منحرفـةَ الفِطرة، إذ أن في إطالتها لأظفارها، وكذلك تشبُّهُها بالرجال فيما ترتديه من أزيـاء كثيراً مـا تَفرِضُها الموضة، يعني أن هناك نقصاً في أنوثتها، وانحرافاً

---

(١) مجلة «البيادر السياسي» العدد ٣٤٠ ـ السنة الثامنة ١٨/٣/١٩٨٩م، ص ٣٧ باختصار.

في نفسيتها عن الفطرة السليمة. . كما أن الموضة تأتي بما لا يتناسَبُ مع شخصية الإنسان أو سنِّه، أو شَكْلِه العام، بل ولون بشرته.

ويتلاعب مصمِّمو الأزياء بعقول من يتبعونهم، فتارةً يجعلون الرجل أنثى، والأنثى رجلاً، وتارةً يجعلون من الرجل حشرةً (كما ظَهَر في موضة الخنافس)، وتارةً أخرى متوحِّشاً (بموضة الهيبز). . وهَلُمَّ جراً.

أما عن المرأة، فإنها تكون بالموضة مرةً محتَشِمَةً، ومرةً خليعة فاجرة، ومرة لامبالِية، ومرة تبدو كالبَلْهاء، وذلك بحسب ما يَفرِضُونه عليها من أزياءَ وموضاتٍ.

وهذا كلُّه مسخ للفطرة، وتلاعب بالشخصية، واستهزاء بالعقل الإنساني. . كما أن الملابس تَعكِسُ شخصية من يرتديها. . ولما كانت الموضة لا تميِّزُ بين شخصيةٍ وأخرى، فإن اتِّباعها يَدُلُّ على الضياع النفسي، والضحالة الفكرية.

ويؤدي اتباع الموضة إلى ارتداء الأزياء الفاضحة التي تُخالِفُ ما أَوجَبَهُ الدِّين على المرأة من ستر وحِشمة. . بل وسائر أوامر الدين، ولذلك نجد أن من يتبع الموضة ينتهي إلى الفَراغ النفسي، والخَوَاءِ الروحي.

أضِف إلى ذلك أن المتموضة تسعى إلى مشاهدة عروض الأزياء التي تُشبِه سوق الرقيق، حيث تَبرُزُ عارضة الأزياء أمامَ حشدٍ كبير من الرجال والنساء يتأمَّلون جسدها وما عليه من ثياب، وتقوم تلك «العارضة» بالتثَنِّي والتمايُل أثناء العرض بحركات متقَنَةٍ مدروسة زيادةً في الإغراء والإغواء. . وهذه العروض التي تُعتَبر سوقاً للفسق والفجور، راجت واستشرت في بلاد المسلمين كالداء المستعصي الوبيل.

ويَحسَبُ التقدميون! أنهم باتباع الموضة والتبرج والاختلاط، وعقد عُروض الأزياء ومسابقات الجمال، قد صاروا في مَصافِّ الشعوب الكبرى، والأمم العُظمى. . وما ذلك إلا نتيجةٌ للقصور في الفكر والنظر، والانحراف

في التصور والاعتقاد. إذ أن للتقدم أسبابَه وللتخلُّفِ أسبابه المعروفة، وليس للزينة والأزياء، ولا للتكشف والتَّعَرِّي، أدنى صلةٍ بالتحضر والتقدم، بل على العكس؛ فإنه من المعلوم لدى كل ذي بصيرة سوية صحيحة أن التعري من مميزات الشعوب المتخلفة، والعصور المتحجرة، وأنه يَعمَلُ على هدم الحضارات، وضَياع المدنيات، بما يَفرِزُه من أضرار وأخطار نحن بصدد ذِكرها.

حدث في السبعينات ـ عندما سادت موضة الميكروجيب (وهو الثوب الذي يُعَرِّي الفخذين والساقين تماماً ولا يكاد يُغَطِّي سوى البطن والظهر) ـ أن تحدّثت مقدِّمة برنامج «للنساء فقط» الذي تُذِيعه إذاعة «الشرق الأوسط»، وذلك بتاريخ ١٤/٧/١٩٧٤ م، عن ذلك الأمر المشين قائلة:

«الميكروجيب (يساوي) = خوفاً وقلقاً. هذا ما يؤكِّدُه بحثٌ قام به علماء النفس حديثاً، فهم يَصِفُون المرأة التي ترتدي الملابس القصيرة بأنها امرأةٌ غيرُ مستقرةٍ، وأن عواطفها لم تَنْضَجْ بعد، وتبيَّنَ أن اقتحام المرأة لميدان العمل ومنافستها للرجل، يجعَلُها تخشى أن تفقِد الإعجاب في عينيه (ولهذا تُعَرِّي جسدها، لكي تثيرَ إعجابه، وتَلفِتَ انتباهه).

كما يَذكُر البحث أن موضة الملابس القصيرة قديمة جداً، وُجدت في أيام الفراعنة، وبصورةٍ أكثر شفافية، وأن موضة الفتحات في الفساتين ـ وبالأخص فتحات الصدر والظهر ـ قد وُجِدت في فرنسا قديماً، قبل عصر نابليون[1]، وأُطْلَق عليها علماءُ الدين اسم «نوافذ الجحيم».

كما تؤكد الأبحاث أن الملابس القصيرة تدُلُّ على طُفولة مرتديتها (أي:

(١) إن ما توصل إليه هذا البحث هنا، يؤكد بصورة قاطعة أن الموضة أكذوبة كبرى، فبينما يدل اسمها على العصرية والحداثة، نجدها في حقيقتها تأخر ورجعية، وعودة إلى أيام الجاهلية، بما فيها من كفر وفجور وخلع للحياء!.

على صِغَرِ وتفاهة عقلها)، بينما كلما زادَت المرأةُ من غموضها واحتشامها، كلما زاد سِحرُها وجمالها في عين الرجل» اهـ.

وتَجدُرُ الإشارة إلى أن هذا البرنامج ليس برنامجاً دينياً، وما ذكرته المذيعة من أقوالٍ هي للعلماء الذين تَثِقُ بهم المتموضة (لأنها ترفض أقوال علماء الدين، وتقبَلُ بأقوال علماء الدنيا).. فلتعتبر بذلك، ولتتراجع عما هي فيه من غيٍّ وضلال.. ولتَفْطَنْ إلى إشارتهم بأن تلك الموضة قديمة جداً.. أي: أن في اتباعها «رجعية».. وبذلك شهد شاهد من أهلها.

كما أنني سمعتُ من أحد البرامج الإذاعية في الفترة التي سادت فيها موضة الحواجب المندهشة المقوَّسة أن «آخر خطوط أزياء الموضة مُقتَبسة من القرن الذي كان يَحكُم فيه لويس الخامس عشر، وأن خطوط الماكياج والحواجب المقوسة الرفيعة جداً هي من خطوط ذلك القرن كذلك»!.

وكثيراً ما نلاحظ أن المجلات النسائية تكتب تحتَ الكثير من الأزياء التي تعرِضها ـ وكأنها أزياءٌ حديثة، وموضات جديدة ـ العبارة التالية:

«ملابس جَدَّتي أصبحت موضة».

ويخدعون الناس بإيهامهم أن الموضة أزياء حديثة، وهذا منتهى الجرأة والوقاحة.. ولكن مَن يسمع ويبصر ويُدرِك الحقائق.. إن أتباع الموضة أصبحت لهم قلوب لا يَفقَهُون بها، وأعين لا يُبصِرون بها، وآذان لا يسمعون بها.. إنهم كالأنعام بل هم أضل.

كيف بالله يُطلَقُ على الموضة التي تدُلُّ على الجِدَةِ والحَدَاثة بأنها من ملابس الأجداد القديمة.. ولا يَنتَبِهون إلى أنهم خُدعوا، بل على العكس نجد أنهم يحرِصون على اتباعها حرفياً، فتستنزف أموالهم، وتنحرف عقولهم، جرياً وراء سراب خادع، ووهم كاذب، واسم على غير مُسَمّىً!.

أضف إلى ذلك أن استخدام الشَّعَر المستعار موضة قديمة جداً،

اتخذتها نساءُ اليهود قبل مجيء الإسلام. . فهي إذن موضة جاهلية رجعية، فضلاً عن أنها تتدخَّلُ لتُغَيِّرَ خِلقة الله الطبيعية للإنسان، وكذلك الحال بالنسبة للوشم والتنمُّص، وهذا يوجب اللعن للفاعل والمفعول به ذلك العمل (أي: الطرد من رحمة الله كما طُرِد إبليس). . وسنبيِّن ذلك الأمر بالتفصيل إن شاء الله في الفصل القادم.

فكيف غَفَلَتِ المرأة، وغَفَل الرجل، بعد ذلك كلِّه عن أن اتباع الموضة رجعية وانتكاسة، وليس كما أوهمهم أعداءُ الله وأعداؤهم أن التمسك بالدين هو الرجعية، تنفيراً منه.

ومما يؤكد أن هؤلاء الأعداء يهدفون إلى تدمير قيمنا. . وأن غاراتهم التي يشنونها علينا تحت هذه المسمَّيات الكاذبة تهدف إلى تحطيمنا مادياً ومعنوياً؛ هو أننا لا نجدهم يَتَّبِعون ما يُصَدِّرُونه إلينا من موضات. . ولقد كنتُ في بلاد الغربة أرى الكثيرات من النساء الأوروبيات والأجنبيات بصفةٍ عامة يَرْتَدِين الملابس البسيطة الرخيصة، والتي لا تَمُتُّ إلى الموضة بصلة، ويَنْتَعِلْنَ الأحذية الرياضية المصنوعة من الكاوتشوك، ويحمِلْنَ الحقائب السفرية (Hand bag)، وليست تلك الحقائب المزينة المزخرفة، والمتجددة في كل آن وأوان. . وكثيراً ما كنت أراهن يَنتَعِلْنَ الشباشب المطاطية، التي نستنكف نحن من انتعالها خارجَ البيت، ونَقصُر استعمالها على الحمام أو المرحاض!.

لقد انصرَفَ أولئك القوم إلى غايات أعلى. . وصرفوا جهودَهم إلى ما يَكفُل لهم التقدُّمَ العلمي، حتى سبقونا، بينما انشغلنا نحن بالزينة والمرآة حتى استغرق ذلك جُلَّ أوقاتِنا، وبدَّد جهودنا، فصِرْنا عالةً عليهم، يتحكمون فينا، ويستنزفون أموالنا، ويُعَطِّلُون طاقاتنا. .

انصرفنا إلى التفاهات، وغَرِقنا في الضحالات والمستنقعات، وقَنِعْنا بأن التقدم يَكْمُنُ في الزي والشكل والهيئة، وليس بالبحث والعلم والاختراع. .

فكانت هزيمتُنا النفسية الكبرى، والتي أَبَى أعداءُ الله إلا أنْ يوهمونا أنَّ تأخُّرنا يرجع إلى اتباعنا لديننا، حتى أصبحت الدنيا بزخارفها الكاذبة هي أكبر همنا، ومَبْلَغ علمنا، فتسلَّط علينا بذنوبنا من لا يخافُ اللَّهَ ولا يَرحَمُنا!!.

وأخيراً.. ثبت أن الموضة خُدعة كبرى، تكشَّفت لكل من حاول الاتصال بها لدراستها، فقد نَقَلَ إلينا الأستاذُ أنور الجندي في كتابه «التحديات في وجه المرأة المسلمة» ما يُبَرْهِنُ على ذلك:

«يقول صلاح حمدي (الجمهورية ١٢/٢/١٩٦٩ م)[1]: إنه ذهب إلى باريس (عاصمة الأزياء) لِيَدْرُسَ خطوط المُودَه، وعاد منها بعد ستة شهور ليقول بأعلى صوته: ليس هناك في بلاد الموضة ما يُسمى موضة. لقد خَدَعُونا بآسم الموضة، وضحكوا علينا، لترويج بضاعتهم، ولكنهم أبداً لا يستعملونها في بلادهم، والدليل: أني لم أجد في باريس، ولا في أوروبا كلِّها، فتاةً أو سيدة تَلبَس «الميني جيب»، أو «الميكروجيب»، أو تلبس الفساتين الضيقة التي يستَجِير منها الجسد. لم أر هناك أثراً لما يُغرِقُ الأسواق على شكل بضائع مستوردة.

وتعلَّمَتْ أن الموضةَ ـ قبل كل شيء، كما يؤكِّدُها مصمِّمُو الأزياء ـ هي ما يتلاءَم من ملابس وتسريحات مع ظروف كلِّ بلدٍ الاجتماعيةِ والمناخيةِ، وأيضاً مع تقاليدها وتاريخها.

وقال: إن المرأة المصرية (والعربية عموماً) ـ مع الأسف ـ خيالية أكثر من اللازم، وليست لها شخصية، فهي تَجْرِي وراءَ الموضة بدون وعي، فهي تلبس الثوب «الميكرو» رَغْمَ قِصَرِ قامتها، وسُمنَة ساقيها، وتلبس «الميني» رغم البروز والمنحنيات الطبيعية في جسمها. لقد تَرَكَتْ حضارتنا الأصلية لتَجْرِيَ وراء كل ما يَرِدُ من الخارج، سواء في اختيارها للألوان التي تلائم

---

(١) «الجمهورية» صحيفة يومية تصدر في مصر.

بشرتها، أو نوع النموذج المناسب لقوامها، أو لنوع القماش الموجود في السوق.

والسبب: هو أن المرأةَ حين تختار نموذجاً (موديلاً معيناً) تنسى نقطتين هامتين:

الأولى: أن الصورة في أي كَتَالُوج يَلعَبُ بها خِداع التصوير دوراً كبيراً.

الثانية: أن النموذج (الموديل) له نِسَب معينة لا تَتَّفِقُ مع مقاييس المرأة المصرية (والعربية عموماً).

وهكذا نجدُ أن المرأة المسلمة مخدوعةٌ أشدَّ الخداع إزاء هذه التيارات الخطيرة التي تريد اجتياحها، وتدمير مقومات خلقها وشخصيتها» اهـ.

٦ ـ الموضة هدم للمجتمع الإسلامي، ومحو للشخصية الإسلامية:

إن في التبرج واتباع الموضة محواً لمعالم الشخصية الإسلامية، حيث إن المرأة المتبرجة المتموضة تَنبِذُ الحجاب الذي فَرَضَه الإسلام تحصيناً للأسرة والمجتمع، وضماناً للطهارة القلبية بين الجنسين.. كما أنها تأنَفُ من اتباع التعاليم الإسلامية الواجبة: كالقَرار في البيت، وعدم الخروج إلا للضرورة، أو بإذن الزوج.. وعدم الاختلاط بالرجال، فضلاً عن أهمية عدم مجالستهم ومصافحتهم.. وغير ذلك.

حتى أصبحنا نَفْتَقِدُ في مجتمعاتنا الإسلامية البيتَ الإسلامي المتكامل.. والصورة الصحيحة للمجتمع المسلم.. حتى أصبَحَ المنكرُ معروفاً، والمعروفُ منكراً.. وصِرْنا نرى الاستنكار لمن أراد الالتزام بالصورة الصحيحة للبيت المسلم، واعتباره بيتاً شاذاً عن سائر بيوت المجتمع، والتي غَرِقَتْ في أوحالِ الجهلانية والتقليد الأعمى للأجانب..

ووَجَدَ الرجلُ المسلم نفسَه مُحاطاً بالنسوة المتبرجات المتموضات رغماً عنه.. في الطرق العامة، وأماكن العمل، ووسائل المواصلات، والمرافق

المختلفة.. فلا يستطيع الرجل أن يحافِظَ على كَيانه الإسلامي صحيحاً.. ولن يستطيع ـ على الأقل ـ أن يَغُضَّ بَصَرَه عن محارم الله.. وأين سيغضُّه؟! إلى اليمين، فعن يمينه امرأةٌ كاسية عارية.. أم إلى الشِّمال، فعن شِمالِه مثلها.. وعن خلفه كذلك.. أم إلى الأمام، فأمامَه قطيع كامل من ذوات اللحوم الكاسية العارية.. أم سَيَرْفَعُه إلى السماء لِيَشْكُوَ بَثَّه وحُزْنه إلى الله، فلا يلبَثُ أن يرتد إليه بصرُه حسيراً وهو يصطدم بهن على شُرُفَات المنازل.. أم يَغُضُّ بصرَه إلى الأرض ليُبتَلى بالاحتكاك مع إحداهن ـ رغماً عنه كذلك ـ! فيكون المصابُ أعظمَ..

إن هذا المجتمع بعيد في ظاهره عن الإسلام كلَّ البعد.. إذ أن المرأة فيه جرَّته بأسره بعيداً عن الدين.. فإما أن ينحرِفَ الرجل معها، أو أن تتحلَّلَ هويتُه الدينية شيئاً فشيئاً لتعرُّضه المستمر للفتن.

فأقول ـ مفوِّضةً أمري إلى الله ـ: إنه لا سبيلَ إلى إستعادة المجتمع لإسلاميته، أو لتطبيق الشريعة الإسلامية، إلا بسَتْرِ المرأة أولاً، وإلزامها بالحجاب الكامل. تلك هي عمليةُ التطهير الأولى للمجتمع.. ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣]. ذلك الحجاب الذي كانت ترتَدِيه حتى نساءُ أهل الكتب داخل مجتمعاتنا ـ عندما كانت المرأة المسلمة ملتزمةً به ـ إلى عهد قريب.. فكان المجتمع سليماً، نقياً، عزيزاً، متماسكاً.

تحذير: كثيراً ما نشاهِدُ أن هناك من الرجال المسلمين الملتزمين من لا يهتَمُّ عندما يريد الزواج بالاقتران بذات الدين، وإنما يَبْحَثُ عن ذات الجمال فحسب، معتقداً في قرارة نفسه أن ذات الدين لن تُشْبِعَ رغباتِه، ومعلِّلاً للناس سرَّ ذلك الاختيار ـ الذي هو من قَبِيل التزيين الشيطاني ـ بأنه سيُرْشِدُها للدين بعد زواجه منها.. ولكن ـ ويا للأسف ـ ذلك أمر بالغ الخطورة من ناحيتين:

الناحية الأولى: فتنةُ المؤمنات الملتزمات وهُنَّ يَرِيْنَ انصرافَ الشباب الملتزم عنهن، مع أنهن في الحقيقة خيرَ متاعِ الحياة الدنيا لمن يختارهن.. وخير معين على عمل الآخرة لمن يتشرَّفُ بالاقتران بهن.

والناحية الثانية: تتعلَّقُ بالرجل نفسه، فإما أن تصبح النتيجة عكسية؛ فَتَفْتِنُ المرأةُ الجميلة ـ غير ذات الدين ـ من يَقْتَرِنُ بها فتجرُّهُ شيئاً فشيئاً بعيداً عن الدين.. أو تقوم بخداعه فتتظاهر باتباعها لأوامر الشرع عند حضوره.. وتنصرف عن ذلك انصرافاً مزرياً في غيبته!.

والواقع يشهدُ بذلك..

فقد جمعتني ظروفُ العمل كمعلمةٍ بَدْءَ وصولي لبلد عـربي شقيق، خصَّص مسكناً داخلياً يُعرَفُ بدارِ الضيافة لأسر المدرسين، تُعزَلُ فيه النساء على حدة، والرجال على حدة، رَيْثَما يَتِمُّ توزيعُهم على المناطق المختلفة (وهي عملية تستغرق أسابيع وقد تتجاوز الشهـر).. جمعتني تلك الظروفُ بزميلاتِ العمل، وكنا جميعاً مُنَقَّباتٍ، وكنت أجمع النساء لأصلي بهنَّ صلاة الجماعة في مختلف الأوقات.. وكانت إحدى زميلاتنا لا تصلِّي معنا، فظَنَنْتُ لأول وَهْلَةٍ أن لديها عذراً شرعياً، ولكنها كانت حاملاً.. فلا حيض إذن ولا نفاس!.

ثم ظننت ـ لِمَا كانت تُبْدِيه من صَلَفٍ وغَطْرَسة ـ أنها تأبى أن يَؤُمَّهـا أحد، أو أنها تصلي لوحدها.. ولكن مع مرور الوقت، ومتابعة الأمر، تَيَقَّنْتُ أنها لا تصلي مطلقاً، بل والأدهى من ذلك أنها كانت تَنْكَبُّ على قراءة كتاب معين، كانكباب الميت على قبره، فإذا هو كتاب عن المبادىء الشيوعية!.

والأدهى من ذلك كلِّه أنها كانت تخرُج عندما يستدعيها زوجها مُنَقَّبة، وكان يتباهى وسطَ زملائه بأنه اختارِ زوجته الصالحة من بين أحضان أعرَقِ الجماعات الإسلامية!!.

كما حدث أن تزوَّجَ شابٌّ ملتزم بفتاة كانت ـ في نظره ـ جميلة، وكان

يعرف ـ كما كنا نعرف جميعاً ـ أنها غيرُ ملتزمة، بل تكاد تكون أميةً من الناحية الدينية، فنَصَحَهُ بعضُ الفضلاء باختيار غيرها، ولكنه أصرَّ على رأيه، معلِّلاً الأمر بأنه سيُلزِمها الحجاب وبقية الأوامر الشرعية بعد الزواج.. فأخذ يتعهدها بعد الزواج بالكتب الدينية، ويسيرُ معها بمنتهى الرقة والتدرج، حتى بَلَغَ بها إلى الالتزام بالنقاب.. وكانت تُطيعُه فيما يريد، فيسير معها في الطريق وهي منقبة ليوصلها إلى منزل والدَيْها لزيارتهما، ويتركها هناك.. فما هو إلا أن يَنْصَرِفَ، حتى تبادِرَ إلى خَلْع حجابها، وتصعَدُ على سطح المنزل باديةَ الزينة، حاسِرةَ الرأس، يراها ـ وهي تُطِلُّ على المارة ـ البرُّ والفاجر!.

وهناك الكثير من الأمثلة، ونكتفي بما ذكرنا عن هاتين المخادعتين الخائنتين، اللتين أوهَمَتا زوجَيْهما أنهما صالحتان مطيعتان.. بينما هما منافقتان لَدُودَتان، جعلتا من زوجيهما مَثاراً للسخرية والتَّنَدُّرِ، ومثالاً للغفلة والسذاجة.. وكان بإمكان زوجيهما اجتنابُ تلك النهاية المخزية المؤلمة، باختيار ذات الدين منذ البداية.. وعدم اختيار الزوجية على أساس الجمال أو الحسب والنسب فحسب.

وكذلك الحال بالنسبة للمؤمنات الملتزمات، فكم منهن مَنْ فَتَنَها زوجُها الذي رَضِيت به، أو رضي به أهلُها، من أجل المادة فحسب.. فكان يهاجم صلاتها وصيامها وحجابها، فتضطر إلى مجاراته خشيةَ الطلاق.. أو تُصِرُّ هي على الطلاق فتتحطَّمُ حياتها وسعادتها منذ البداية.. وكان الأحرى بها وبأوليائها تزويجَها لمسلم ملتزم، فهو الأمين عليها، وهي الأمينة عليه.. فلو أننا عُدْنا لتعاليم الدين لوجدنا أنه يُصبحُ من المضمون الحصول على بيت إسلامي، وتنقية المجتمع من جراثيم النفاق.

٧ ـ الأضرار الاقتصادية للموضة:

سَبَقَ أن بيَّنّا عند الحديث عن الهدف المادي من إنشاء الموضة أنها تؤدي إلى استنزاف الأموال في غير حاجة ضرورية نافعة.. فهي بذلك ذاتُ

أثر سيىء وخطير على الاقتصاد، إذ أن تنوُّعَ الموضات وتجددها بصورة مستمرة، يؤدي إلى الإفلاس والخراب والفقر.. بالإضافة إلى أن الموضة تستدعي تسويقَ البضائع الأجنبية إلينا، وبالتالي إماتةُ الصناعات الوطنية النافعة.

كما أدَّت كذلك إلى إنشاء المعاهد الخاصة لتدريس أساليب التجميل والموضة، مما يتسبَّبُ في إضاعة الوقت فيما لا يُفيدُ.. ذلك الوقت الذي يُقتَطَعُ من صالح الأسرة والمجتمع، بل ويعودُ عليهما بالفساد والضياع.

هذا فضلاً عن الأموال الطائلة التي تُنفَقُ على إنشائها والتعلم فيها، وعلى شراء الثياب، وأدوات التجميل والزينة.. والتي تكلِّفُ الدول العربية والإسلامية ملايين العُمْلات الصعبة، فتُدَمِّرُ ميزانيتها، وتزلزل اقتصادها، وتُذِلُّها لأعدائها.

هذا بالإضافة إلى ما يَنْجُمُ عن ذلك من أضرار أدبية: كظهور الكتب المنحرفة، والمجلات النسائية المضللة.. والتي نجدها لا تُعنَى بأكثر من إذكاء شهوتَيِ الجسد والبطن، حيث توجدُ بها أبواب ثابتة دائمة عن التجميل، وأحدث الأزياء، وإرشادات مصوَّرَة تتعلَّقُ بتدريب المرأة على كيفية المشي والتحرك والجلوس بإغراء.. وطرق جَذْب الرجل إلى المرأة.. وتَقْصِدُ المجلة جَذْبَ عامة الرجال للمرأة، وليس زوجها فحسب، بل إن الزوج لا تَخُصُّه المجلة بالذكر إلا لبيان أنواع الأزواج، وكيف يتَسَنَّى للمرأة السيطرة على كل نوع.. بل وتحرِصُ بعض المجلات على تذكية الشعور بالأُلفَة والصداقة بين المرأة وصديق العائلة! وكأننا في ديار الكفر.

وقد تَرَبَّت فتياتُنا على هذه المجلات، ومن أبرزِها في هذا المجال مجلة «حوّاء» المصرية، وتُوحِي هذه المجلة بأن أمور التبرج والموضة والاختلاط والصداقة والتعري على الشواطىء (البلاج) أمور اعتيادية وطبيعية.. فكم أفسَدَتْ تلك المجلاتُ عقولاً، وألغت مفاهيمَ، فحسبُنا الله ونعم الوكيل!.

وتَصدُر مجلات فاجرة أخرى، مثل مجلات «الشبكة» و«الموعد» و«الكواكب»، وكلها تتعلَّقُ بالممثلين والممثلات، وذكر أخبارِهم وأسرارهم، كما يَنضَحُ الغلاف بالقذارة في صورة امرأةٍ عارية ترتدي البكيني. وتخصص مجلة «الشبكة» جائزةً لأحسن تعليقٍ على تلك الحيوان الآدمي!.

كما يتخَلَّلُ تلك المجلاتِ دعوةٌ إلى الدجل والخرافة، والاعتقاد بالأبراج والنجوم لمعرفة الحظ.. وهذا من قَبيل الشرك بالله، إذ أنه لا يعلم الغيب إلاّ اللَّهُ.

وهناك من المجلات ما تخصَّصَتْ في عرض أفلام سينمائية كاملة بكل الصور والكلمات الفاحشة.

وإنه فضلاً عن أن إشاعة هذه المجلات (العربية الجنسية) وأمثالها في ديارنا يُعتَبر إشاعة للفاحشة التي حرَّم الله إشاعتها بين المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النور: ١٩].

أقول ـ فضلاً عن ذلك ـ فإن الأمر يؤدِّي كذلك إلى الخراب الاقتصادي عن طريق إضاعة الوقت، وتبديدٍ للورق فيما يَضُرُّ ولا يَنفَعُ، وشغلٌ للمطابع عما فيه الخير والمنفعة إلى ما فيه الشر والمضرة.. خاصةً وأن تلك المجلات دورية متلاحقة، وتَصدُر بانتظام.. وما يقال عن المجلات يَنسَحِبُ على الكتب كذلك.

كما أن تجدُّدَ الموضة باستمرار بين حين وآخر يضطر المرأةَ ـ في الغالب ـ إلى مجاراتها ومنافسة الأُخريات عليها، مما يجعَلُ الأُسرةَ عرضة للديون، وتثور المشاكل لأن المتموضة تنظر إلى زوجها وكأنه مَصرَفٌ لسحب النقود، وإضاعتها بلا فائدة تُرجى، فلا تنالُ مع مرور الزمن سوى كراهيته.

وكم هو غريب أن نرى بعض الرجال يسكُتون وهم يَرَوْنَ جهدهم

وعرقهم قد تحوَّلَ إلى ثياب مكدسة لا تحتاجها الأسرة، وإلى مستحضرات تجميل[1] فائضة ومتنوعة بلا داعٍ، بدلاً من شراء ما هو ضروري للأسرة.. مما يُعَمِّمُ الفسادَ، ويُحطِّمُ الأسرةَ، ويعود عليها بالفقر والخراب، ويؤدي إلى الخسائر الاقتصادية للدولة عموماً، وذلك عند تجاوز الحد في التبذير لشراء ما لا يَلزَمُ..

وقد تنحرفُ المرأة ـ خاصةً مَنْ كانت في سن المراهقة ـ فتضطر لبيع عِرْضِها مقابل الحصول على الجديد، حتى لا تتفوَّقَ عليها زميلاتها، أو تبدو أقلَّ منهن شأناً.. وهذا واضحٌ بصُورة ظاهرة في بعض مجتمعاتنا العربية، والتي تُبْدِي من التساهل للمرأة ما يجعلها تصادق من تشاء، وتسهَرُ مع من تشاء.. و... و... مع من تشاء!.

وقد ينحرف الرجل فيضطرُّ إلى السرقة والاختلاس للإنفاق على خليلته أو خليلاته.. وليبدُوَ في أعينهن «جنتلمان» يرافقهن إلى أرقى المطاعم والأماكن العامة، ويُدخِّنُ السجائر الأجنبية المتنوعة، مقلِّداً في ذلك الممثلين ومن يراهم في الدعايات..

وعلى أبسط الفروض قد ينحرف الرجل بالسرقة أو الرِّشوة أو الاختلاس أو الرِّبا لإرضاء زوجته المخرِّبة؛ كما هو الحال في قصة واقعية، حدثت منذ سنوات عديدة لرجلٍ مغترب ومتزوجٍ، يعمَلُ صرّافاً في شركة تجارية في بعضِ البلاد العربية.. وكانت زوجتُه ـ التي يتفانى في حبها وإرضائها ـ جشعةً مستغلة.. قد تجاوزت الحد في إسرافها ومطالبها.. كما كانت عند زيارتها للناس تُقلِّب عينيها فيما حولَها من متاع وأثاث، وأجهزة كهربائية وغيرها.. فإذا أعجبها ما لديهم، تندفع بكلِّ حُمْقٍ وطيش لتتخلَّص مما لديها

---

(١) لا أنكر على المرأة استخدام بعض وسائل التجميل التي تزينها لزوجها، ولكن بحكمة وتعقل، فلا تنتقي عدة أقلام لأحمر الشفاه، أو عدة علب متنوعة من الأدهان بقصد مجاراة ألوان الموضة.

من أجهزة وأثاث لكي تحصل على بديل مماثل لما رأته عند الناس، رغم أن ما عندها قد يكون أفضلَ مما رأته.. ولكن هذا ما كان يحدُث.

أما عن كيفية تخلُّصِها من الشيء الذي تريد تبديله، فإن ذلك يكون إما بتخريبه إذا كان جهازاً كهربائياً أو يدوياً، أو حتى ثياباً (بجعلها تبدو كالقديمة بصَبِّ الكلور عليها)، أو برميه في الشارع إذا كان أثاثاً ـ مثلاً ـ، أو إعطائه لمن يرغَبُ في أخذه وإراحتها منه بلا ثمن!.

وقد رأيتُ ـ والله ـ بنفسي ما كانت قد أعطَتْه لبعض الناس من أثاثٍ مُخْمَلي جديد، بل وجَلَسْتُ عليه، فلم يكن فيه أدنى عيب، بل إنه على العكس كان فخمَ الهيئة.. جميلَ الشكل.. وقد رمى هؤلاء بدورهم أثاثهم ـ الذي كان بحالة جيدة ـ عند الحصول على الأثاث المذكور.

ولما كان زوجُ تلك المرأة من أولئك الذين يَسْعَوْنَ للاغتراب بغرض توفير قدرٍ من المال يعودُ عليهم بالنفع عند عودتهم إلى بلادهم، فإنه لم يستطع أن يوفِّرَ شيئاً.. خاصة وأن زوجته المذكورة كانت تبالِغُ كذلك في شراء الذهب، وإهدائِه لأهلها وصديقاتها (وكانت ربَّةَ بيت، أي: أن ما تنفقه من مالِ زوجها الشخصي)، والزوج لا يُحرِّكُ ساكناً.. ولا يُبدي اعتراضاً.. بل إنه أمامَ إرضاء نزواتها، وتحقيق رغباتها الجنونية، مدَّ يدَه فاختَلَسَ من أموال الشركة التي كان يعمل بها صرافاً.. وما هي إلا فترة وَجيزة حتى انكشف أمرُه، ففُصل من عمله، وساءت سمعته، وأُلقي في غياهب السجن..

وكان هذا جزاءً وِفاقاً لكل من أطاع زوجته في أطماعها.. وتمادَى في تحقيق رغباتها دون تعقُّلٍ أو تفكيرٍ.. وتَعِسَ حُبٌّ يجُرُّ صاحبه إلى الحرام وسوءِ المصير في سبيل تحقيق رغبات من يحب.. وصدق الله تعالى القائل: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًۭٔا وَهُوَ خَيْرٌۭ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًۭٔا وَهُوَ شَرٌّۭ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

وهناك من النساء من تستَهلِكُ أموالَ زوجها لحاجة في نفسها.. كأنْ تَخشَى أن يتزوَّج بغيرها.. أو تراه باراً بوالديه، ويُنفِقُ عليهما بسخاء.. فتأبى نفسُها الشيطانية إلا أن تستنزف أمواله، رغبةً في أن تُخلي يديه من المال، فلا ينالُ غيرُها منه نصيباً.. وهذه الفئة من النساء منتشرة بكثرة في مجتمعاتنا التي انحرفت عن منهاج الله.. وليس لهن علاجٌ سوى يَقَظَةِ الرجل وعدم إطاعتهن في تبذيرهن، أو شراء ما لا يلزم.

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أن بعض هٰؤلاء النسوة تُبذِّرُ في كمية الطعام التي تُعِدُّها، وذلك عندما لا يكونُ الزوج مطيعاً لها في التبذير في النواحي الأخرى، فيُلْقى في القُمامة ما يشتهيه أناس آخرون من طعام حديث الطبخ.. وفي ذلك البَطَرُ[1] الذي يُهدِّدُ الأمة بالهلاك.. يقول الله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [سورة القصص: ٥٨].

وإنني أعرف إحداهن معرفةً شخصية، فقد كان زوجُها باراً بوالديه، يكاد يَخلَعُ ثيابَه إن اقتضى الأمر لبيعها وإعطاءِ والدته ما تشاء، وكانت زوجته تعترض، فيهدِّدُها بالزواج من أخرى، فاتبعت سياسةَ الإهلاك حتى إنها اضطرت لبرِّ والديه مُكرَهةً، حيث كانت تعطيهما ما يَفيضُ عندها من طعام وفاكهة، وكان ما تطبُخُه من لحم للوجبة الواحدة يكفي غيرها طيلة الأسبوع..

---

(١) تنتشر في بعض البلاد العربية البترولية عادة إقامة الولائم الضخمة التي تزيد عن حاجة المدعوين، فيرمى في القمامة أكداس مكدسة من الرز واللحم حديث الصنع، فسلَّط الله على تلك الدول الخسائر الفادحة في أسعار البترول مما هدد الاقتصاد وقلص الميزانية، وتعاني الدول العربية عامة من الزلازل الاقتصادية نتيجة حتمية للبطر والانحراف عن منهاج الله.. ولا زال يتهددنا المزيد من الكوارث ما لم نغير حالنا إلى الحال الذي يرضي الله.

وتجاوَزَتِ الحدَّ في شراء الثياب والأحذية لإهلاك مادية زوجها، ولكن بدون جدوى. . بل إنه من الغريب أن زوجها الذي كان مَديناً قَضَى الله دينه، وأغناه من فَقْرِه[1]، وكلما أرادت زوجتُه أن تهلِكَه باستنزاف أمواله كان الله يزيده غنى وجاهاً وثروة. . وظلَّ مع ذلك كله يَبحَثُ عن زوجة صالحة مناسبة. . وباءت جهودُها الإهلاكية بالفشل الذريع.

ولما نَصَحْتُها ذاتَ مرة بالاقتصاد، رَفَعت يَدها ولوَّحت بها مستنكرا وقالت لي: أهلِكي!! - أي: اتَّبِعي سياستي في إهلاك زوجك.

وأردتُ ذات مرة أن أكتب شيئاً، فطلبتُ ورقةً صغيرة من المشرفة بالمدرسة التي كنت أعمل بها كمعلمة، فأعطَتْني ورقة كبيرة «فولسكاب»، فكتبتُ ما أردتُ كتابتَه على قُصاصة منها، وأَعَدْتُ باقي الورقة للمشرفة. فدُهِشَت وجمعت المعلمات للتندُّرِ على تلك الحادثة، فأخَذْنَ يَقُلن لبعضهن بسخرية: اعذُروها لأنها جديدة على المهنة!.

ثم أخذت كلُّ واحدةٍ منهن تنصَحُني بعدم إعادة ذلك الفعل: ارمي ما يتبَقَّى من الورق في القُمامة! لئلا أعتادَ الاقتصاد مما سيُلحِق الضرر بحياتي الزوجية - حسب مزاعمهن -.

فردَّدْتُ عليهن بأن التبذير حرام ووعظتهن. . فقلن لي جميعاً: إذا كنتِ ولا بُدَّ مقتصدة، فاحذَري أن يكون ذلك مع زوجك، وإلا عشت فقيرة محرومة. . لأنك تُعَوِّدينَه على قِلَّةِ الطلبات، فيفيضُ المال في يديه وينفقه على غيرك.

فقلت لهن: لا يمكن ولو أدّى الأمر إلى ما ذكرتن.

---

(١) إنني أرى أن السر في ذلك هو برُّه بوالديه لقوله ﷺ: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه» متفق عليه.

فلـم يَيْأَسْنَ وقلن لي: اتبعي سياستَنا مع زوجك لمدة «عام واحد» على الأقل ـ وكنت أيامَها في بَدْءِ حياتي الزوجية ـ.

فقلت لهن: ولا لمدة دقيقةٍ واحدةٍ.

فأخذن يتحسَّرْنَ على سذاجتي ـ في نظرهن ـ ويُنذِرْنَنِي سوءُ العاقبة والمصير.

هذا في وسط نسوة مثقفات ومتعلمات تعليماً عالياً، فهن خريجات معاهد وجامعات.. فكيف يكونُ الحال بين الأخريات؟!.

وإن ما سَرَدْتُه من أمثلة واقعية قصدتُ بها تحذيرَ الرجال والنساء من هذا الواقع المر الأليم الذي نعيشُه.. حتى بَلَغَ الأمرُ إلى نصح الغير بالتبذير والإسراف، والتحذير من الاقتصاد والتدبير! فنعوذُ بالله من وسوسة شياطين الإنس والجن.

وتتلاعب الكثيرات بعقول أزواجهن لتحقيق ما تُريد.. فإنهن ذوات الكَيْد العظيم، فمنهن من تواظِبُ على ارتداء الملابس القديمة البالية أمامَ زوجها لتُوهِمَه مع مرور الزمن أنها بحاجة إلى ملابسَ جديدةٍ، رَغْمَ أن عندها ما يملأ خزانة ثيابها ويزيد. ثم تأتي بعد فترة من تَكرارِ ارتداءِ الملابس البالية لتَشُنَّ على زوجها المسكين حرباً شعواءَ مطالِبةً إياه بالكساء.

ومنهن من تُصِرُّ على اقتناء ثياب جديدة في كل مناسبة وفي الأعياد، لها ولأطفالها، مع أن العيد ليس لمن لَبِسَ الجديد، بل لمن اتَّقى وخاف يومَ الوعيد!.

ولا مانع لمن كانت ثيابُهم باليةً في اقتناء الجديد.. ولكن ـ ويا للأسف ـ تتكدسُ الخزائن بالثياب التي تبدو وكأنها لم تُلبَس بعد.. وقد يمرُّ العام دون أن يأتي الدورُ على بعض الثياب المكدسة في الارتداء! ومع ذلك تَضرِبُ النساءُ على الأوتار نفسِها، ويعزِفْن على اللحنِ ذاتِه: وهو أنهن لا يَملِكْنَ شيئاً!!.

وإن التي يأبَى عليها إيمانُها مجاراتهن في ذلك يَنظُرْنَ إليها نظرة التحقير والازدراء.. ويَنْعَتْنَها بالبُخل والتقتير. وتصبح مثالاً للتندُّرِ والسخرية في مجالسهن!.

فعلى المؤمنة العاقلة أن لا تُقلِّدَهُنَّ، أو تطيعَهُنَّ في وسوستهن المهلكة، ولتعلم أن أكثر أهل النار من النساء.. ولا عَجَبَ في ذلك، فمن يطَّلع على أحوالهن بصفة عامة يُدرِك ذلك!.

ولو أردتُ استعراض أفعالهن القبيحة لما تمكنتُ من حصرها.. ولاحْتَجْتُ - على الأقل - إلى تأليف كتاب آخر.. وحسبي أن أُوضح مقصودَهن من ذلك الأمر.. وهو قريب من هدف الصهيونية العالمية، المتعلق بتحطيم الإنسان مادياً ليَذِلَّ ويَخضَعَ، وتسيطر عليه زوجتُه السيئة اللئيمة.

إن هذه الفكرة منتشرة بين مختلف الأوساط النسائية، حتى المثقفات منهن - كما ذكرنا من قبل -. ولو كان عند المرأة وازِعٌ ديني لما تصرَّفت ذلك التصرف السيِّءَ المهين مع أعظم الناس حقاً عليها، وهو زوجها.. ولهذا تتكاثفُ النصوص الدينية التي تقرر ترجيح الاقتران بذوات الدين، وتحث على اختيار الزوجة الصالحة، فهل يَعقِلُ الرجال الأمر؟! وهل تعقل النساء أن أفعالهن تُعتَبَرُ خراباً على الأمة كافَّة، وليس على زوجها فحسب، إذ أن معظم النار من مُستَصْغَر الشرر.

فلنتَّقِ الله جميعاً؛ رجالاً ونساءً، ولنحذر من التآخي مع الشياطين.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

ولتتذكَّرِ النّسوةُ اللاتي يُرِدْنَ إهلاكَ أزواجهن قولَه تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣٠].

٨ ـ الموضة مَسخٌ وتردٍ في هاوية التقليد الأعمى للكفرة:

إن اتباع الموضة يَقْضِي على آدابنا وعاداتنا وتقاليدنا . . ويَمْحُو المعالم المميزة للأسرة العربية والإسلامية، ، مما يجعَلُنا ضائعين مُستَضْعَفين بين بقية الأمم . . وكفى بالموضة قُبحاً أنها تَصدُرُ عن أعداء ديننا . . ويتحقق بتنفيذنا إياه ما يَرمُون إليه من القضاء على حصانة مجتمعاتنا الإسلامية . .

أضف إلى ذلك أن تقليد الغير في كل شيءٍ يجعَلُ المقلِّدَ شبيهاً بالحيوان الذي لا يَعقِل . . إذ أنه يَجعَلُه كالقِرَدَةِ والبَبَّغاوات، بل إن هذه الحيوانات تُعتَبر حيواناتٍ راقيةً . . أما الإنسان الذي وَهَبَه الله العقل، ومنحه نعمة التمييز، فعطَّل تلك المَلَكات، وأبى إلا أن يقلِّدَ غيرَه، فإنه أدنى حالاً من تلك الحيوانات التي لا تعقِلُ ولا تميِّزُ.

وصدق الشيخُ محمد عبده ـ رحمه الله ـ في قوله:

«إن المقلِّد يكونُ دائماً أحطَّ حالاً وأخسَّ منزلةً من المقلَّد، فالمقلِّد إنما يَنظرُ من عمل المقلَّد إلى ظاهره، ولا يدري سرَّه ولا ما بُنِي عليه، فهو يعمل على غير نظام، ويأخذُ الأمر على غير قاعدة. لذلك سَقَط المسلمون في شرٍّ مما كان عليه مُقَلَّدوهم، لا سيما وأنهم قد خَلَطُوا في التقليد، وأضافوا إلى دينهم ما لا يمكن أن يَتَّفِقَ معه، فصاروا في مثل حال المتخبط الذي تنازِعُه عدةُ قُوىً، يذهب مع كل منها آناً، ثم ينتهي أمرُه بعد الخيبة بالتعب الشديد، فيستَلقي إلى أن يستريح، فينهض إلى العمل على هُدىً أو يموت.

لمّا كان المسلمون علماءَ، كانت لهم عينان: عينٌ تنظُر إلى الدنيا، والأخرى تنظر إلى الآخرة، فلما طَفِقُوا يُقلِّدُون أغمضوا إحدى العينين، وأقذوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم، ففقدوا المطلبين، ولن يَجِدُوهما إلا بفتح ما أغمضوا، وتطهير ما أقذوا»[1].

---

(١) «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

ولقد وصلنا بسبب التقليد الأعمى للأجانب إلى حالةٍ مُزريةٍ تبعَثُ على الحسرة والألم.. فنجد مجتمعاتنا تَغُصُّ بالفساد.. وتَعِجُّ بالإباحية.. خاصة في تلك الدول التي قطعت فيها المرأةُ شوطاً كبيراً في التبرج والتموض والاختلاط، حتى أصبحنا نسمَعُ عن فئةٍ من النساء يُطلَقُ عليهن اسم «سيدات المجتمع المخملي».. ونرى الرجل المحسوب على الإسلام تعداداً يقدِّمُ زوجته لزملائه من الرجال، فيدعونها بدورهم للمراقصة أو المخادنة.

ومما يُؤسَفُ له أن بعض من يتسلَّمُونَ زِمام الأمور عندنا يفعلون الشيء نفسه، حتى وصلوا إلى مرحلة يَنْدَى لها الجبين.. فقد طالعتنا الصحافة ذات مرة بالأنباء عن زوجةِ رئيس سابق لبلد عربي إسلامي اسماً، تعيشُ بمفردها مع رجل في شَقَّةٍ بولاية أجنبية، وتدَّعي أنه يحرسُها!.

وقرأنا عن رئيس سابق لجهاز مخابرات، تُعجِبُه امرأة متزوجة، فيذهب إلى بيتها.. ويريد أن يَرتَكِبَ معها الفاحشة الكبرى، فيَصْحَبُه زوجُها مقدِّماً آياتِ الولاء والخنوع إلى غرفة نومها.. ويتركُه يفعَلُ بها ما يشاء، بينما يختبىء هو كالفأرِ المذعور في إحدى الغُرف.

هذا غَيْضٌ من فَيْضٍ مما يُحدِث في ديار المسلمين الخرابَ.

وإنها صورة مصغَّرة لأولئك الذين يتسلَّطُون على أمتنا، ويَهدِمُون أخلاقنا، ويحاربون تمسّكنا بديننا.. أولئك الذين تُسَلَّطُ عليهم الأضواء، وتُحنى لهم الرقاب، ثم لا يلبث أن يدوسَهم التاريخ، ويَلعَنَهم اللاعنون، وتزكُمَ روائحُ فضائحهم الأنوف.. إنها سُنَّة الله في فضح المجرمين.. فصبراً أهلَ الإسلام، إن موعدكم الجنة، وإن لأعدائكم الخِزْيَ في الحياة الدنيا والآخرة.

فأين هؤلاء من الشاعر المسلم «محمد إقبال» شاعر الباكستان.. «عندما عَرَضَتْ عليه الحكومةُ البريطانية وظيفةَ نائب الملك في إفريقيا الجنوبية، وكان من تقاليدِ هذه الوظيفة أنَّ حَرَم نائب الملك تكون سافرةً،

تستقبل الضيوف في الولائم الرسمية، وتكون مع زوجها في الحفلات. فأشير عليه بذلك، فرفَضَها وقال: ما دام هذا شرطاً لقَبول الوظيفة فلا أقبَلُها، لأنه إهانة ديني، ومساومة كرامتي»[1].

«ولقد تأثَّرتِ الشعوبُ الإسلامية بالرياح الفاسدة التي تَهُبُّ عليها من أوروبا شرقاً وغرباً، وخُدِع أكثرها بها أيَّما خداعٍ، ظناً منهم جهلاً أنها ستسوقُ سُحُبَ الغَيْثِ المغيث، وما علموا أنها تسوق معها العواصف المدمِّرة، والصواعق المحرقة التي لا تُبقي ولا تَذَرُ، وكان تأثرها بسبب غفلتها عن ربِّها وبُعدها عن دينه، فطَفِقَتْ أكثرُ تلك الشعوب تخوض المستنقع القذر النتن الذي خاضته الشعوب الأوروبية في الاختلاط والتبرج والتحلل والإباحية، حتى بَلَغَ بعضُها فيه مبلغاً خطيراً. . وإنك لا تكادُ تسير في شارع من شوارع مدننا ـ وخاصةً في العواصم ـ إلا وتشعر بالغربة، وكأنك تسير في مدينة أوروبية لا تَمُتُّ إلى الوطن الإسلامي بأصل، ولا تمتَدُّ إليه بوصل.

فالنساء في تكشُّفٍ مزرٍ، وتبرج مشينٍ، وحركات خليعة، كاسيات عاريات، مائلات مميلات، قد خَلَعْنَ ثوب الحياء والخجل، ونَزَعْنَ رداءَ الطهر والشرف، وتجرَّدن من كل خليقة وفضيلة، وتعرَّين من كل كرامة ونبالة، وكأنه لا حرامٌ ولا حلالٌ، ولا حساب ولا سؤال، ولا ثواب ولا عقاب، ولا حدود ولا قيود.

ولو أنك عرَّجت إلى البحر، واقتربت قليلاً من الشاطىء، لشاهدت الوحوش البشرية والبهائم الآدمية، في أوضاع مزرية يَنْدَى لها الجبين خجلاً وحياءً؛ حيثُ النساءُ والرجالُ في عُرْيٍ تام، وملاعبة فاحشة، وأوضاع خبيثة، كأنهم وحوش الغابات وحيوانات الأدغال، أو كأنهم قد مُسِخوا قردةً وخنازيرَ، وكلاباً وحميراً. .

وأما دُورُ الخَنَا والسفاح، وحانات الخمر والميسر، ومسارح الرقص والغناء، وقاعات الضَّمِّ والعناق، طَوْراً في النور، وطوراً في الظلام، وأماكن

---

(١) «روائع إقبال» لأبي الحسن الندوي، ص ٤٨.

أخرى للفسق والمجون ـ لا تُعد ولا تُحصى ـ منتشرة في كل مكان، وتتصدر لانْحاتها الساحات.

هذا حال أكثر مجتمعاتنا، إنه حالٌ سقيم أليم، ووَضْع مَرِير خطير، ولم يحصُل فجأةً، بل لا بُدَّ من مؤديات أدَّت إليه، ومن مسببات سببته، وإليك بعضُها:

أ ـ تفلُّتُ الكثير من المسلمين من مفاهيم الإسلام وتبعاته، وتقاعس دعاة الإسلام عن الدعوة والتبليغ، وعن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، وعن الجهادِ في سبيل الله، حتى تُرِكَتِ الـواجباتُ، وارتُكِبت المنهيات، وظَهَر الفسادُ، وانتشر الإلحاد، وعَمَّ البلاء، وسيطر الأعداء.

ب ـ رجالاتُ الحكم الذين تربَّوْا على يدِ المستعمر، وفي مدارسه، فلم يتفهَّموا الإسلام، وفَقَدُوا الغَيْرة الإسلامية.

وتعاقُبهم على سُدَّةِ الحكم، ودعم أعـداء الإسلام لهم في الـداخل والخارج، مما جعلهم يتجرَّؤون على نشر الكثير من المحرمـات وإباحتهـا تحت حراسة القوة والقانون، والتشجيع على تقليـد الأجانب واتبـاعهم في جميع العادات والتقاليد، والانخلاع والانسلاخ من عاداتِ الإسلام وتقاليده وأخـلاقه، والتضييق على العلمـاء ودُعَاة الإسـلام بشَتَّى الوسـائل والـطرق الإرهابية: المادية والمعنوية.

جـ ـ سوءُ التربية والتوجيه والتعليم:

أولاً: من جهةِ الآباء لجهلهم أو غَفلتهم أو استهتارهم.

ثانياً: من جهة دُور العلم التي لا تَضُمُّ الموجِّهين الأكفاء ديناً وعلماً وسلوكاً، والتي لا تَملِكُ المناهج التعليمية الصالحة التي تُعطِي كل علم حقه وكفايته، هذا وإن منهج «الدين» آخذٌ في التقلُّص، وهو في طريقه للإلغاء بالكلية، وإن الطالب المسلم ليتخرَّجُ من الجامعة وهو لا يَعرِفُ عن دينه إلا النَّزْرَ القليل، وبصورة محرَّفةٍ مشوهة عن حقيقة الإسلام.

هذا بالإضافة إلى الاختلاط والأنشطة الفاسدة: كحفلات اللهو والرقص في مختلف دُورِ العلم.

د ـ وسائلُ الدِّعاية والنشر والإعلام المسخَّرة للتشجيع على التبرج والاختلاط والتحلل والإباحية.. ولإقناع الناس ـ مكراً ودهاءً ـ بأن هذه المفاسد مصالح، وأن هذه المضارَّ منافعُ، وأن هذه المحرمات مباحات!.

عِلماً بأن استعمال حواسِّ الإنسان بالمظاهر الفاسدة يَشغَلُه عن الجواهر المفيدة، ويَحرِمُه منها، وإن عدونا يريد أن نستعمل جميع حواسنا بالمظاهر الفارغة والضالة والفاسدة إلى أبعد مدى، حتى تصابَ بالتعب والإعياء، وتنشغل عن جواهر الأمور، وتبقى في تخلُّف وتأخُّر وانحطاط، ليَسهُل عليه افتراسنا.

هـ ـ نظرةُ أكثر الناس من أمتنا النظرة السطحية إلى أوروبا، وأنها المثلُ الأعلى سفهاً وعمى، وما هي إلا نظرةُ الضعيفِ إلى القوي، وهٰؤلاء يظنون أن الأمَّة إذا تبرَّجَتْ واختلطت وانحلّت صارت قوية مثل أوروبا، وتلك سطحية واضحة في التفكير.

و ـ التخطيط من الأعداء: وذلك بإفسادِ مفاهيم المسلمين ومعتقداتهم، ومسخهم من رجالٍ إلى أشباهِ رجال عن طريق مختلف وسائل الإعلام، وتسخيرالعملاء والأُجَراء لتحقيق ذلك، وعن طريق إثارة الفتن والخلافات والصراعات على أرض الإسلام بإنشاء التكتُّلاتِ والأحزاب غير الإسلامية، لإحداث البَلْبَلة الفكرية في المجتمع المسلم، وجَعْل المسلم في حَيْرَةٍ من أمره، بل وكالريشة في مهب الريح، لا يَقَرُّ لها قرار»[1].

---

(١) «خطر التبرج والاختلاط» لعبدالباقي رمضون، ص ١٨٠ ـ ١٩٠ باختصار.

٩ - التبرج والاختلاط والموضة كلها تؤدي إلى انعدام القيم الإنسانية النبيلة:

حيثُ تَطْغَى المادةُ تَنعدِمُ القيم، وتتشوّه الفطرة، ويصبح همُّ الإنسان الأوحد هو تلبية شهواته الحسية فحسب.. فتَغِيضُ الرحمة، وتستشري الأنانية، وتنقطع الأواصر العائلية، وتتجمَّدُ أو تنمحي العاطفة الأبوية..

فالصحف والمجلات تطالعنا بين الحين والآخر بمآسٍ تتقطع لها نِياطُ القلوبِ الرحيمة.. وتتوجَّع لها الإنسانية المستقيمة.. وحسبي أن أذكر مثالَيْن فقط عن أمٍّ جرَّدَتْها الجاهلية الحديثة من عواطف الأمومة، والآخر عن أب مُسِخَت من قلبه عواطف الأبوَّة.. وهذا المثالان من دول أوروبية غارقة في الإباحية، التي جَعَلَتْ من تلك الدول دولاً جاهلية.. في حين يَنْظُر إليها أبناء العرب والمسلمين على أنها دول الحضارة والتقدم.. ويتكالبون على تقليدها.. والتمسُّح على أعتابها..

فقد نَشَرَتْ صحيفة «الشرق الأوسط» ما نَقَلَتْهُ عن صحيفة أجنبية هي «فرانس سوار»: أن مأساة إنسانية حدثت في مدينة «سان دينز» ذهبت ضحيتَها طفلةٌ عمرها «عامان»، ماتت من الجوع والبرد.

تفاصيل المأساة: أن والدة الطفلة وهي «أرملة»، ذهبت في ٣١ ديسمبر الماضي (أي: عام ١٩٨٦ م على وجه التقريب) مع صديقٍ لها إلى سويسرا، ونَسِيَتْ طِفْلَتَها في البيت!! وعندما عادت بعد غياب استَمَرَّ ٧١ يوماً، وَجَدَتِ الأمُّ طفلتها مُلقاةً في أرض غرفة الطعام وهي جثة هامدة.

وحضر الطبيب الذي عايَنَ الطفلة، ووضع تقريراً يقول فيه: إنها ماتت من الجوع والعطش والبرد.

وقد ألقى رجالُ البوليس القبضَ على المرأة، وأحالها إلى التحقيق بتهمة التسبب في موت ابنتها بسبب الإهمال.

كما نشرت مجلة «البيـادر السياسي» التي تَصـدُر في القدس، قصـةً مفادُها أن «شاباً بريطانيـاً يَبلُغ من العمر ٢٤ سنـة، كان يعيش مـع زوجته المحبة حياةً هانئة مستقرة، بصحبة طفلهما الأول الذي لم يتجاوزْ عمرُه الثلاثةَ أعوامٍ» وكان والداه شديدَيِ التعلق به، لأنه ابنهما الأول.

ولكن فجأةً وَجَد الرجلُ نفسه وجهاً لوجهٍ أمام كارثة أكيدة (في نظره).. فقد أُنجبت الزوجة للمرة الثانية توأمَيْن، بالإضافة إلى معاناة الزوجة من نقص التغذية، وكانت هذه الكارثة تُنذِرُ بفناءِ الأسـرة كلها جـوعاً أمـام قِلَّة موارد الزوج، وأمام دافع الفقر والعجز عن تلبية مطالب الأسرة.

فأخذ الزوج يُخَطِّطُ للقضاء على حياة زوجته وطِفْلَيْه الرضيعين.. وتمَّ تنفيذ الجريمة في أمسيةٍ عاد فيها الرجل إلى منزله حاملاً زجاجةً من السُّمِّ مدعياً أنها دواء للسُّعال.. ناولَها لزوجته وحثَّها على تجُّرع عدة جرعات منها، فهوت بعدها جُثَّةً هامدة.. أما عن التوأمين فقد كان أمـرُهما أيسـرَ كثيراً؛ فجرعة واحدة في فم كلٍّ منهما كانت كافية للقضاء عليهما في الحال.

ثم قام الرجل بوضع الجثث في صندوق معدني ضخم، وتوجَّه به إلى مستودَعٍ خاص بإحدى شركات الأثاث.. وألقاه هناك مدَّعياً أنه مجرَّدُ صندوق من المستلزمات الفائضة عن حاجة المنزل.

وبعد أيام فكَّر الرجلُ في الانتقال هو وابنُه الأول إلى مكـان آخر.. ولكن القدر كان من ورائه.. فقد توجَّهت إليه أم زوجته لتَسْتَفْسِر عن ابنتها ورضيعَيْها، ولما لم تَظْفَر منه بإجابة، أجرَتِ المرأةُ تحرياتها بين الجيران، حتى علمت بأمر الصندوق، فتعقبته حتى استقرَّتْ على عنوان شركة الأثاث التي آل إليها.. وبتصريح رسمي فتحته لتستقرَّ عيناها على المشهد المروِّع داخله.. وكانت نهايةُ القاتل شنقاً في سجن «بينتونفيل»، مخلِّفاً وراءه طفلاً يتيماً فَقَدَ الأبَ والأمَّ، وتُرِك وحيداً في معركته مع الحياة.

وهناك شبكةٌ لتهريب الأطفال من دول أمريكا اللاتينية إلى إسرائيل،

وبِيعَ الطفلُ الواحد بمبلغ تراوَح بين ١٥ و ٢٥ ألف دولار، وكان أعضاء الشبكة - رجل وامرأتانِ - قد اعتادوا السفر إلى البرازيل وبرغواي، وأخذ أطفال من عائلات فقيرة وتهريبهم إلى إسرائيل لبيعهم بِناءً على طلبات ومواصفات عائلات حُرِمت من الأولاد!»[1].

فهل بَلَغَتِ الجاهليةُ الأولى ما بلغته جاهلية القرن العشرين؟!.

إن البشرية الضالة في عالَمنا المعاصر هي أحوجُ ما تكون إلى الإسلام - دين الرحمة والإنسانية -، أين الرحمةُ في قلب أم تحبِسُ طفلتها أكثر من شهرين، حتى تموت جوعاً وعطشاً، وخوفاً وبرداً، بينما تَنعُمُ هي باللَّذة الآثمة بين أحضانِ عشيقها!! أين عاطفةُ الأمومة التي تتغَلَّبُ على شهوة الطعام بالنسبة للحيوان[2]، بل وباقي الشهوات، تلك العاطفة التي ضُرِبَت بها الأمثالُ في التضحية والتفاني عبر الأزمان.. لقد اندثرت وَانمحت من قلب أم متبرجة، خليعة، تخادِنُ الرجال باسم الحرية.

إنّ الإسلام الذي تَجحَدُونَه، وتمقُتُونَه، وتبتَعِدُون عنه، يُوجبُ النار لمن حَبَست هرةً (قطة)، فما بالُنا بمن تحبِس طفلة بريئة عاجزة عن القيام بنفسها حتى تموت؟!.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبت امرأةٌ في

---

(١) مجلة «البيادر السياسي» العدد ٣١٧ - السنة الثامنة - ١٧ أيلول ١٩٨٨ م، ص ٧٦، ٥٠ باختصار.

(٢) أجرى العلماء تجارب على الفئران، فجوَّعوا فأرة ووضعوا الطعام على مسافة معينة منها. وكلما جعلوها تصل إلى منتصف الطريق إلى الطعام أخرجوا وليدَها الفأرَ الصغير، فترجع إليه بسرعة شديدة، مخلِّفةً من ورائها الطعامَ الذي اشتدَّت حاجتُها إليه.. وكُررت التجربةُ عدة مراتٍ، وفي كل مرة كانت عاطفة الأمومة المقدسة تتغلب على ما عداها. هذا هو الحال بالنسبة للحيوان، فأين إنسانية الإنسان؟! أين هي في البلاد التي تزعم أنها حامية حقوق الإنسان!.

هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتى ماتت، فدَخَلَت فيها النارَ، لا هي أطعَمَتْها وسَقَتْها إذ حبَسَتْها، ولا هي تركتها تأكُلُ من خَشَاشِ الأرض» متفق عليه[1].

أين هؤلاءِ القومُ من نبي الإسلام الذي يقول:

«إني لأقومُ إلى الصَّلاةِ وأريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأسمَعُ بكاءَ الصبيِّ فأتجوَّزُ في صلاتي كراهِيَةَ أنْ أشُقَّ على أمِّهِ» رواه البخاري[2].

والذي يقول: «من لا يَرحَمِ الناسَ لا يَرحَمْه الله» متفق عليه[3].

تبّاً لهذه الهمجية التي يُسَمُّونَها «حضارة القرن العشرين».. ويبرأ منها الحيوان الذي تتغلَّب فيه عواطفُ الأمومة على نوازع الشهوة!.

إنها الجاهلية الحديثة، التي ارتَكَسَ فيها البشر، وكان من أهم أسباب نشوئها «تبرُّج» النساء.. وسوء استعمالهن لمعنى الحرية، إذ أن ما تفعله المتحررات هو «تحلل» وليس بتحرر.. فالحرية معناها أسمى وأعلى من أن تُطلَقَ على خَلْعِ المرأة لحجابها.. ومحاربتها لفِطرتها وإنسانيتها.. وإلقائها بنَفْسها في هاوية الفحش والرذائل.. حتى استشرتِ الفواحشُ والمنكرات والمحرمات بصورة فاقَتْ كلَّ حدٍّ.. فويلٌ للنساء اللاتي سقَطْنَ وأسقَطْنَ البشرية في أوحالهن.

وويل لمقلِّدات الأجنبيات في تبرجهن وخلاعتهن، إذ أنهن سينتهين إلى نفسِ النهاية التي سَقَطَتْ فيها الأجنبيات، لأنهن مشتركات في سبب السقوط والتردِّي، وهو التبرج..!.

وها هي ديار المسلمين قد تردَّت في الهاوية التي تَحفِرُها أولئك النسوة لهم.

---

(١) «رياض الصالحين» ص ٥٣٨.

(٢)، (٣) المصدر السابق ص ١١٦ ـ ١١٧.

حكم الإسلام في الموضة

من المعلوم لدى الجميع: أن الموضة بدعة مستحدثة لم يعرِفْها العربُ أو المسلمون من قبل.. وعندما نُريد بيان حكم الإسلام فيها، فإننا لا ندَّعي أن هناك آية قرآنية، أو حديث نبوي ذكرها باسمها المعروف صراحةً، وبيَّن الحكمَ فيها مباشرة، وإنما مَثَلُ الموضة كأيِّ أمرٍ آخر مُستحدَث، فعندما يرادُ بيانُ حكم الشرع فيه، فإننا نضَعُ الإسم جانباً ونبحَثُ في جوهر ذلك الشيء، وتأثيره على الفرد والجماعة المسلمة على ضَوْءِ القواعد الشرعية؛ فإن كان ذلك الأمر خيراً ويعودُ بالنَّفْعِ على صاحبه، أو يتعدَّاه إلى غيره، كان مباحاً أو جائزاً، وإن كان فيه إلحاقَ ضُرٍّ وأذى بصاحبه، أو يتعداه إلى غيره، كان محرَّماً.. وهذه قاعدة شرعية عامة «لا ضَرَر ولا ضِرار».

فالخمر - مثلاً - جدَّت لها أسماءٌ لم يَعرِفْها الإسلام من قبل: كالويسكي، والكونياك، والفودكا، والشمبانيا.. وغير ذلك. وهي كما يعلم الجميع أسماء مستحدثة لم يَرِد فيها - بأسمائها - نصٌّ شرعي يحرِّمها.. وإنما تضافرت النصوصُ على حرمتها من ناحية جوهرها وتأثيرها، لأنه من المعلوم أن هذه مُسْكِرات، وكلها خمرٌ - رَغْمَ تعدُّدِ أسمائها -، والقاعدة الشرعية تقرر: «أن كلَّ مُسْكِر حرام»، و«أن ما أسكَرَ كثيرُه فقَلِيلُه حرامٌ».

وهكذا نتبيَّنُ إن الإسم المستحدث والدارج للمحرمات لا يعني أن حُرمتها زالت.. أو أن يتبجَّح أحد بقوله: ما الدليلُ على حرمة ذلك الأمر المستحدث؟.. وذلك لأن جوهر الأشياءِ وتأثيرَها هو المهم والمعوَّل عليه، لا أسماؤها - والإسلام بذلك يَضَعُ لنا القواعد، ويترك لنا مهمة التطبيق.

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وقد تبيَّنَ لنا من خلال الفصول السابقة: أن الموضة تُلحِقُ الضَّرَر والأذى بصاحبها عن طريق استنزاف أمواله، وتحطيمه معنوياً وجسدياً، ومسخ فِطرته وشخصيته، وتتعدَّاهُ إلى مجتمعه من جميع النواحي: الاقتصادية، والصحية، والنفسية، والاجتماعية، وغير ذلك.. مما يؤكد حُرمتها. وسنستعرض الآن بمشيئة الله تعالى الأدلَّةَ على حرمتها من واقع حقيقة الموضة وتأثيراتها..

الأدلة الشرعية على حرمة الموضة

الدليل الأول: الموضة بدعَةٌ.

تُعتبر الموضة بدعةً مستحدَثةً، بل وتُعتبر من البدع الضارة التي لا يجوزُ للمسلمة العاقلة الرشيدة، وبالمثل الرجل المسلم العاقل الرشيد، أن يتمسَّكا بها، ويساعِدا على قيامها، لأن كلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار.. ففي الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أما بعدُ، فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ الله» وخيرَ الهَدْي هَدْيُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضَلالَةٌ»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «من عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»(٢).

ردٌّ: أي مرفوض ومردود على صاحبه.

والموضة إنْ لم تكن حقاً، فهي باطل وضلالة.

---

(١)، (٢) من «رياض الصالحين»: باب في النهي عن البِدع ومحدثات الأمور، ص ٩٣.

يقول الله تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [سورة يونس: ٣٢].

والدِّين في نظرته هذه ليس جامداً ولا متحجِّراً، بل إنه قد بلغ في ذلك أسمى غايةٍ لرفع مكانة المرأة المسلمة، وتحصينها من الانحرافات المدمِّرة لشرفها وعِفَّتِها وكيَانها، والتي تقوِّض دعائم أسرتها ومجتمعها.

كما أن الإسلام لا يُقاوِمُ بذلك التطور والمدنية، بل إنه برَفْضِه للموضة وغيرها من النُّظُم والبدع والنظريات الهدَّامة، يَربأُ بالبشرية عن التردِّي والانتكاس الذي يتهدَّدُها، إذ أنه بمبادئه السامية، وتعاليمه الخُلُقية الرفيعة التي هي من وَحْي الله، يؤدِّي إلى إصلاح الإنسان، ويتوخَّى تحقيق مصلحته، واجتناب مضرته، والسموّ به إلى أفضل الغايات..

وقد أخطأ وانحرف من اتَّبع الموضة ظناً منه أن في اتباعها التطورَ والتقدُّمَ.. وذلك لأن كلمة «التقدم» التي تتستَّر خلفها الخبائث (إلا ما كان اكتشافات واختراعات علمية بحتة) هي من ابتكار الصهاينة أنفسهم، الذين صَنَعُوا كذلك الشيوعية، وأوهموا العالَمَ أنها «تقدمية» لنشر الإلحاد، ومحاربة الفطرة، وهَدْمِ القيم، وسحق الأديان، وتدمير الأخلاق المتعارف عليها في كل زمان ومكان.. وقد كان أعضاءُ الحزب الشيوعي التأسيسي الأول من اليهود، ومَنْ لم يكن منهم فإنه ذو أصل يهودي من طريق أحد والديه، وكان مُعظَمُهم من المتزوجين باليهوديات.. والأدلة تَدمَغُهم، ومخططاتهم الإجرامية التي عُثِر على بعضها وهي «بروتوكولات حكماء صهيون» تبيِّنُ خداعَهم وزَيْفَهم الذي يرمي إلى سحق جميع الشعوب، لتُصبح مستعبدة «لليهود» قَتلة الأنبياء، أليسوا هم القائلين:

«لا يوجدُ عقلٌ واحد بين الأمميين يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة «التقدم» يختفي ضلال وزيغ عن الحق، ما عدا الحالات التي تشيرُ فيها هذه الكلمة إلى كشوف مادية أو علمية، إذ ليس هناك إلا تعليم حق

واحد، ولا مجالَ فيه من أجل التقدم.. إن التقدم كفكرة زائفة يعمل على تغطية الحق»[1].

ولقد تبيَّنَ لنا عند ذكر الأثر السيىء الخامس من آثار الموضة على الأسرة والمجتمع: أن الموضة من مخلَّفات العصور الغابرة، والجاهليات الماضية، يُقَدِّمُونها لنا تحتَ اسم يَدُلُّ على التجديد والحداثة، وتُعتَبر فكرة زائفة تعمل على تغطية الحق.. فأين أنتم يا قومِ تذهبون؟! أهذه هي الرجعية القبيحة بحَقٍّ - رغم مكابرتكم -، أم إنها تعاليم ديننا التي تكرم الإنسان فتربأُ به عن أن يكون متعرياً كالحيوانات، أو مقلداً كالبهائم - كما تزعمون -؟!.

* ■ *

الدليل الثاني: الموضة ضَرَرٌ وضرارٌ.

تبيَّن لنا من الفصول السابقة أن الموضة تهدف إلى تحطيم الإنسان مادياً ومعنوياً، فهي تضرُّه، وهذا في حد ذاته يجعَلُها محرَّمةً، ثم تتضاعف حرمتها عندما تتعَدَّى من يتبعها إلى غيره، ومن المعلوم أن ذلك مؤكَّد الحدوث، لأن المتبعةَ للموضة تستنزف أموال أوليائها من أب أو زوج، وتُنفِقُها فيما لا يلزم ولا يفيد، فضلاً عن أن خروجها متبرجة - بما تتبعه من موضات - يؤدي إلى نشر الفتن والفساد والانحراف في المجتمع، كما أنها عند مجاوزتها الحدَّ في الاختلاط يؤدِّي ذلك إلى ارتكاب الفواحش التي تُلحِق الضرر بها وبمجتمعها وبأمتها بأسرها: صحياً واجتماعياً ونفسياً... وغير ذلك.

هذا بالإضافة إلى الأضرار الاقتصادية الناجمة عن بناءِ مصانِعَ ومعاهِدَ ومؤسساتٍ لإنتاج الملابس وموادِّ التجميل وأدوات الزينة، مما يُعطِّل قيام

---

(١) «الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون» للتونسي، ص ٢٢٣.

صناعات أخرى نافعة، ويكلِّفُ الدولة ملايين من العُمْلات، ويوُقِعها في الديون.

كما تُنشأ دور للصحافة، ودور لطباعة ونشر الكتب والمجلات المنحلَّة التي تُعنى بالتبرج والموضة وما إليهما، فتضُرُّ بالقيم، وتزلزل الأخلاق، وتسبب تفشي المحرَّمات.. هذا بالإضافة إلى الأموال التي تُهدَرُ بغير حساب لإنشاء ذلك الباطل والترويج له، ومن هنا تُعتبر هذه الكتب والمجلات من المحرمات التي لا يجوزُ الاطلاع عليها.. بل ويُعتَبر المال المتحصل منها مالاً حراماً حراماً.. فعلى كل من يُساعِدُ على ترويج ذلك الباطل سواء أكان طابِعاً أم ناشراً أم مشترياً أم بائعاً أن يتَّقِيَ الله، ويكُفَّ عن ترويجه لذلك الحرام.. والله تعالى يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة: ٢].

ويَلحَقُ بذلك الكتبُ والصحف والمجلات والأفلام والأغاني والمسلسلات، التي تدعو إلى الجنس وتصور العُراةَ والزُّناة والشواذَّ، أو تدعو إلى الإلحاد وتَهْزَأُ بالقِيَم والأديان.. وتُذكي الشهوات البهيمة، وتنشُرُ الأفكار الجاهلية والخبائث، فيَحرُمُ قراءتُها وسماعها ومشاهدتها وإعارتها.. إلى آخر ما يتعلَّق بها.. بل ينبغي القضاءُ عليها ومحاربتها وهدمها قبل أن تهدمنا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعا إلى هُدىً كان له مِنَ الأجرِ مثلُ أجورِ من تَبِعَهُ، لا يَنقُصُ ذلك من أجورِهم شيئاً، ومَن دَعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثلُ آثامِ مَن تَبِعَه، لا يَنقُصُ ذلك من آثامِهم شيئاً» رواه مسلم(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رأى منكم مُنكراً فَلْيُغَيِّرْه بيدِه، فإنْ لَم يَستَطِعْ فبِلِسَانِه، فإنْ لم يَستَطِعْ فبِقَلْبِه، وذلك أضعَفُ الإيمانِ» رواه مسلم(٢).

---

(١)، (٢) «رياض الصالحين» ص ٩٧، ١٠٠ على الترتيب.

فيكون التغيير باليد بتمزيق تلك المجلات والكتب الفاجرة، أو حرقها، أو القضاء عليها بأيٍّ طريقة مادية كانت، ويكونُ التغيير باللسان عن طريق إرشاد الناس وبيان حُرمَتِها لهم، وحثِّهم على القضاء عليها بشتَّى السبل، ويكون التغيير بالقلب عن طريق مقاطعتها وعدم قراءتها، وصَمِّ الأذنين عن سماعها، والامتناع عن مشاهدتها واستعارتها... إلى آخر ذلك.

وما جَرَّ إلى الحرام فهو حرامٌ، والرضا بالمعصية معصيةٌ..

وإن فيها إشاعةً للفاحشة، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النور: ١٩].

احذَرُوا وسائلَ الإعلام المضللة.. ولا تَقْضُوا أوقاتَ فراغِكم فيما فيه القضاءُ عليكم.. وطهِّروا يا قوم أنفسكم قبلَ أن تطهِّركم النار من ذنوبكم.. إن هذه الحياة الدنيا لهو حقاً، وزينة حقاً، ولعب حقاً، وهي دار الغُرور، ودار الابتلاء والامتحان، فلا تُرُوا اللَّهَ من أنفسكم إلا خيراً.. كونـوا ممن اعتبروا بما أنزل الله بغيرهم من عقاب، ولا تكونوا كالأنعـام التي لا تَعقِلُ والدَّواب، ولتَحذَرُوا مما وقع فيه مَن قبلَنا برضاهم بالمعاصي:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ * كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٧٨ - ٨٠].

أضِف إلى ذلك أن التبرج والاختلاط والموضة يشغَلُ الكبار فلا يهتمُّون

بالأطفال الذين هم عدة المستقبل، فيُهملون ويَشِبُّون بلا رعاية أو حصانة، لانشغال أمهاتهم المتموِّضات بأنفسهن وبزياراتهن ورحلاتهن.

وقد قرأنا ـ كنموذج ومثل ـ عن طفلةٍ عمرها ثلاث عشرة سنة تُدمِنُ على المخدرات، وتجمع زميلاتها وزملاءها الصغار في شقتها لـذلك الفعـل.. وهذا في بلد عربي «متقدم» على الصورة التي يبتغيها اليهود.

وهناك شبكاتُ الدعارة التي يديرهـا الأطفال.. فقـد عَلِمنا من أحـد المعلمين بمدرسة ابتدائية بـالدولـة سالفـة الذِّكـر أن تلميذتـه التي بالصف السادس الابتدائي عَرَضت عليه أن تُحضِر له فتيات للفجور بهن، لِقاءَ مبلغٍ زهيد من المال، وهو «ثلاثون قرشاً مصرياً»!.

ومن يُتابع الصحافة والإعلام يقرأ المآسي المفجعة، والبلايا القاتلة، عن مثل ما ذكرت.. فمِن خَطْفٍ واغتصابٍ، إلى زِنىً بالمحارم.. إلى قتل وشـذوذ وارتكـاب للجـرائم.. وإدمـان على المخـدرات، وانغمـاس في الموبقات.. هذه النُّذُرُ بالشرِّ ظهرت في الدول العربية التي تُقَلِّدُ الأجانب في تحللهم، وتسير وَفْقَ أهوائهم، وتتبع سياستهم، بل ونظمهم وقوانينهم.. والله من ورائهم محيط.. ألم يبتلهم الله بـأعدائـه وأعدائهم يُـزَلزِلُـون أمتهم.. ويخربون ديارهم.. فتتحوَّلُ شهواتهم وخطاياهم إلى دموع مِدْرارة.. ودماء مُهدَرة جارية.. وتتبدَّلُ شواطئهم ونواديهم وأماكنُ لهوهم إلى خراب بَلْقعٍ.

اعتبروا بما حَدَثَ في لبنان، وبما سيَحْدُثُ لسائر البلدان.. اعتبروا بلبنان التي كانت قطعةً من الغـرب المنحل: في عاداتها وقيمها وملاهيهـا ومشاربها ومسارحها ومـراقصها وشـواطئها وشـوارعها.. لبنـان التي صدَّرت الأدب المكشوف، ونَشَرت المجلات الفاجرة، والمصوَّرات العارية، وجعلت اللهو ديناً، والخمر شراباً، والتي سيطَرَ الباطل فيهـا على الحق، فأهلكهـا الحق.. وانصرفت عن منهاج الله فدمَّرها الله.. خُذُوا عنها العِبَر إن كنتم لا تقتنعون بأخذ العبر من قوم نوح وفرعون وعاد وثمود..!!.

إن انتشار الموضة في مجتمعاتنا يَمسَحُ عنها هويتها الإسلامية فلا تُميِّزُ في الظاهر بين المجتمع عندنا ومجتمع الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي.. فالأزياء واحدة.. والعادات واحدة.. والتقاليد واحدة.

والتشابه الظاهريُّ ـ بالموضة والتبرج والاختلاط ـ يؤدي إلى التشاكل في الباطن، فنتنكَّرُ لمعتقداتنا وأخلاقنا وتقاليدنا وعاداتنا لنُصبحَ صورة زائفة للأصل الباطل.. وظِلاً مشوَّهاً للبُنيان المنحرف.

ولهذا كلِّه، ولما يُروى عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخُدْري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«لا ضَرَرَ ولا ضِرار» رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً.

فإن الموضة وما تَجرُّه من بعدها من ويلات تُعتبر حراماً بيِّناً صريحاً.

* * *

الدليل الثالث: الموضة إسراف وتبذير.

شَرَعَ الدينُ اللباسَ، واعتبره زينةَ الآدمي لأنه يَستُرُ عورتَه، ويواري سوأته، ويميزه عن سائر المخلوقات، فهو بذلك من النِّعَم الجليلة، ويتمسك به ذَوُو الفِطَر السليمة.. ولذا كان التعرِّي بالتبرج وبأزياء الموضة من خصائص أهل الجاهلية، ومَن لم يَمْنَعه حياؤُه من سَتْرِ عورته فهو جاهلي.. رجعي.. ممسوخ الفطرة.. منكوس الهيئة.. ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

ولقد أنعَمَ اللّهُ علينا بالملبس وقايةً لأجسادنا كذلك من المؤثرات الخارجية الضارَّة، فهي وقايةٌ من البرد، وحماية للجسد من الحر، ووقاية له أثناء الحرب.

يقول تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ

﴿ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [سورة النحل: ٨١]. والسرابيل: هي الثياب.

وأوقفنا اللّٰه تعالى إلى حدٍّ معيَّنٍ في ذلك، فلا إفراط في اقتناء الملابس بغير حاجة، ولا تفريط بأن نترك عوراتنا مكشوفة.

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُوا واشرَبوا وَالْبَسُوا وتصدَّقُوا في غير إسرافٍ ولا مَخِيلَةٍ» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وذكره البخاري معلقاً في «صحيحه».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كلْ ما شئتَ، والبَس ما شئتَ، ما أخطأتك اثنتان: سرفٌ أو مَخِيلة. ذكره البخاري معلَّقاً أيضاً.

المَخيلة: هي الاختيال والتكبر، والسرف والإسراف: مجاوزة الحد الشرعي.

ومن المعلوم أن الموضة تستدعي الإسرافَ والتبذيرَ في شراء ما لا يَلزَمُ من متاع.. بل إن هناك الكثيرات من النساء من تزدحم خزائنهن بالثياب.. فإذا جَدَّت عليهن مناسبةٌ، فإنهن يَقُلْن بحسرة: ليس لدينا ما نرتديه! وتقول إحداهن: إن ثيابي هذه قد رآها الناسُ عليَّ كثيراً، فيجبُ أن أحصل على غيرِها.

وقد اشتَكَتْ إلي إحداهن ذات مرةٍ من أن زوجها يرفُضُ أن تشتريَ ثوباً للعيد.. فقلت لها: لعلك تملكين ثياباً جيدة وكافية.. فقالت لي: نعم، ولكنني تعوَّدْتُ على ذلك، فهل يَصِحُّ أن يراني الناسُ بثيابي القديمة؟!.

عندها طلبتُ منها أن تُرِيَني ثيابَها (أو على الأصح: بعضَ ما عندها).. ففتحت دولابَ الملابس المكدَّس بثياب جميلة جديدة وكأنها لم تُلبَس بعد.. فأخذتُ أُقنِعُها بأن ثيابَها أجملُ مما في السوق، وأنها لن تستطيع الحصول على أفضلَ منها.. فلانَتْ قليلاً، ثم طلبت مني أن أتخيَّر لها ما تلبَسُه من تلك الثياب، فاخترتُ لها.. ولكنني فوجئتُ بعد مدةٍ بشرائها لثوب جديد لم يكن في مستوى ثيابها، فقالت لي ـ وهي تضج بالضحك ـ: لقد تغلَّبتُ على زوجي فاشترى لي هذا الثوبَ للعيد!.

فأبديتُ لها أسفي لفَعْلتها، وأخبرتها أن ثوبَها ليس جميلاً، ولا هو بمستوى ما عندها.

فقالت: أعرف ذلك، ولكن ماذا أفعلُ؟ هذا ما وَجدتُه في السوق، ولا بُدَّ من أن أرتدي ثوباً جديداً مهما كلَّف الأمر، حتى وإن لم يكن جميلاً.. لقد أصبحت تلك هوايتي!!.

أين هؤلاء المبذِّرات، المسرفات الشيطانيات، من خليفة المؤمنين «عمر بن عبدالعزيز»، الذي لم يكن يَملِكُ سوى الثوب الذي عليه، وهو الخليفةُ الذي يستطيع ـ إن أراد ـ أن يحصُلَ على ما يشتهي من أفخر الثياب وأحسنها!.

«يقول مَسلَمَةُ بن عبدالملك: دخلتُ على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه أعودُه في مرضه الذي مات فيه، فإذا عليه قميص وَسِخ، فقلتُ لفاطمة بنت عبدالملك (وهي أخت مسلَمة وزوجة عمر بن عبدالعزيز): يا فاطمة، اغسِلي قميص أمير المؤمنين.

فقالت: نفعَلُ إن شاء اللّه تعالى.

ثم عُدت، فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة، ألم آمُرْك أن تغسِلي قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه.

فقالت: واللّهِ ما لَه قميص غيرُه!!»[1].

هكذا كان الرجل الأول في الدولة الإسلامية.. فرحمه الله تعالى وإيَّانا.

وإنني لا أطالبُ النساء أن يفعلن كعمر بن عبدالعزيز.. فإن ذلك يُعتبر كالمستحيل بالنسبة لنا جميعاً.. ولكن أرجوهن بأن يرضَيْن بما لديهن من ثياب متكدِّسة، ولا يُنكِرْنَ نعمة الله عليهن.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٧].

ولتتَّقِ النساءُ اللَّهَ، وليتأمَّلْنَ مَعِي الحديثَ الشريفَ التالي:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح مَنْ أسلم، وكان رِزْقُه كَفافاً، وقنَّعَه الله بما آتاه» رواه مسلم[2].

وفي رواية: «طُوبَى لمن هُدي إلى الإسلام، وكان عيشُه كَفافاً، وقَنِع» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[3].

وليتَ الإسرافَ اقتصر على اقتناء الثياب فحسب.. وإنما تجاوز ذلك إلى اتباع الموضة حتى في البناء والأثاث المنزلي.. وقد سبق أن تحدَّثتُ عن كيفية ذلك في توضيحي للهدف الأول من إنشاء الموضة، وذلك في الفصل الثاني من هذا البحث، فيُرجَع إليه.

أما عن حُرمة ذلك:

---

(١) «حياة الحيوان الكبرى» للدميري، الجزء الأول ـ ص ٧٠.

(٢)، (٣) «رياض الصالحين» ص ٢١٣.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأحدِّثكم بما فعل النبي ﷺ، إنه خَرَج في غَزَاتِه، فأخذتُ نمطاً (أي: بساطاً له حمل، أي: وَبَر) فسترته على الباب، فلمّا قَدِم فرأى النمط، عرفت الكراهية في وجهه، فجـذَبَه فهتكـه (أي: مزَّقه) وقال: «إن الله لم يأمُرْنا أن نكسُـوَ الحجارةَ والـطين». قالت: فقَطَعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفاً، فلم يَعِبْ ذلك عليَّ. رواه مسلم وأبو داود والترمذي(١).

فنـلاحظ أنه ﷺ نهى عن كسـوة الحجـارة والـطين (أي: الجـدران) بالقماش، بينما لم يَنْهَ عن ذلك عندما حوَّلت زوجته أم المؤمنين رضي الله عنها ذلك القماش نفسه إلى كسوة للوسائد، حيث إنه في الحالة الأولى كان استعمالُ القماش في غير نَفْع ولا ضرورة، وإنما كان ذلك لمجرد التبذيـر والإسراف في الزينة.

وفي الحالة الثانية كان استخدامُ القمـاش نفسِه لمنفعـةٍ فلم يعترض عليها.

وتجدُرُ الإشارةُ هنا إلى أن ما يفعَلُه بعض الناس من تغطيـة النوافـذ والأبواب التي يُحتمل عند فتحها كشف عورة البيت، ورؤية الناس خارجَه لمن هم في داخله، فإن ذلك أمرٌ مُستَحب، بل واجب، لما فيه من ستـر العورة. . وإنما الأعمالُ بالنيات كما هو معلوم شرعاً. .

ويبيّن الإسلام أن الأثاث الفـائض عن حاجـة الإنسان يُعتبـر إسرافـاً وخُيَلاء، فيتَّخِذُه الشيطان له ويكون من نصيبه.

عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «فِراشٌ للرجُلِ، وفراشٌ لامرأتِه، والثالثُ للضَّيف، والرابعُ للشيطان» رواه مسلم وأبو داود. هذا إذا لم يكن له أولاد، وإلا لَزِمَ الفَرْشُ الذي يكفيهم(٢).

---

(١) «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول» المجلد الثالث ـ ص ١٨٣.
(٢) المصدر السابق.

وقد أدّى التبذير والإنفاق على المظاهر الكاذبة إلى التطاول في البنيان لغير حاجةٍ، إلا للتباهي والتفاخر، ومن هنا يُؤجَرُ الإنسان على كل نفقة يُنفِقُها فيما ليس بحرام، إلا على البناء.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى قُبَّة مُشْرفة، فقال: «ما هٰذِهِ؟» قالوا: لفلان الأنصاري، فسكت وحَمَلها في نفسه، حتى إذا جاء صاحبُها فسلَّم على النبي ﷺ فأعرض عنه، صَنَع ذلك مِراراً، حتى عَرَفَ الرجلُ الغضبَ فيه والإعراض عنه، فشكا ذلك إلى بعض أصحابه، فأخبره بأمر القُبَّة، فرَجَع فهدمَها حتى سوَّاها بالأرض، فمرَّ رسول الله ﷺ ذات يومٍ فلم يَرَها، فسأل، فقالوا: رأى صاحبُها إعراضَك عنه فهدمها. فقال: «أَمَا إنَّ كلَّ بناءٍ وَبَالٌ على صاحبه إلاّ ما لاَ، إلاّ ما لاَ» يعني: ما لا بُدَّ منه. رواه أبو داود.

وعنه أيضاً، عن النبي ﷺ قال: «النَّفَقَةُ كلُّها في سبيل الله إلا البناءَ، فلا خيرَ فيه».

وقال إبراهيم النَّخَعي: البناءُ كلُّه وَبَال. قيل له: أرأيت ما لا بُدَّ منه؟ قال: لا أَجرٌ ولا وِزْر. رواهما الترمذي(١).

هذا في البناء اللازم لحاجة الإنسان، فإنه من الأمور المباحة التي ليس لها أجر ولا عليها وزر.. فما بالُك في الأبنية المحرمة: كدور الخَيَالة (السينما)، والبارات، والمسارح، والملاهي، والمراقص، والكباريهات، والكازينوهات.. وما يَفعَلُه بعض القادة من بناء استراحات له على مسافات متقاربة، كلٌّ منها على شكل قصر عظيم، بينما يتضوَّرُ شعبُه فقراً وجوعاً، ولا يجدُ أكثرهم المأوى.. ومنهم من يملك الثروات البترولية الطائلة، فلا يَهُمُّه الإنفاقُ منها على الأعمال الخيرية، أو فكِّ بعض الأزمات الاقتصادية، ولكنه

(١) «التاج الجامع للأصول» المجلد الخامس ـ ص ١٦٥.

ينفقها بلا حساب على مَلَذَّاته وشهواته، كمن يقتنون القصور في البلاد الأوروبية ويجعلونها فارغةً على مدار العام، إلا لبِضع أيامٍ يقضي فيها إجازته فقط، ويظل يتحمَّلُ نفقاتِ الخدم وعمال النظافة طيلة العام بلا مسوِّغ ولا داعٍ . .

وينفق بعضهم ـ ويا للأسف ـ ثرواته على اقتناء النساء الأجنبيات (أي: الأوروبيات)[1]، فتشترط عليه إحداهُنَّ أنه في حالة طلاقها، فإن عليه أن يَهَبَها نصفَ ثروته أو ربعها، وهكذا. . وما أدراك ما ربعُ ثروته؟!. . فيوافقُ تحتَ تأثير شهواته، ثم يطلِّقُها بعد حين فتظفَرُ منه بثروة طائلة لو أرادت أن تُنفِقَ منها إلى نهاية عمرها لكفتها. . ومنهم مَن يُنشىء لزوجته تلك دار سينما خاصة بها «منزلية» وكذلك بار وصالة رَقْص. . إلخ. وتمتلىء قصورهم بالتماثيل والتحف المحرمة شرعاً. . ولكن هل يعرفُ هؤلاء في سكرتهم أن هناك شرع لِلّه؟!.

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥].

«ولو عَلِم هؤلاء بأنهم يومَ يَرَوْنَ أحداثَ يومِ القيامة ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾، إذ أنها من ضخامة الوَقْع في النفس بحيث تتضاءَل إلى جِوارها الحياةُ الدنيا، وأعمارها، وأحداثها، ومتاعها، وأشياؤها، فتبدو في حسِّ أصحابها كأنها بعض يوم «عشية أو ضحاها».

---

(١) ومعظمهن من ساقطات المجتمع: كعارضات الأزياء، وعارضات الإعلانات، والممثلات.

وتنطوي هذه الحياة الدنيا التي يقتتل عليها أهلُها ويتطاحنون، والتي يؤثرونها ويَدَعُون في سبيلها نصيبَهم في الآخرةِ، والتي يرتكبون من أجلها ما يرتكبون من المعصية والطغيان، والتي يحرفهم الهوى فيعيشون له فيها. تنطوي هذه الحياةُ في نفوس أصحابها أنفسِهم، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها.

هذه هي.. قصيرةٌ، عاجلةٌ، هزيلةٌ، ذاهبة، زهيدة، تافهة. أفمِن أجلِ عشية أو ضحاها يُضَحُّون بالآخرةِ، ومن أجل شهوة زائلة يَدَعون الجنة مثابة ومأوى، ألا إنها الحماقة الكبرى، الحماقة التي يرتكبها إنسان يَسمَعُ ويرى»[1].

«وإن اختلال الموازين، وإيثار الحياة الدنيا، هو أساس كل بَلْوى، فمن هذا الإيثار ينشَأُ الإعراض عن الذكرى التي تقتضيهم أن يحسبوا حسابَ الآخرة ويُؤْثرونها.. ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وتسميتُها الدنيا لا تجيء مصادفةً، فهي الواطية الهابطة، إلى جانب أنها الدانية العاجلة.. إن هؤلاء القريبي المطامح والاهتمامات، الصغار المطالب والتصورات.. ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.. هؤلاء الصغار الذي يَستَغرِقُون في العاجلة، ويَذَرُون وراءهم يوماً ثقيلًا، ثقيلًا بتبعاته، ثقيلًا بنتائجه، ثقيلاً في وزنه بميزان الحقيقة»[2].. ذلك هو يوم الحساب والجزاء؛ يوم القيامة.

* * *

(١) «اليوم الآخر في ظلال القرآن» جمع وإعداد: أحمد فائز، ص ١٠٢.
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٢.

الدليل الرابع: الموضة عبودية لغير الله.

كيف لا؟! والموضة تجعَلُ من الزينة المادية همَّ الإنسان الأكبر، وشاغِلَه الأوحد في الحياة، فهو يلاحقها ويتابعها، ويلاحق كلَّ ما يُنشر عنها، حتى يستغرق فيها استغراقاً كاملاً يشمل جُلَّ وقته وتفكيره، ويصرِفُه عن الغاية الأساسية التي من أجلها خُلِق الإنسان.. ويكاد المقلِّد للموضة أن يتَّخِذَ ممن قلَّدهم أنداداً يحبهم كحُبِّ المسلم لله، وسرعة استجابته لما يأمر به..

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥ - ١٦٧].

يقول شهيد الإسلام سيد قطب في تفسيره للآيات السابقة:

«كانت الأندادُ على عهد المخاطَبين بهذا القرآن أحجاراً، وأشجاراً، أو نجوماً وكواكب، أو ملائكة وشياطين.. وهم في كل عهد من عهود الجاهلية أشياءُ أو أشخاصٌ، أو شارات، أو اعتبارات.. وكلُّها شِرك خفي أو ظاهر، إذا ذُكِرت إلى جانب اسم الله، وإذا أشْرَكَها المرءُ في قلبه مع حُبِّ الله، فكيف إذا نزَعَ حبَّ الله من قلبه، وأفرَدَ هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلا لله؟!.

أولئك الذين اتَّخذوا من دون الله أنداداً لو يَرَوْنَ يوم يتبرأُ المتَّبعون من التابعين، وتتقطَّعُ بينهم الأواصِرُ والعَلاقات والأسباب، وينشَغِل كلٌّ بنفسه، وتسقُطُ الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يَتبعونها، وعَجَزَتْ عن

وقاية أنفسها فضلاً عن وقاية تابعيها، وظهرت حقيقة وقدرة الألوهية، وكذب القيادات الضالة، وعجزها أمام الله وأمام العذاب، وتبدَّى الحَنَق والغيظ من التابعين المخدوعين لمن قادوهم إلى الضلال، وتمنّوا لو يعودون إلى الأرض فيتبرَّؤون من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها والتي خدعتهم في الحياة الدنيا بظاهرها الكاذب، ثم تبرَّأَتْ منهم أمام العذاب.. إنه مشهد مؤلم مؤثر: مشهد التبرُّؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين.. وهنا يجيء التعقيب المؤلم: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾»(1).

وما يَدُلُّ على أن متّبِع الموضة عبدٌ لغيرِ الله من السنة النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدينارِ والدِّرهمِ والقَطِيفةِ، إن أُعطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعطَ لم يَرضَ» أخرجه البخاري.

يقول صاحب كتاب «سُبُل السلام»:

«تَعِس: هو الهلاك والعِثَار والسقوط والشر والبعد والانحطاط. والقَطيفة: هي الثوب الذي له خَمل (ويراد به الثياب بصفة عامة).

وأراد بعبدِ الدينار والدرهم من استعبدته الدنيا بطلبها، وصار كالعبد لها تتصرَّفُ فيه تصرُّفَ المالك لينالَها، وينغمس في شهواتها ومطالبها، وذِكْر الدينار والقطيفة مجرَّد مثال، وإلا فكل من استعبدته الدنيا في أيٍّ أمر، وشغلته عمّا أمر الله تعالى، وجعل رضاه وسخطه متعلِّقاً بنَيْلِ ما يريد أو عدم نَيْله، فهو عبده!.

فمن الناس من يستَعبِدُه حب الإمارات، ومنهم من يستعبده حب الصُّور، ومنهم من يستعبده حب الأطيان (أي: حيازة الأراضي والأملاك).

---

(1) «في ظلال القرآن» لسيد قطب، المجلد الأول، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ باختصار.

واعلم أن المذموم من الدنيا كلُّ ما يُبعِدُ العبدَ عن الله تعالى، ويَشغَلُه عن واجب طاعته وعبادته، لا ما يعينه على الأعمال الصالحة فإنه غير مذموم، وقد يتعيَّن طلبه، ويَجِبُ عليه تحصيله»[1].

* * *

الدليل الخامس: الموضة تولِّدُ الحقد أو التكبُّر أو الحسد بين الناس.

إنه من البديهي أن أتباع الموضة يُعجَبُون بأنفسهم وقد حازُوا ما لم يَحُزْه غيرهم.. فيحتقرون غيرهم ممن لا يهتمُّون بتلك التفاهات، أو ـ على الأقل ـ لا يملكون المال اللازم للشراء.. كما يختالون ويتكبَّرون عليهم، فيحسد من يتمنَّون الحصول على الموضات من حَصَل عليها فعْلاً.. وجميع ما سبق أدواء نفسية، وخطايا خلقية، نفَّر منها الدينُ وحرَّمها.. وإليكم الأدلةَ على ذلك:

فمِمَّا ورد من تحريمٍ للاحتقار: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بحَسْبِ امرىءٍ من الشرِّ أن يَحقِرَ أخاه المسلمَ» رواه مسلم[2].

ومما ورد في الحسد: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إيَّاكم والحسد، فإن الحسدَ يَأكُلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ. أو قال: العُشب» رواه أبو داود[3].

أما ما ورد في حُرمة التكبر والاختيال والإعجاب بالنفس: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بينما رجلٌ يَمْشِي أعجبته جُمَّتُه وبُرداه إذ خُسِفَ به الأرض، فهو يَتَجلْجَلُ في الأرض حتى تقوم الساعة» رواه الشيخان[4].

---

(١) «سبل السلام» للأمير الصنعاني، المجلد الأول ـ ص ١٥٣ ـ ١٥٤ باختصار.

(٢)، (٣) «رياض الصالحين» للنووي، ص ٥٣٠ و٥٢٨ بالترتيب.

(٤) «التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٦٣.

جُمَّتُه: أي شعره النازل إلى منكبيه (كتفيه). وبُرْداه: ملابسه.

انخسفت به الأرضُ فهو يتجلجل: أي يهوي فيها إلى يوم القيامة لا يَصِل إلى قَرارها جزاءً على كبره.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَن جَرَّ ثوبَه خيلاء لم يَنْظُرِ اللَّهُ إليهِ يومَ القيامة» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شِقَّي إزاري يَستَرخِي إلا أن أتعاهَدَ ذلك منه. فقال ﷺ: «لستَ ممن يَصنَعُه خُيَلَاء» رواه الخمسة[1].

والمعنى: من أطال ثوبه حتى جرَّ على الأرض خيلاء ـ أي: عجباً وكبراً ـ لم يَنْظُرِ الله إليه يوم القيامة نظرَ رحمةٍ، بل نظر غضب ومقت.

ومعنى «أتعاهد ذلك منه» أي: أرفَعُه.

ويدُلُّ الحديث الأخير على حرمة إطالة ذيل الثوب الرجالي، ولكن يختلف الأمرُ بالنسبة للمرأة، فيجب إطالةُ ذَيْلِ ثوبها منعاً لكشف عورتها، ومن المعلوم أن قدميها عورة يجب سَترُهما.. ولكن ينبغي أن تتنبَّه إلى أن تلك النية (وهي ستر القدمين) يجب أن لا تُستَغلَّ لتتحول إلى الاختيال كما تفعَلُ العروس التي تبالغ في إطالة ذيل ثوب العرس الأبيض، أو طول الطَّرْحَة البيضاء التي تزيِّنُ بها رأسَها بحيث تجر على الأرض خلفها بضعة أمتار، فتمشي الواحدة منهن متعاظمة، متكبِّرة، تَتِيهُ بنفسها إعجاباً وكأنها ستَخرِقُ الأرض، أو تبلغ الجبال طولاً.

فما هو الفرق في طول ذيل الثوب عند الرجل والمرأة؟:

أولاً: بالنسبة للرجال.. فإنه يَحرُم إطالة الثوب إلى أسفل الكعبين للحديث التالي:

---

(١) «التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٦٣.

قال عبدالرحمن بن يعقوب الحُرَقي: سألت أبا سعيد عن الإزار، فقال: على الخبيرِ سَقَطْتَ، قال رسول الله ﷺ: «إزْرَةُ المسلمِ إلى نصفِ الساقِ، ولا حَرَجَ ولا جُناحَ فيما بينَه وبين الكعبَيْنِ، ما كان أسفلَ من الكعبينِ فهُوَ في النارِ» رواه مالك وأبو داود وابن ماجه.

ثانياً: بالنسبة للنساء.. فإنه يجبُ عليهن إطالةُ ذيول ثيابهن لستر أقدامهن، ولا يزيد طول الذيل من أسفل الكعبين عن ذراع، وذلك لأن قدَمَي المرأة عورة في العبادات وعلى الرجال الأجانب، وذلك بقصد ستر العورة وليس بقصد الزينة والاختيال، كما في إطالة ذيل ثوب العروس الأبيض.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من جَرَّ ثوبَه خُيَلاء لم يَنْظُرِ اللَّهُ إليه يومَ القيامة». فقالت أم سلمة: فكيف يصنَعْنَ النساءُ بذيولهن؟ قال: «يُرْخِينَ شِبْراً». فقالت: إذن تنكشِفُ أقدامهن. قال: «فيُرخِينَ ذراعاً لا يَزِدْن عليه» رواه الترمذي(1).

وقد ترتَّب على ذلك أن تسأل النساءُ رسول الله ﷺ عن التصرف اللازم إزاءَ مرورهن على نجاسات، فوضَّح لهن أن ذيل الثوب إذا نجَّسه مكان قَذِرٌ، فإنه يَطْهُرُ بمجرد مروره على أرض طاهرة بعد ذلك، فلا حاجةَ لغَسْلِهِ، وهذا تيسير عظيم على النساء، ورَفْعٌ للحَرَج حتى لا يُرهقهن تنظيف الثوب كلما خرجن به.

فقد أخرج مالك وغيره، عن أم ولدٍ لإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، أنها سألت أمَّ سلمَةَ زوج النبي ﷺ فقالت: إني امرأةٌ أُطيلُ ذَيْلي وأمشي في المكان القَذِرِ! قالت أم سلمة: قال رسول الله ﷺ: «يُطهِّرُه ما بَعْدَه».

وعن امرأة من بني عبد الأشهل قالت: قلتُ: يا رسول الله، إنَّ لنا

(1) «التاج لجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٦٩.

طريقاً إلى المسجد مُنتِنَة، فكيف نفعَلُ إذا مُطِرنا؟ قال: «أليسَ بعدَها طريقٌ هي أطيَبُ منها؟» قالت: قلت: بلى. قال: «فهٰذِهِ بهٰذِهِ» رواه أبو داود.

فتأمَّلْن أيتها المسلماتُ كيف صانَ الإسلام أجسادَكن من الابتذال، وعوراتِكنَّ من الامتهانِ.. فإذا حُرِّم كشفُ القدمين، بل وإسماع صوت الزينة المتعلقة بهما كصوت الخلاخيل (والتي عادت موضتُها للظهور بين النساء).. وصوتِ الكعب الرفيع الذي تُظهِرُه الموضة وتَفرِضُه بين الحين والآخر، وذلك يتَّضِح من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور: ٣١].

فكيف بالله أجازَتْ نساء المسلمين لأنفسهن كشفَ سيقانهن، بل وأفخاذهن، بما تَعرِضُه عليهن الموضة الآثمة.. بل وكيف عرَّين أجسادَهن جملة على شواطىء البحار وأماكن اللهو وغيرها.

نسأل الله أن لا يَأخُذَنا بجريرتهن، ولا يُنزل علينا غضباً بفسقِهن.. اللهم إنا نبرأ إليك منهن.. فلا تؤاخِذْنا بما فَعَلَت سفيهاتُنا.. واهدِنا واهدهنَّ واهدِ أولياء أمورهن ليتَّبعوا سبيلَك، فلا يكونوا من الفجرة الآثمين، ولا من الظَّلَمة الفاسقين.

ومما يستدعي العجب أن نرى أنَّ هناك من النساء من ألزَمَت نفسها بالحجاب فغَطَّت وجهها، ولكنها ارتدت البالطو القصير الذي تَصِلُ نهاية ذَيْله إلى منتصف الساق، ثم ترتدي جَوْرباً رقيقاً يغطي ساقيها العاريتين الظاهرتين للعيون، وكنتُ أتساءل: ما ضَرَّ هؤلاءِ النسوةَ لو أنهن أطَلْن ثيابَهن إلى الكعبين - على الأقل - ثم ارتَدَيْنَ جَوْرباً سميكاً يُخفِي القدمين، وانتعلن حذاءً ذا كعبٍ مطاطي أو فليني مما لا يُصدِرُ صوتاً مغرياً أثناء السير كما يصدره الكعب العالي! وكنت أشعر بالحسرة أكثر وأنا أرى بعضهن قد تزيَّنَّ بمختلف أنواع الزينة والحُلي والأخمرة (أغطية الرأس الفاتنة)، وارتَدَيْنَ ثياباً

محدِّدة للعورة كقميص وتنورة، فتبدو استدارَةُ الصدر والأرداف وتحديد الخصر. . ويكتمل المصاب بأن يكون إزارُها قصيراً إلى الكعبين، فتَصِلُ تبرُّجَها الذي تزعُمُ أنه حجابٌ بجَوْرب رقيق مُغْرٍ شفاف، وتنتعل حذاءً ذا صوت صارخ رفيع الكعب تنتقل عليه بدَلاَلٍ، وتتمايل مع الألحان التي يُصدرها ذات اليمين وذات الشمال.

حَدَثَ أنِ التقيتُ مع سيدة تناقشتُ معها في هذا الأمر، فأبدَتْ دهشتَها وهي تقول لي: إنها حضرت محاضرة دينية، قامت بإلقائها معلِّمة بمعهدٍ عالٍ لتدريس الفتيات، وكان مما ذكرته تلك المعلِّمة في محاضرتها: أنه يحرم على المرأة أن تُطيل ثوبَها إلى أكثر من نصف الساق!.

وقد استندت في فَتْواها التي لم تُسبَق إليها إلى الحديث المختص بالرجال (بل إن الرجال يغطوا أكثر من ذلك، فإن لهم أن يُطيلوا الذيل إلى ما فوق الكعب مباشرة، وهذا أقصى حدٍّ لهم). . ولست أدري كيف فات تلك المعلِّمة أن ثياب المرأة غير ثياب الرجل، وأن هناك من الأحاديث ما يجعَلُ من ثوب المرأة ما يجاوِزُ أسفلَ الكعبين إلى أن يَجُرَّ على الأرض شبراً. . أو ذراعاً. . وذلك لأنهما عورة في العبادات، وعورة بالنسبة لنظر الأجنبي إلى المرأة (والأجنبي: هو غير زوجها أو محرمها المؤبَّد). . ففهمتُ السرَّ الذي يجعل من النساء مَنْ تفعل ذلك، فيبدو حجابُها وكأنه «حجاب نصفي»، أصاب شِقَّه الآخر شَلَل نِصفي!!.

* * *

الدليل السادس: الموضة تؤدي إلى هضم الحقوق الزوجية.

أذكر عندما كنت أعمل في سلك التعليم في بلدٍ عربي شقيق، أنْ قَدِمَتْ إحدى زميلاتي من المعلِّمات المغتربات إلى المدرسة وهي تحمِل في حقيبة يدها عُلبة مجوهرات تحتوي على عِقدٍ وخاتم وحَلَق وسوار على هيئة مجموعة متكاملة «طقم». .

قالت ـ وهي تعرض علينا تلك الحُلِيَّ ـ: لقد أهـدَى لي زوجي هذه المجوهرَات بالأمس!.

فسألتها إحدانا بجُرأة: كيف أمكَنَكِ التحـايلُ على زوجـك المسكين ليُحضِر لك هذه الهدية مرتفعةَ الثَّمنِ؟.

فردَّت عليها صاحبةُ الحُلي: بأنها رأت ذلك الطقم ذات مرة في محل لبيع المجوهَرات، أخبرها صاحبُه أن هذا الشكل هو أحدث موضة في عالَم المجوهرات.. فطلَبَت من زوجها شراءَه لها، فاعتَذَرَ بضِيق ذات اليد، فلما قالت له: أنها ستساهم معـه في ثمنه، رفضَ متعللاً بـأن لديهـا الكثير من المجوهرات والحلي فلا يلزمها شراء الجديد.

فلم تيأس، أو تكُفَّ عن المطالبة بالحُلي المـذكورة بـدون جدوى، فرأت أن أفضل طريقة هي مَنْعُ زوجها حقَّه في المعاشرة الزوجية.. وظلَّت مواظبةً على تنفيذ تلك الفكرة الدنيئة، حتى تسلَّم راتبَه وأحضر لها ما تريد!.

وليت الأمرَ اقتصر على هذا الحد، ولكن ردَّت عليها مَن سألتها بقولها: سأجرِّبُ أنا الأخرى هذه الطريقة مع زوجي، وسأخبركم بالنتيجة..

فنهيتُهـا عن ذلك مبيِّنـةً لها حُـرمتَه، فـأصرَّت على أن تنفِّـذ خطَّتهـا الشيطانية.. حتى جاءتنا ذات يومٍ تحمِلُ عِقداً فقط، وأرته لنا وهي تقول: صَبركم بالله عليَّ، فإنني لن أسكت حتى أحصل على باقي المجموعة!.

وأخبرتني مَن أثِق بها: أن لها شقيقةً متزوجةً، وكانت لا تسمح بإعطاء زوجِها حقَّه من المعاشرة الزوجية إلا نظيرَ مبلغ معين من المال لتشتري ما يعجبها من الأزياء والموضات.. وظلَّت على هذا المنوال حتى سَئِم منهـا زوجها، فتزوَّجَ بأخرى، وعاقب الله تلك المرأةَ بمرضٍ نفسي في نهاية الأمر!.

فكيف ـ بالله ـ انحدرت نسوةٌ مُحصَنَات إلى ذلك الدرك الـوضيع.. فتشبَّهن بالبغايا والمومسات اللاتي يعاشِرنَ الرجال نظير مبلغ من المال؟!.

وكيف تَحرِمُ المرأة زوجها ـ الذي هو أعظم الناس حقاً عليها ـ من حقٍّ فَرَضه الله له، وأوجَبها أن تطيعه فيه؟[1].

أين المودة والرحمة والسكينة التي ستُثْمِرها تلك العَلاقة الزوجية التي تقوم على مبدأ الطمع والمساومة؟.

بل أين الحياءُ الفِطري للمرأة، الذي تجمَّد في عروقها فـطَفَحَ على وجهها قُبْح سافر، وجفاء قاتل يأتي إليها زوجُها راغباً، فترده عنها منقبضة، وتُعرض عنه إعراض الحُمُر المستنفرة، وتتلوى رافضة كما تتلوى الحية الخبيثة الماكرة!.

وكلٌّ ذلك من أجل عَرَض دنيوي زائل، تافه، وإرضاء لهوى نفسها في اقتناء موضات ليست بحاجة إليها، ولا تستحق فعلها الذميم هذا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فِراشِهِ، فلم تَـأْتِهِ، فبـاتَ غَضْبانَ عليهـا، لَعَنَتْها المـلائكةُ حتى تُصبحَ» متفق عليه.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من رجلٍ يَدْعُو امرأتَه إلى فِراشِهِ فَتأْبَى عليه، إلا كان الذي في السماءِ ساخِطاً عليها، حتى يَرْضَى عنها». أي: أن سخط الله مستمرٌّ عليها ما استمر سخط زوجها.

---

(١) هناك بعض النسوة من تعاقب زوجَها إذا حدثت بينهما مشادَّة بحرمانه من حقه في المعاشرة الزوجية، فتنقلب الآية هنا، وتصبح وكأنها الرجل وكأن زوجها هو المرأة، فتعكس مدلول الآية الكريمة: ﴿الرجالُ قوَّامون على النساء بمـا فضَّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتاتٌ حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نُشوزهن فعِظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تَبْغُوا عليهن سبيلاً إن الله كان عليّاً كبيراً﴾ [سورة النساء: ٣٤]، فهل يُعتبر رجـلاً من يرضى لنفسه ذلك؟.

وعن طَلْق بن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا الرجلُ دعا زوجَتَه لحاجَتِهِ، فلْتَأْتِه وإن كانت على التَّنورِ» رواه الترمذي والنَّسائي.

والتنور: ما يُخبَزُ فيه الخبز (الفُرن).

فعلى المرأة إجابة زوجها ولو كانت منهمكةً في عمل المنزل، وهذا يدلُّ على مدى حرص الإسلام على إيفاء حق الزوج.. كيف لا؟ وهو الذي تـزوَّج المرأةَ فعفَّهـا عن الحرام.. وأنفق عليهـا من مالِـه مـا أغنـاهـا عن السؤال.. وجعلهـا شريكـةَ حيـاتـه، ورفيقـةَ معيشتـه.. أراحَهـا من الـذلِّ والمشقة، وأعفاها من الجَدِّ في طلب المعيشة.. أَبَعْدَ ذلك كلِّه تتنكر لأبسط حقوقه، فتدفَعُه إلى التفكير في الحرام.. وتجرُّ عليه من الآلام النفسية ما لا يَلِيقُ بإنسانة شريفة، محصَنة كريمة..

فلتتَّقِ اللَّهَ النساءُ في أزواجهنَّ، وليعلمن أنهن أكثر أهل النار؛ لإكثارهن اللعن، وكفرانهن العشيرَ (أي: الزوج) بعصيانهن أزواجهن، وجحود إحسانه إليهن.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «اطَّلعتُ في النارِ، فإذا أكثرُ أهلِها النِّساءُ: يَكْفُرْنَ العشيرَ؛ لو أحسنتَ إلى إحدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثم رأَتْ منك شيئاً قالت: ما رأيتُ مِنكَ خيراً قطُّ» رواه البخاري.

* * *

الدليل السابع: تؤدي الموضة إلى تشبُّه الرجال بالنساء، وتشبُّه النساء بالرجال.

تَظهَرُ علينا بين حين وآخر موضات مريبة تستهدف القضاء على الفوارق الطبيعية بين الذكور والإناث، وتستدعي ذَوَبانَ الشخصية، بحيث لا يستطيعُ المرء أن يميز ـ أحياناً ـ بين الرجل والمرأة.. وهذا مخطط قديم مدروس، يهدف ـ بعد إلغاء الفروق الظاهرة بل والاجتماعية لكلا الجنسين ـ إلى إلغاء

التكاليف الشرعية الخاصة بكلٍّ منهما، والتي تقومُ على أساس تلك الفروق الطبيعية الفِطرية التي فَطَر الله الناس عليها..

وبمعنى آخر: فإن ثورة بعض النسوة المشبوهات من رئيسات تحرير مجلاّتٍ نسائية مأجورة تُمَوِّلُها جهاتٌ أجنبية.. وكذلك ثورة قيادات ضالة تدَّعي الحفاظ على حقوق المرأة، وتَتَّخِذُ من النوادي والجمعيات النسائية وَكْراً لها، فتطالب بالمساواة بين الرجل والأنثى (فيما لا يُعقل أن تكون فيه مساواة أبداً، إلا إذا صار الرجالُ يَلِدُون مثل النساء، ويتعرَّضُون للحيض والنفاس وسائر الأعراض التي تَمُرُّ بها المرأة، أو إذا صارت للنساء عضلات قوية شديدة تتحمل الأثقال، وقدرة وإرادة قوية تعالج الأمور بعيداً عن العاطفة البحتة).

وإنني أتحدَّى هؤلاء النسوة المطالِبات بالمساواة مع الرجل ـ والتي هي ليست في صالح المرأة ـ أن يُنبِتْن لأنفسهن لحيةً على الأقل كدليل مادي على صحة مطالبتهن بالمساواة مع الرجل، ولكن هذا ما لا يمكن ولن يمكن.. ولهذا فقد لجأتْ تلك المشبوهات إلى تقليد الرجال في الملابس والهيئة، استماتة في أن يُصبِحْنَ رجالاً شكلاً، بعد عجزهن عن أن يُصبحن رجالاً في الخِلْقة والتركيب!.

ونشأ عن ذلك الشُّذوذُ في التصور، بل والمخطط الرامي إلى دَمْج الرجال بالنساء، لتعطيل التكاليف الشرعية الخاصة بكل منهما، ومنها الحجاب ـ على سبيل المثال ـ بدافع القضاءِ عليه قضاءً نهائياً، مع باقي الأحكام الخاصة بالميراث والنفقة... إلى آخر ذلك.

أقول: نشأ عن ذلك الشذوذِ في التصور ظهورُ فئة من النقاد والأدباء تُنادِي ـ بعد نعيقها بالمساواة ـ إلى ما نادى به أحدُهم، وهو «يوسف إدريس» الذي كتب في مجلة «حواء» المصرية، وتحدَّى في مقاله من يَقِفُ أمامَه ليقول: إن هناك آدم وحواء، رجلاً وامرأة، فهو لا يرى انفصالاً بين الجنسين، بل هو جنس واحد اسمه الإنسان، أو بني آدم..

وبالطبع لن يَقِفَ أمامَه أحد، حتى ولو كان مجنوناً، ويكفي أنه كتب مقاله ذلك في مجلة اسمها «حَوّاء»، وهي مجلة نسائية، فكان من الأولى لمجلس إدارة تلك المجلة إما أن يُلغِي اسم المجلة، أو أن يلغي المقال، لما فيهما من التناقُضِ.. وهذا ما لم يَحدُث؛ مما يدل على التخبُّط في الفكر والشذوذ في الاعتقاد، والتخريف بما يَستحي من مجرد سماعه العقلاءُ، بل ولا يمكن أن يتفوَّه به أعتى المجانين.. ولكن هؤلاء يهدفون إلى تعميم الإباحية المطلَقة، فيُقضَى على الأديان، وتعودُ جاهلية الجنس بلا وازع ولا رقيب، ولا يستحيون من أن يَقرأ كلامَهم المتناقضَ أُلوفٌ من الناس على اختلاف مستوياتهم وثقافاتهم!.

وبعد أن مَهَّد الإعلامُ المشبوه لهذه الفكرة، وأوهم الشباب أنها في صالحهم، خرجت علينا الموضات التي تجعَلُ من لباس المرأة والرجُل شيئاً واحداً، تدعيماً لنظرية أن التشابه في الظاهر يُورِثُ تشابهاً في الباطن.. وبغَضِّ النظر عن الآثار المترتِّبة على تلك الفكرة (والتي سنناقشها في الفصل المتعلّق بحرية المرأة بمشيئة الله تعالى) فإننا سنبحث الآن حرمة ذلك التشابه المعدود من كبائر الذنوب، إذ أن ذلك التشابه استَوْجَبَ اللَّعنَ ـ وهو الطرد من رحمة الله، كما طُرد إبليس ـ ومن المعلوم أن ما يستوجب اللعنَ هو من كبائر الذنوب.

فقد أخرَجَ البخاري والأربعة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَعَن رسول الله ﷺ المتشبِّهين من الرجالِ بالنساءِ، والمتشبهاتِ من النساء بالرجال.

وأخرج البخاري عنه أيضاً قال: لعن رسول الله ﷺ المخنَّثِين من الرجال، والمترجِّلات من النساء.

والأول: جمع «مخنَّث» بفتح النون وكسرها: وهو ما فيه انخناث، وهو التكسُّر والتثنّي كما يفعَلُه النساء.

والثاني: المتشبهات من النساءِ بالرجال.

وفي رواية ـ قال المنذري: لا أعلَمُ في رواتها مجروحاً ـ: «ثلاثةٌ لا يَدْخُلُون الجنةَ أبداً: الدَّيُّوث، ورَجُلَةُ النساء، ومُدمِن الخمر».

قالوا: يا رسولَ الله، أما مُدمن الخمر فقد عَرَفناه، فما الديُّوث؟.

قال: «الذي لا يبالي بمن يدخل على أهلِه».

قلنا: فما الرَّجُلَة من النساءِ؟.

قال: «التي تتشبَّهُ بالرجال».

ويقول الحافظ ابن حَجَر الهَيْتَمي:

«يجبُ على الزوج أن يَمنَع زوجته مما تقع فيه من التشبُّه بالرجال في مشية أو لبسة أو غيرهما، خوفاً عليها من اللعنة، بل وعليه أيضاً.. فإنه إذا أقرَّها (أي: وافقَها على ذلك) أصابه ما أصابها.. وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، أي: بتعليمهم وتأديبهم، وأمرهم بطاعة ربِّهم، ونهيهم عن معصيته، ولقول نبيه ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته؛ الرجلُ في أهلِه راعٍ وهو مسؤولٌ عنهم يومَ القيامة»، وفي الحديث: «إن هَلاكَ الرجالِ طاعتُهم لِنسائِهم»[1].. ومن ثَمَّ قال الحسنُ: واللّهِ ما أصبَحَ اليومَ رجل يُطيع امرأتَه فيما تهوى إلَّا كبَّهُ الله في النار»[2].

* * *

(١) أي: أن هلاك الرجال يكمن في طاعتهم لنسائهم في انحرافاتهن وأهوائهن الباطلة.

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لابن حجر الهيتمي، ج ١ ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

الدليل الثامن: الموضة تبرُّج محرَّم.

من المعلوم أن في اتِّباع الموضة ميلاً عن الحق، وذلك لأنها تبرُّجٌ ذَمَّه الشرع، وجَعَله من كبائر الذُّنوب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «صِنْفانِ من أهلِ النار لم أرَهُما: قومٌ معهم سِيَاطٌ كأذناب البَقَر، يَضْرِبون بها الناسَ، ونساءٌ كاسِياتٌ عارياتٌ، مُمِيلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسُهُنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائلة، لا يَدْخُلْنَ الجنَّة، ولا يَجِدْن ريحَها، وإنَّ ريحها ليوجَدُ من مسيرةِ كذا وكذا» رواه مسلم.

وفي رواية: «من مسيرةِ خمسِ مئةِ عامٍ».

يقول الإمام النَّوويُّ: «معنى «كاسيات» أي: من نعمة الله.

«عاريات»: من شُكرها، وقيل: معنى تَستُرُ بعض بَدَنها، وتَكشِفُ بعضه، إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل: تلبَسُ ثوباً يَصِفُ لون بدنها.

ومعنى «مائلات»، قيل: عن طاعة الله وما يلزمُهُنَّ حِفظُه. «مميلات»، أي: يُعلِّمْنَ غيرهن فِعْلَهنَّ المذموم. وقيل: «مائلات» يمشين مُتَبَخْتِرات، «مميلات» لأكتافِهِنَّ.

«رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ» أي: يُكبِّرنَها ويعظِّمنَها بلفٍّ عِمَامةٍ أو عِصابةٍ أو نحوها»[1].

يُلاحَظ من الحديث النبوي الشريف أن معنى «كاسيات عاريات» تحتمل معانٍ متعددة، منها ما فسَّره الإمام النووي. . ويدُلُّ معنى الحديث كذلك أن ترتدي المرأة ثياباً تحدد من حجم عورتها، فلو ارتدت المرأة ثياباً

---

(١) «رياض الصالحين» للنووي، ص ٥٨١ ـ ٥٨٢. ومن يرد الزيادة والاستيضاح فليرجع إلى كتاب «المتبرجات» للمؤلفة.

طويلة (كموضة الماكسي)، ولكنها مع ذلك تُبرِزُ استدارةَ صدرها وحجم خصرها، وغير ذلك من أعضائها، فإنها تصبح بهذا كاسية عارية.

ولا يعني ذلك أن الأمر يتعلّق بالنساء فحسب، بل إنه يَحرُم كذلك على الرجل إظهارُ عورته بتحديدها، كما يفعل ذلك من يرتدي البنطلون الرجالي الضيِّق.. ولما كان فَخِذُ الرجل مختلفاً فيه؛ هل هو من العورة، أم لا؟ وذلك لورود بعض الأحاديث التي تَذكُر أنه من العورة، وورود بعضها الآخر الذي يذكر أن الفخذ ليس بعورة، ومن تلك الأحاديث أكتفي بذكر ما يلي:

«عن أنس أن النبي ﷺ يومَ خيبر حَسَر الإزار عن فَخِذه، حتى إني لأنظُرُ إلى بياض فخذه. رواه أحمد والبخاري.

وعن جرهد قال: مرَّ رسول الله ﷺ وعليَّ بُردة، وقد انكشف فخذي فقال: «غطِّ فخِذَيْك، فإن الفخذَ عورَة» رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن. وذكره البخاري في «صحيحه» معلَّقاً.

قال البخاري: حديث أنس أَسنَدُ، وحديث جرهد أحوط. أي: أن حديث أنس المتقدم أصحُّ إسناداً»[1].

ومعنى «أحوط»، أي: يُؤخَذ به على سبيل الحذر والاحتياط من الوقوع في الحرام.

أقول: لما كان الأحوط سَتْرَ الفخذ، فإن ارتداء الرجل المسلم للبنطلون الرجالي الضيق الذي يحدِّدُ من شكل عورته كلها المتفق على أنها عورة، وعورة الفَخِذ المختلف في أمرها، أقول: إن ارتداء مثل هذا البنطلون للرجال يُعتبر حراماً من باب تحديد العورة[2]، وللنساء يُعتبر حراماً بجميع أشكاله من باب تحديد العورة والتشبه بالرجال كذلك.

---

(١) «فقه السنة» لسيد سابق، ص ١٢٥ ـ ١٢٧ باختصار من المجلد الأول.

(٢) هناك ما يُعرف بالبنطلون الشورت، أي: القصير إلى منتصف الفخذ، يلبسه =

ولكن يجوزُ للرجل ارتداءَ البنطلون كلباس داخلي يرتديه أسفل ثوبه المعروف بالجلابية، أو إذا ارتدى فوقه معطفاً (بالطو)، أو ما يُعرف بالملابس الباكستانية: وهي عبارةٌ عن بنطلون واسع منتفخ وقميص يصل من الأكتاف إلى ما تحتَ الركبة بقليل، أو إلى منتصف الساق، ويكون مشقوقاً من الجانبين قليلاً لتسهيل الحركة، أو ليلبس الرجل ما يُعرف بالإزار كالذي يرتديه رجال اليمن، أو بلاد شرق آسيا من المسلمين: وهو عبارة عن قطعة مستطيلة من القماش توضَعُ على الخَصْر وتُعقد من أحد الجانبين إلى الداخل، أو تضبط على الخصر بعد لفِّها حولَه بحزام جلدي، وتَنسَدِلُ قطعة القماش هذه إلى منتصف الساق، أو إلى ما فوق الكعبَيْن. . فليَخْتَرِ الرجل المسلم ما يشاء من تلك الأردية المذكورة سابقاً بدلاً من لبس البنطلون المحدِّد للعورة، وهو معلوم الحرمة لذلك، بالإضافة إلى أنه تقليد أجنبي بَحْت، وقد حُرِّم علينا تقليد الأجانب كما سنبيِّن ذلك في موضع آخر من البحث إن شاء الله.

وبمناسبةِ الحديث عن البنطلون بالنسبة للمرأة، فإن هناك بنطلونات نسائية خاصة بهن شكلاً وموديلاً، ومن المؤكد أنها لا تليقُ بالرجال، ولم يُشاهَد من الرجال من يرتديها: كالبنطلونات الشفافة الرقيقة (بيجاما نسائية) وما إلى ذلك من الملابس التي تتعلَّقُ بالنساءِ وحدهن، فهذه يجوزُ للمرأة ارتداءَها للزوج فقط، أما أمام محارمها فيحرُمُ عليها ذلك، لأنها تَصِفُ العورة وتحددها. . ومن المعلوم أنه يُحرم للمرأة كشف عورتها (ويُقصد بها العورة ما بين السرة والركبة) أمام محارمها باستثناء زوجها، وأمام النساء، وأمام الأجانب عنها بصفة عامة، أضف إلى ذلك أن بَدَنَها كلَّه عورة أمام الأجانب.

كما يجوز للمرأة لُبسُ البنطلون كلباس داخلي بغرض الحصول على الدفء، وما إلى ذلك، وترتدي فوقَه ثوباً آخر لمنع تحديد عورتها التي من السرَّةِ إلى الركبة.

= من يلعب الرياضة، وهو يبدي العورة التي من الأحوط سترها، بالإضافة إلى تحديد العورة التي من السرة إلى الركبة.

ومن المعلوم أن الدِّين الإسلامي الحنيف فرض على المرأة المسلمة ارتداءَ الجِلباب، وهو ثوب يستر جميع البدن بدون استثناء.. كما يُشترط فيه أن لا يكون زينةً في نفسه: كأن يكون من قماش ذي نقوش وألوان لافتة للنَّظَر، أو أن الخامة التي صُنع منها تكون زينة في حد ذاتها كالقطيفة مثلاً.. كما يُشترط فيه أن لا يكون رقيقاً يَشِفُّ ما تحته، وأن لا يكون محدِّداً للعورة ولا معظِّماً للرأس، مع مخالفته في هيئته للباس الرجال والكفار، وأن لا يكون لباس شهرة..

كما يَحرُمُ للمرأة أن تتطيَّب بالعطر والبخور للرجال الأجانب عنها، كما لا يجوز أن تخلَع جلبابَها إلا عند زوجها، أو محارمها، أو في مكان تأمَن فيه من نظر الرجال الأجانب إليها.

ولما تعرَّضنا سابقاً لذكر المحارم، فإنني أورد تعريفاً موجزاً لهم:

يقول الإمام النووي: «واعلَمْ أن حقيقة المَحْرَم من النساء التي يجوز النظر إليها، والخلوة بها، والمسافَرة بها: هي كل من حُرِّمَ نكاحها على التأبيد (أي: مدى الحياة وإلى الأبد) بسبب مباح لحرمتها»[1].

والمقصود بذلك أن محرم المرأة من الرجال: هو أبوها وجَدُّها وعمُّها وخالها وإخوانها وأولادها وأولاد أبنائها وأولاد بناتها وأولاد إخوانها وأولاد أخواتها وأولاد زوجها (إن كان متزوجاً بأخرى)، وكذلك أولادُ أبناءِ وبنات أولاد زوجها، وكذلك والد زوجها وجَدُّه، أما عَمُّ زوجها وخاله فهما ليسا بمحرمٍ لها، ويُعتبرانِ أجنبيان عنها، وبالمثل زوج الأخت أو زوج العَمَّة أو الخالة يُعتبران أجنبيان عن المرأة، لأن حرمتها المؤقَّتة هي لمنع الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها أو أختها تحت رجل واحد، وليست تلك الحرمة المؤقَّتة ـ كما تظن الكثيرات ـ مثل الحرمة المؤبَّدة، فالله تعالى يقول:

(١) «صحيح مسلم» بشرح النووي، ج ٩ ص ١٠٥.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٢٣].

فتأمَّلوا كيف أن الله تعالى بدأ الآية الكريمة بقوله «حُرِّمت»، ثم سَرَد أصنافاً من النساء المحرَّمات حرمة مؤبَّدة، ولكن عند الوصول إلى الأختين لم يقل الله تعالى: وأخواتُ زوجاتكم، بل قال بلفظ قرآني دقيق: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ أي: أن الحرمة حرمة جمع بين الأخوات، وليست حرمة جواز الخلوة والمصافحة.. إلخ، مما لا يجوز فعله إلا مع المحرمات حرمة مؤبَّدة.

وتَجدُر الإشارة إلى أن المحرمات من الرضاعة لهن نفس وضع المحرمات من النسب سالفِ الذكر، لقوله ﷺ: «يَحرُم من الرَّضاعةِ ما يَحرُمُ من النَّسَبِ» رواه مسلم.

أما المحرمات حرمة مؤبَّدة بسبب المصاهرة فهن أم الزوجة وجَدَّاتها، وابنة الزوجة من زوج سابق، وزوجة الإبن، وزوجات أبناء الإبن، وزوجات أبناء البنت، وزوجة الأب، وزوجات الأجداد، وقد بيَّنا الأمر في كتابنا «المتبرجات»، وذلك بشيء من التفصيل فيرجَع إليه.

وكـان فرضُ الحجـاب على المسلمات تكـريماً لهن، وحفـاظاً على مكانتهن السامية من أن تُمَس بسوءٍ، أو تتعرض للأذى من الفُسَّـاق وأشباه الرجال. . وكان الحجاب من أقوى التدابير الوقائية لصيانة العِرض والشرف وتحصين المجتمع الإسلامي من الأضرار الخطيرة الناجمة عن تبرج النساء.

ولكن الصهاينة والرأسماليين وعملاءَهم المنتشرين في ديار المسلمين، ساءهم أن تتمسَّكَ بعضُ المسلمات الصالحات بالحجاب الصحيح، وخَشُوا أن تضيـع جهودُهم التي بـذلوهـا لإفساد المـرأة المسلمة، وإفسـاد العـالم الإسلامي إثْر ذلك أدراجَ الرياح. .

فعمدوا إلى إخراج موضة الثوب الطويل «الماكسي»، وهو ثوب فاتن شديد الإغراء، ثم واصلتِ الصحفُ والمجلاَّت عرضَها لملابس ليس فيها أدنى صفة من الحجاب، إلا أنها طويلةٌ وذات أكمام فحسب، مع أن تلك الملابس يمكن أن تكون ملابس للسهرة تَخُصُّ المتبـرجات البعيـدات عن شرع الله بُعدَ المشرقين. . وذلك لأنها ملابس ذات زينـة مُحَلاَّة بـالقَصّات الفاتنة، والأشرطة الملوَّنة، والحلي الملفتة للنظر. . وكُتِب تحتَ هذه الأزياء «أزياء للمتحجِّبات»!.

كما قام مصوِّر نصراني يعمَلُ بصحيفة كبرى في إحدى الدول العربية، بعرض لقطات لأغطية رأس مزيَّنة بالريش والحلي، وكانت تبدو وكأنها قُبَّعة على رأس عروسٍ فاتنةٍ، وكَتَب تحتها «أغطية رأس للمتحجِّبات»!.

أهذا هو الحجاب؟ موضة وأزياء وخطوط وزخارف وألوان؟!.

جعلوه موضة حتى يمسَخُوه وقتما أرادوا، كما يمسخون موضاتهم التي تذهب وتجيء تلاعباً بعقول الشباب والشابات، وجعلوه زيّاً من الأزياء، لكي يَنـزِعوا هيئتـه الحقيقية وهيبتـه من نفوس المسلمين، ويَصـرِفوا نسـاءنا عن الحجاب الصحيح إلى التبرج القبيح المقنَّع!.

وخرجوا علينا بموضات متنوعة لأغطية الرأس: منها العصائب المزركشة

الملوَّنة الفاتنة، ومنها ما هو على شكل العِمامة (بونيه)، ومنها ما هو على شكلٍ طاقية يُوضَع فوقَها قماش رقيق جَذّاب.. إلى آخر ذلك مما يُغرِقُ الأسواقَ. وهذه الأغطية محرمة شرعاً، لكون بعضها يَحمِل المشابهة مع الرجال، وهو ما كان على شكل عِمامة، ولكون بعضها الآخر زينة في نفسه فلا يصحُّ اعتباره حجاباً، لأن الحجاب يعني عدم إبداء الزينة للرجال الأجانب!.

وتجدُ إحداهن لا تُطِيق الخروج بدون أن تحمل في حقيبتها مرآة وموادَّ للتجميل ومشطاً، وذلك بُغْيَةَ إصلاح ما قد يتلَفُ من زينتها، ولا تستطيع المتبرجات الخروج بدون عدة الشغل هذه لترميم ما قد يَفْسُدُ من زينتهن.

وليتنا نجد من هؤلاء النسوة اهتماماً بالتزيُّن للزوج كما يَفعَلْنَ لرجال الشارع، إذ أن المتبرجة للشارع تبدو في البيت ـ وهذا عند أغلبية المتبرجات ـ وقد غَطَّت وجهها بالأقنعة التجميلية التي تعالج الجلد، والتي تُصنع من الخامات المنزلية (كالأقنعة المصنوعة من البيض أو الزبادي أو الخميرة أو بعض الأدهان الثقيلة).. فيبدو شكلُها مضحكاً تارةً، ومخيفاً تارة أخرى.. ناهيك عن الروائح المزعجة التي تنبَعِثُ من هذه الأقنعة، خاصةً ما كان منها من البيض أو الزبادي أوالخميرة.

وهناك أقنعة أخرى لتقوية البشرة تضطرُّ المرأة إلى الاستلقاء لعملها: كالأقنعة المصنوعة من شرائح الخيار والطماطم، فيراها الزوج وكأنه ينظر إلى محل لبيع الخُضار!.

وهناك الزيوت التي يُدهَنُ بها الشعر لتقويته، وذلك بكمية غزيرة، وهذه الطريقة تُسمَّى «حَمَّام الزيت».. ومن أهم الزيوت المستخدمة لذلك زيت الخروع، وزيت جوز الهند، وزيت الخَسّ، وزيت الزيتون.. وقد تُخلَطُ هذه الأصنافُ مع بعضها ويُضاف إليها البيض.. ولا تسألوا عن الروائح المزعجة الصادرة عنها، خاصةً رائحة زيت الخروع.

فتُصبحُ المتبرجة في بيتها مصدراً لإزعاج المَعِدَة وإثارة القَيْء، بينما تضج رائحتها في الشارع بالعطر المثير. . وليت من يراها هنا يراها هناك!.

أضِف إلى ذلك أنها تبدو معظمَ الوقت داخل بيتها وقد لَفَّت شعرها باللّفَّافات المسمَّاة «لرو». . أو تلفُّه بالدبابيس الخاصة بالشعر «البَنْسْ» حتى تعطيه الشكل الملائم عند خروجها. . وهذا هو نصيب زوجها المسكين من زينتها. . إلا إذا رافقها عند الخروج ليَحْظَى برؤية زينتها بصورة «إشتراكية» بينه وبين بقية الرجال!.

هذا فضلاً عن أنها تبدو في البيت مرهقة من أثر انتعالها للحذاء ذو الكعب المرتفع عند الخروج، فتراها متأَفِّفَةً ثائرة. . وهي التي كانت توزِّعُ الابتساماتِ خارجَ البيت بلا حساب! ثم تراها وقد غسلت وجهها من المساحيق ـ لتتيح لجلدها فرصة التنفُّس ـ تبدو بوجه يُشبِه وجوه الماضي. . لأن من اعتادَتْ وَضْع المساحيق بصفة مستمرة، تلك التي تجعل الجلد يبدو أبيضَ مُشرَباً بالحُمْرة. . وإذا رآها أحد بدون تلك المساحيق فإنه يرى وجهاً ذابلاً، شاحباً، مرهَقاً.

والغريب في الأمر أن غالبية المتبرجات يَقْنَعْنَ بإعجابِ رجال الشارع بهن، ولا يهمُّهن كثيراً إعجاب الزوج، لأن المتبرجة تظُنُّ أنه يحبها حباً ليس بعده تفريط. . وأنه يراها فاتنةً مغريةً حتى ولو كان وجهها مقنعاً بالخميرة والبيض، وشعرها ينضج بزيت الخروع.

وهذا المفهوم منتشر بين النساء. . حتى أضحى من الغريب أن يطالِبَ الزوجُ زوجتَه بالاهتمام به قليلاً. . فيُحكى أن رجلاً خاطَب زوجته بذلك، فردَّت عليه بدهشة شديدة: أأَنت غريب أيها الرجل؟!.

وإليكم هذه القصةَ الواقعية التي تُبرِزُ ذلك الأمر بصورة مثيرة وللأسف:

خُطِبت فتاة تربِطُني بها صلةُ القرابة لشاب، وبعد أن ثمَّ الاتفاق على الزواج وتم العَقْدُ، أرادت تلك الفتاة أن تصحَبَني معها لشراء بعض

الملبوسات اللازمة لزفافها.. فقصدنا محلاً كبيراً مشهوراً في مدينةٍ مجاورة لمدينتنا، وكان يُديرُ ذلك المحلَّ امرأة، بالإضافة إلى أن جميع العاملات عندها كُنَّ نساءً.. ولكنهن جميعاً متبرجات.. ولما عَلِمَتْ صاحبةُ المحل أننا سنشتري ثياباً لعروس رافقتنا بنفسها أثناءَ تَجْوالِنا في المعرض حتى تُغرِيَنا بشراء أكبر قدر ممكن من الملبوسات، فأعجبني ثوبٌ جميل، فقلت للعروس: هذا الثوب جميل، ويَصلُحُ أن ترتديه لزوجك في البيت، فما رأيك؟.

فانتفضت صاحبة المحل كالملسوعة قائلةً لي: حرام عليك!! كيف تلبس هذا الثوب الجميل المرتفع الثمن لزوجها في البيت؟! هذه إهانة لمعروضاتي.. إن هذا الثوب لا يصلُح إلا أن ترتادَ به أرقى الأماكن، ويراه كلُّ مَن يقدِّر الجمال من الرجال.. ولو ظَهرت به في أيّ مكان لوجدتِ الجميعَ يتهافتون عليها، ويَخطِبون ودَّها.

فقمتُ على الفَور بالتوضيح لها بأن أحقَّ الرجال بالتمتع بالمرأة، وبمشاهدة زينتها الباطنة والظاهرة هو زوجُها الذي دفع هذه الأموال التي تنفقها في شراء الحاجيات، وهو القائم بأمرها، والمهتم بسعادتها، والمحافظ عليها من كل سوءٍ.

ثم قلتُ لها: هَبِي أن هذه الفتاةَ ارتدت هذا الثوبَ للشارع، وفُتِن بها الرجال ـ كما تقولين ـ، فما الذي ستَجْنِيه في النهاية؟ بل وما الفائدةُ التي ستعود عليها شخصياً من ذلك؟ إنها ستعود إلى بيتها بعد أن جعلت من نفسها امرأةً لكل الرجال.. ولم تَجْنِ إلا المعصيةَ والذنوبَ.. فلا هي استفادت دنيا ولا آخرة.

فأطرَقَتْ صاحبةُ المحل بُرْهةً، ثم رفعت رأسها قائلةً: صدقتِ.. تعالِ لنجلس، وحدثيني أكثر.

فأخذتُ أحدِّثُها عن مكاسب المرأة في ظل الإسلام.. وكانت تُبدي

إعجابَها بما أقول. . ثم فوجئتُ بها تقاطِعُني لتسألَني عن الثورة الإيرانية ـ والتي كانت في بدايتها آنذاك ـ ظناً منها أن كلَّ من تمسَّك بالإسلام ودافع عن تعاليمه يَنتَمي إلى تلك الثورة! وهذه النظرة وليدةُ الجهل بتعاليم الإسلام وقِيمه. . إذ أن تعاليم الإسلام موجودة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان. . كما أنها مستمرة إلى أن يَرِث الله الأرض ومن عليها. . كما أنها ليست بحاجة إلى إثباتٍ بثورة أو بغيرها، وإنما هي بحاجة إلى أناس يُطَبِّقونها ويعمَلُون بتعاليمها.

وبعد مُضي عدة سنوات علمت بأن ذلك المحل أُقفِلَ أبوابه بعد اتهام صاحبته وعاملاتها بتهم «لا أخلاقية». . فلم أدهش للأمر، لأن هذه هي النهاية الحتمية لمن تعتَقِدُ أن الزوج آخر من يستحق أن يتمتع بزينة زوجته وجمالها.

* * *

الدليل التاسع: الموضة تغيير لخلق الله تعالى.

لا تقتصرُ الموضة على التدخل في ثياب المرأة وحليها، وثياب الرجل كذلك، بل إنها تتدخَّلُ أيضاً في الخِلْقة الطبيعية التي خَلَقَ اللَّهُ الناس عليها، ومن المعلوم أن هذا التغيير لخلق الله يُعتبر من كبائر الذنوب الموجبة لِلَّعن.

● فعلى سبيل المثال: سادَتْ في أوائل هذا القرآن موضة الحواجب الثقيلة، حيث كانت المرأة تستخدم قلماً خاصّاً يعطي لوناً أسود، فتخطط به حول حاجبيها لتبدو أكبر وأكثف مما هي عليه. . وبعد ذلك بزمنٍ سادت موضة التنمُّص: وهي إزالة الشعيرات النافرة عن خَطِّ الحاجب، فانتهت بظهورها موضة الحواجب الكثيفة. . ثم فوجئنا بعد ذلك بظهور موضة الحواجب الرفيعة المقوسة، التي تجعَلُ المرأة تبدو كالمندهشة، فضلاً عن أنها تَبْدُو أكبرَ من سنِّها الحقيقي. . وكان ذلك الحاجب المقوَّس عبارة عن خط واحد من الشُّعَيرات، ولجأت بعضُهن إلى رفع الشعيرات نهائياً،

والتخطيط مكانهن بالقلم الأسود، وينتهي الأمر فتبدو الواحدة منهن وكأنها «عِفْريت النهار»!.

لقد رأيت ذات مرة فتاتين تقلِّبان في مجلة ألمانية للأزياء تُسمَّى «البُردة».. فرأيت إحداهن قد توقَّفَتْ عن التقليب وهي تقول لزميلتها: ألم يَلفِتْ نظرَكِ شكلُ حواجب عارضات الأزياء.. إنها متروكة كما هي.. تأمَّلي معي في الصورة.. لا بُدَّ أن الموضة الآن هي الحواجب الطبيعية.

فأخذتِ الأخرى تحدِّق في الصورة بشدةٍ ثم قالت: هذا صحيح.. ما أجمَلَها!.

فأخذتُ بدَوْري أضحك من تفاهتهن.

أفلا تعلمُ النساء أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل أعضاءَ جسدِه متناسقة مع بعضها بعضاً، بحيث يؤدي التغيير في الخلقة ـ ولو كان في شكل الحواجب ـ إلى الإخلال بذلك التناسُق البديع، ومسخ الشخصية عن طبيعتها الأصلية.. ولولا ما تُضِيفُه المغيِّرات لشكل حواجبهنَّ من مساحيق تجميل، وأدهان مختلفة (مما يسمى: ظل، ورميل، وآي لاينر) لما كانت أشكالهن مقبولة البتَّة.

● وكذلك الحال بالنسبة للوَشْمِ: وهو غَرْز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يَسيلَ الدم، ويُذَرُّ عليه كحل أو نحوه حتى يخضَرَّ.

وللوشم أسماء مختلفة تختلفُ باختلاف البلاد.. ويقوم الواشم أو الواشمة برسم أشكالٍ مختلفة على الجلد في مناطقَ مختلفةٍ من الجسم، ثم تُجْرَى له عملية غَرْزِ الإبرة وذرِّ المسحوق، فيُرى الإنسان بعد ذلك وقد ثَبَتت على جسده تلك الأشكالُ فلا تزول.. وكأن الإنسان خُلِق بتلك النقوش، وهذا تغيير للخلقة الأصلية عما هي عليه، ولهذا فإنه يُعتَبر مُحرَّماً.

وقد ساد الوشمُ حديثاً كموضة جديدة بعد أن ظنَّنا أنه لم يَعُد هناك من يهتَمُّ به، لأنه كان سائداً بين جهلة الناس.

فقد نَشَرَتْ إحدى الصحفِ صوَراً لنساء ورجال أوروبيين عرايا تماماً، وقد غطّى الوشم جميع أعضاء أجسادهم ـ بلا استثناء ـ على هيئة الزهور وأوراق الشجر وغير ذلك من الأشكال، وذكرت الصحيفةُ أن الوشمُ أصبح موضة العام (وذلك منذ سنين تقريباً).. وبالطبع لن تَلْبثَ هذه الموضةُ أن تَصِلَنا وتنتشرَ عندنا عما قريب، إذ أن بلادنا أصبحت الآن سوقاً رائجة لكل ما هو غث وأجنبي، ومخالفٌ للدين والذَّوْقِ السليمِ!.

■ أما بالنسبة لتغيير خلق الله بطريقة وَصْلِ الشعر بشعر آخر، فقد كانت هذه موضةً جاهليةً قديمة جداً، اتخذتها نساءُ اليهود قبل مجيء الإسلام. ولما كان التبرج بها يُعتبر تغييراً لخلق الله، فإن ذلك أدّى إلى هلاكهم لبُعْدِهم عن التعاليم الصحيحة التي أنزلها الله تعالى.. وتحريفِهم للدين حسب أهوائهم، وعدم منع نسائهم من اتخاذها.

فعن حُميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حَجَّ على المنبر ـ وتناول قُصَّةً من شعر كانت في يد حَرَسِي ـ فقال: يا أهل المدينة، أين علماؤُكم؟! سمعتُ النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: «إنما هَلَكت بَنو إسرائيل حينَ اتَّخذ هذِه نِساؤُهم» متفق عليه[1].

ثم ساد في القرون الوُسْطى عادة لبس الباروكات (وهي الشعر المستعار) لدى رجال القضاء والمحاماة والمفكرين بصفة عامة، وذلك في أوروبا.. وانقضت تلك الموضةُ السيئة حتى عادت من جديد في عصرِنا الحاضر بصورة أشد انتشاراً بين الرجال والنساء، حتى إن الأمر تجاوَزَ الحدَّ إلى انتشار الرموش والأظافر الصناعية، وتَظُنُّ المرأة التي تفعَلُ ذلك أنها ازدادت جمالاً.. بينما هي في الحقيقة قامت بتشويه جمالها الطبيعي، وعَبَثَتْ بخِلْقَتِها السوية.. وهذا من تزيين إبليس لها بتغيير خَلْق الله بشتى الوسائل،

---

(١) «رياض الصالحين»: باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر، ص ٥٥١.

حيث يعلِّقُ أوامرَه للنساء والرجال بتمنيتهم بالجمال من حيثُ إنه يُبعِدُهم عنه، ويُضلهم عن الحق بتلك الأفعال القبيحة، وذلك انتقاماً من ذرية آدم عليه السلام، الذي طُرِد إبليسُ الخبيث من الجنة بسببه؛ لتكبُّره وعصيانه لأمر الله بالسجود لآدم سجود تكريم ـ لا سجود عبادة ـ بالانحناء، فتوعَّد الخبيثُ ذريةَ آدم.. وصوَّر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

ويمضي إبليسُ في خطته الإنتقامية، هادفاً إلى صرف البشر عن طاعة الله عز وجل، لِيَحْرِمَهم الجنة كما حُرم هو منها، وقد وَضَّح الله تعالى لنا بُنود تلك الخطة الإبليسية بقوله جلَّ وعزَّ من قائل:

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾. لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وقال:

﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾.

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾.

﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾.

﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾

﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ

﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [سورة النساء: ١١٧ ـ ١٢١].

أما عن الأحاديث الواردة عن حرمة تغيير خلق الله تعالى فهي كثيرة.. منها:

١ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَعَن الله الواشماتِ والمستوشماتِ والمتنمِّصاتِ(١)، والمتفلِّجاتِ للحُسْن، المغيِّراتِ خلقَ اللّهِ. متفق عليه(٢).

٢ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لَعَن الواصلةَ والمستوصلةَ، والواشمةَ والمستوشمةَ. متفق عليه(٣).

كما لا يجوزُ الوصلُ (أي: وصل الشعر بشعر آخر أو بوستيجة) لا للزوج، ولا بسبب المرض.

٣ ـ فعن أسماءَ رضي الله عنها: أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إن ابنتي أصابَتْها الحَصْبة فتمزَّق شعرُها، وإني زوَّجتُها، أفأَصِلُ فيه؟ فقال: «لَعَنَ اللّهُ الواصلةَ والموصُولَةَ» متفق عليه(٤).

٤ ـ وعن آمنةَ بنتِ عبدالله: أنها شَهِدَت عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يَلعَنُ القاشرةَ والمقشُورَةَ، والواشمةَ والموتَشِمةَ، والواصلةَ والموصلةَ. أخرجه أحمد، ومعناه في «الصحيحين».

ومعنى القاشرة: هي التي تقشر وجهها ليَصْفُوَ لونُها.

ولتوضيح معنى القَشْر أذكر أنه حدَّثَتْني فتاة: أن هناك امرأة لديها دواء

---

(١) المتنمصات: هن اللاتي ينتفن من شعر الوجه أو الحاجب بأي وسيلة كانت، واستثنى العلماء ما نبت من الشعر في موضع اللحية والشارب وذلك للمرأة المتزوجة وبإذن زوجها.

(٢)، (٣) «رياض الصالحين» للنووي: باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر.

(٤) المصدر السابق.

سائل تمسَحُ به وجه من تريد إزالة الكَلَف أو النَّمش فتنسلخ الطبقة الخارجية من الجلد، ثم تحتَجِبُ المرأةُ مدة معينة يمكن أن تمتدَّ إلى أسابيع في غرفةٍ مظلمةٍ، إلى أن تتكوَّنَ طبقةٌ جديدة من الجلد خاليةٌ من النمش والكلف، وغير ذلك من عيوب البشرة.. فيتَّضِحُ من ذلك أن القشر يُشبِه سَلْخَ الجلد ليُستبدل بغيره، وفي ذلك تعذيب للإنسان، لأن الجلد المكشوف يسبِّبُ الإحساس بالألم، كما فيه تكلُّف وتغيير لخلق الله.

أما عن «التفلُّج»: فهو بَرْدُ الأسنان ليتَبَاعَدَ بعضُها عن بعض قليلاً لتبدُوَ أجملَ، ويُفهم من الأحاديث السابقة حرمةُ تلك الأعمال التي تسبب تغيير الخلقة عَمَّا هي عليه، بالإضافة إلى أن المساعدة عليها تعتبر حراماً.. فيحرم وصلُ الشعر بباروكةٍ وغيرها، وتحرم المساعدةُ على لبسها أو صناعتها أو إعدادها لمن يلبسها.. ويَحرُم نَتْفُ شعرِ الحواجب والوجه، ما عدا موضع الشارب واللحية، وتحرم المساعدة على عملية النتف التي أصبحت الكثيرات يُكلِّفْنَ الكوافيرَ بعملها لهن!.

ويَحرُم كذلك القَشر والوشم والتفلُّج، كما تحرم المساعدة في تلك العملية من شخص آخر.. والحرمةُ تَعُمُّ الرجالَ والنساءَ المرتكبين لهذه الأعمال.. وكلمةُ اللعن في الأحاديث تشير إلى أن تلك الأفعال من كبائر الذنوب[١].

* * *

الدليل العاشر: تؤدي الموضة إلى الاختلاط المرفوض شرعاً.

عندما يقومُ مصمِّمُ الأزياء بتصميم موضة معينة، فإنه يحتاج إلى عملِ تجاربَ[٢] لتنفيذ ذلك التصميم على أجساد العارضات، مما يستلزم الخَلْوَةَ

---

(١) للإستزادة من هذا الموضوع انظر الفصل الخامس من «المتبرجات» للمؤلفة.

(٢) تعرف هذه التجارب باسم «بروفات».. وما أدراك ما يحدث من أمور مشينة أثناء ذلك، حيث التبرج والاختلاط بلا وازع، وما يستتبع ذلك من أمور محرمة؛ أدنى ما فيها هو اللمس!.

بهن منفرداتٍ أو مجتمعاتٍ، بل وكثيراً ما تَعرِضُ الصحف صورة المصمم لموضة معينة وحوله العارضات محيطات به ومتكدسات من حوله وكأنه زوج لهن جميعاً. .

كما يستلزم لعرض الموضة استنفارَ أكبرِ عددٍ ممكن من العارضات. . ومن تلك الموضات ما هي قمصان نوم شفافة، أو لباس للبحر (مايوه). . ولا يَظُنَّنَّ أحدٌ أن تلك العارضات من الأوروبيات، بل إن كثيراً منهن عربيات محسوبات على الإسلام (تعداداً). . تُعرض أجسادُهن المتبرجة في صور مغرية. . ويكُنَّ من قبلُ قد خَلَوْن بالمصمم أو المنفذ للأزياء. . ومن الملاحَظ أن الغالبية العُظمى من المصممين هم من الرجال!.

كما تقامُ حفلاتٌ لعروض الأزياء فيختلط الرجال بالنساء المتبرجات عموماً، ويَجلِسُون جميعاً لمشاهدة العارضات يَخْطُرْنُ بالثياب المتنوعة بخطوات وحركات مدروسة ومغرية، وكأنَّ هؤلاء القوم لا همَّ لهم إلا المظاهر الماجنة، والأفعال المحرَّمة. . ولو رأى هؤلاء امرأةً ترتدي الحجاب فإنهم يقومون ولا يقعدون، ويَرغُون ويُزبِدُون، ويهب الأدباءُ والمفكًرون لشجب تلك الظاهرة، واستنكار ذلك العمل القويم. . ويقولُ أحسنُهم طريقة: إنه لا يَجِبُ على المسلم والمسلمة أن يهتمَّا بالمظاهر، فلا داعي لارتداءِ الحجاب، ولنهتمَّ بأمور أكثر إيجابية من تلك القشور!.

فكيف بالله اعتُبرت قشورُ الموضة من الأمور الهامة الإيجابية. . بينما جُعل الحجابُ من الأمور التافهة السلبية؟!.

إلا أنها الأحقادُ المتراكمة. . والنوايا الخبيثة الماكرة. . ولا شيءَ غير ذلك.

أما بالنسبة لما استلزمته الموضةُ من اختلاطٍ آنفِ الذكر، فإن موقف الإسلام منه يتبيَّن مما يأتي:

عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إيَّاكم

والدُّخولَ على النساءِ». فقال رجل من الأنصار: أفرأيتَ الحَمُو؟ قال: «الحَمُو الموتُ» متفق عليه.

والحَمُو: قريبُ الزوج كعمه وخاله وأخيه وابن أخيه.. ونحوهم مما يَحِلُّ للمرأة التزوج بأحدهم لو لم تكن متزوجة.. فإن دخوله عليها بغياب زوجها يُفضِي إلى موت الدين، أو إلى موتها برَجْمِها إنْ زَنَتْ معه.. وفي ذلك أبلغُ التحذير، فكيف تستبيحُ هؤلاء النسوة لأنفسهن ذلك الفعل المحذور؟!.

فضلاً عن أن إنشاءَ دورٍ للأزياء هو شغل للناس في الأمور التافهة، وجمعاً لهم على الحرام، واستنزافاً لأموال الدولة الدائمة وميزانيتها.. وتنفيذاً لمخطَّط إجرامي عدواني، وبعدٍ عن الشرع والدين فاق بُعدَ أصحابِ الجاهليات السابقة.. وامتهاناً لكرامة المرأة واعتبارها رقيقاً معروضاً للمتعة واللهو والنظر فحسب.

أضِفْ إلى ذلك إصدارَ المجلات التي تقوم على هذه الصناعة، وأنه بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً عن الأثر الاقتصادي السيىء لذلك، فإن نَشْرَ هذه الصور للعارضات المتبرجات الكاسيات العاريات من المحرَّمات.. لنشرها الفاحشة في المجتمع من جهة، ولأن تصويرَ ما فيه روحٌ حرام من جهة أخرى.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ مصوِّرٍ في النار، يُجعَلُ له بكلِّ صورةٍ صوَّرَها نَفْسٌ، فيُعَذِّبُه في جهنَّمَ». قال ابن عباس: فإن كنت لا بُدَّ فاعلاً، فاصنَعِ الشجرَ وما لا روح فيه[1]. متفق عليه.

---

(١) يُقصد بما لا روح فيه مثل الأزهار والجمادات والبحار والأنهار والأبنية، فإن ذلك مما يجوز تصويره، أما الإنسان والحيوان فمما يحرم تصويره، لأن فيهما روحاً في الأصل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أشدَّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ المصوِّرونَ» متفق عليه.

وقد يحتَجُّ البعضُ أن المقصود بالصورة هي التماثيل المجسَّمة، ولكن الحديث التالي يُبطل حُجَّتَهم.

عن عائشة رضي الله عنها قال: قَدِم رسولُ الله ﷺ من سفرٍ وقد سَتَرْتُ سَهْوةً لي بقِرَام فيه تماثيلُ، فلما رآه رسول الله ﷺ تَلوَّن وجهُه، وقال: «يا عائشةُ، أشدُّ الناسِ عذاباً عندَ الله يومَ القيامةِ الذين يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللَّهِ». قالت: فَقَطَّعْناه، فجعلنا منه وِسادةً أو وسادتين. متفق عليه.

ومعنى القِرام: السِّتْر أو الستائر. وتماثيل: رسوم كائنات حية من إنسان وحيوان، وقد كانوا يُطلِقُون اسم «تماثيل» على الصور، والدليل على ذلك أن هذه التماثيل هي تماثيلُ كانت في قرام: أي قماش ستائر، وأنها قطعت ذلك القماش وصنَعت منه وسائد، مما يتبيَّنُ أنه يجوزُ أن تكون الصور مما يوطَأُ كالبساط الذي يدوسُه الناس، والوسائد التي يتكئون عليها، لأن ذلك يتناقض مع تعظيمها وتعليقها.

والخلاصة من كل ذلك أن عرض صور الإنسان أو الحيوان في المجلات والكتب وغيرها (إلا الكتب التعليمية من أجل ضرورة العلم ككتب العلوم) فإن ذلك يُعتبر حراماً، فما بالُنا وتلك الصور لكاسياتٍ عاريات متموضات.

وقد يحتَجُّ البعض بأن العذاب على من صَوَّرَ فقط، ولكن يُبطِل هذه الحجة أن رسول الله ﷺ في الحديث الأخير أَنْذَرَ عائشة زوجته رضي الله عنها وكأنها هي التي صوَّرت (لأن الرضا بالمعصية معصيةٌ). وَلْنَقْتَدِ بفعل السيدة عائشة أم المؤمنين وذلك عندما نَزَعَتْ تلك الستائر حالَما علمت حرمةَ ما عليها من صور.

أضف إلى ذلك ما ورد في الحديث التالي:

عن أبي الهيَّـاج حيان بن حصين قـال: قال لي علي بن أبي طـالب رضي الله عنه: ألا أبعَثُك على ما بَعَثَني عليه رسول الله ﷺ؟ أنْ لا تَدَعَ صورة إلا طَمَسْتَها، ولا قبراً مُشرِفاً إلا سوَّيتَه. رواه مسلم.

ويُقصد بكلمة طمستها: محوتَها أو أزلتها فلم تَعُدْ تُرى.. أو مزَّقتها وحطَّمتها.

وهذا أمر مأمور به كل مسلم ومسلمة كذلك.

فالحذر من اقتناء هذه المجلات المغرضة، التي لو كان الهدفُ منها نشرَ الأزياء فحسب لنُشِرت صورة الأزياء دون العارضات لها، كـأن يُصوَّر الثوب أو يُرسم لوحده فقط.. ولكن هؤلاء يَرمُون إلى هدم الأخلاق، وإثارة الفتن، ونشر المعاصي فلا تعينوهم على الإثم، وقاطِعوا مجلاتِهم وما إليها من كتب جنسية، وأشعارٍ ماجنة.

يقول فضيلة الشيخ عبدالله ناصح علوان:

«إذا كانت أكثرُ الصحف والمجلات في العالم تُسيطِرُ عليها قيـاداتٌ يهودية واستعمارية وصليبية وشيوعية.. فعلى المسلم المتبصِّرِ أن يكون دائماً على شك فيها، وحذرٍ منها.. وعليه أيضاً أن يَنظُرَ في كل ما يُكتَبُ فيها من مواضيع، وما تَبُثُّه من أفكارٍ بعين الناقد البصير، مخافةَ أن يتعثَّر في متاهاتها، ويقعَ في شِراكِها..

وينبغي أن يميِّزَ بين شيئين في شأن هذه الصحف والمجلاَّت: أن يميز بين الاقتناء وبين الاطلاع.

فبالنسبةِ لاقتناء أي مجلة أو صحيفة ـ سواء أكان ذلك عن طريق الشراء أو الاشتراك ـ ينبغي أن يَضَعَ المسلمُ بين عينيه المواصفات التالية:

١ ــ أن تكون معروفةً باتجاهها الإسلامي، أو صِبغتِها العلمية البحتة.

٢ ـ أن لا يُعرفَ عمَّن يُشرِفُ على إدارتها وتحريرها الزَّيغُ والانحرافُ والتحلُّلُ.

٣ ـ أن لا يُنشر فيها صورٌ تَمَسُّ الفضيلة والأخلاق[١].

٤ ـ أن لا يُعرف عنها أن لها أيَّ دسٍّ يستهدف نظام الإسلام.

٥ ـ أن لا يُعرف عنها أن لها ارتباطاً عقائدياً مع أي جهة استعمارية أو إلحادية.

فإذا وَجَدْتَ ـ أخي المسلم ـ مجلةً أو صحيفة هذه مواصفاتها، فلا بأس أن تقتنيها وتُدخلها بيتك، وتكون في متناول أولادك وأهلك.

أما إذا اختلَّ في المجلَّة أو الصحيفة وصفٌ من هذه المواصفات الآنفة الذكر، فإنه يحرُمُ عليك أن تقتنيها، لما لها من الأضرار البالغة على الدِّين والخُلُق.

وبالنسبة للاطلاع العابر والقراءة المؤقتة؛ فلا أرى في ذلك حرجاً أو إثماً إذا كان القارىء متمكناً من ثقافته الإسلامية، راسخاً في عقيدته الإيمانية، حتى يَعلَم ما يكتُبُه أعداءُ الإسلام عن الإسلام، وحتى يكشفَ للمسلمين حقيقة المخططات التي تُصمِّمُها دول أجنبية، وتنفذها شخصيات عميلة وخائنة، لهدم العقيدة الإسلامية، وتحويل الجيل الإسلامي إلى متاهات الإلحاد والإباحية.. ولكن على المسلم المطَّلِع أن يجنِّبَ هذه الصحيفة أو المجلة بيتَه، حتى لا تكون في متناول الأهل والأولاد مخافةَ التأثُّر بها، والوقوع في حبائلها، والله هو المستعان.

---

(١) قد يظن البعض أن الصور التي تمس الفضيلة والأخلاق هي الصور الجنسية فحسب، وذلك لاعتيادهم على رؤية المتبرجات في الشوارع والأماكن العامة، ولكن الحقيقة أن خروج النساء كاسيات عاريات هو في حد ذاته يمس الفضيلة والأخلاق، بل يدمرهما.. وتفعل المجلات التي تنشر صوراً للعارضات في ثيابهن التي تخالف الحجاب الإسلامي نفس الفعل في المجتمع فتعتبر حراماً.

والذي أخلُص إليه ـ بعدما تقدم ـ أن المجلة أو الصحيفة إذا كانت على مواصفاتٍ تُرضِي الله عز وجل، فلا بأس في اقتنائها والاستفادة منها، وإلا.. فإن من يَقتَنِيها يَقَعُ في الحرام والإثم، وهو مسؤول عما فعل»[1].

* ▪ *

الدليل الحادي عشر: الموضة تخالف سُنَن الفِطْرة.

إن الأزياء العارية التي تَخرُجُ بها علينا الموضة بين الحين والحين، مثل الميكروجيب والميني جيب، والأزياء التي تُبرِزُ صدرَ المرأة وذراعيها، وغير ذلك مما يُعتبر دعوةً للعُرْيِ والإباحية.. فيه مخالفة سافرة للفطرة الإنسانية الصحيحة السليمة.. ألم تقرَؤُوا القرآن فتتدبَّروا ما فيه؛ كيف أن آدمَ وحواءَ بعد أن أكلا من الشجرة التي نهاهُما الله عن الأكل منها، فأدَّى ذلك إلى ظهور عورَتَيْهِما، أخذا يَقْطَعَانِ من ورق الجنة، وهو ما وجداه أمامهما لستر عورتيهما.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾

[سورة الأعراف: ٢٢].

هذه هي الفطرة التي فُطر عليها الإنسان، والتي تميِّزُه عن الحيوان.. السَّتْر والتغطيةُ.. ولكن الموضة تأبى أن يظَلَّ الناس على فطرتهم السليمة، فزيَّنت لهم التبرج بالأزياء الفاضحة الكاسية العارية، صرفاً لهم عن السبيل المستقيمة، وانحرافاً بهم إلى دَرْكِ البهائم والحيوانات.

وقد تُرَبِّي المتموضات أظفارَهن، وهذا مخالف لسُنَن الفِطرة التي فطر الله الناس عليها.. كما أن طول الأظافر من صفات الوحوش الكاسرة، فضلاً عن تسبُّبها بالأضرار الصحية؛ وذلك لتجمُّع القاذورات والجراثيم

---

(١) من كتاب «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» للشيخ عبدالله علوان، ص ٣٧ - ٣٩.

تحتها، وحتى لو ظَنَّتِ المتموضةُ أنها نظَّفت أظافرها من الأقذار المرئية، فإن هناك الجراثيم التي لا تُرى بالعين المجردَّة، وإنما تحتَ المِجْهر.

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «عَشرٌ من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاءُ اللحية، والسواكُ، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسل البراجم، ونَتفُ الإبْطِ، وحَلْقُ العَانَةِ، وانتقاصُ الماءِ»[1]، قال مصعب: ونسيتُ العاشرةَ، إلا أن تكون المضمضمةَ. رواه الخمسة[2].

وقال أنس رضي الله عنه: وُقِّت لنا في قصِّ الشارب وتقليم الأظفار، ونَتْفِ الإبط، وحلق العانةِ، أن لا نَترُكَ أكثرَ من أربعينَ ليلةً. رواه الخمسة إلا البخاري[3].

فلتتأمَّلْ تلك التي تُطيلُ أظافرَها بصفة دائمة كيف أنه لا يجوز ترك الأظافر أكثر من أربعين ليلة.

ومن الجدير بالذكر أن المتموضات يستَعْمِلْنَ طِلاءً للأظافر تختلف ألوانه حسب الفصول المختلفة من كل عام على الكيفية التي تقررها الموضة.. وهو المسمَّى بالمناكير.. وهذا الطلاءُ يَحجُزُ مياهَ الطهارة من الوصول إلى الظُّفْر، لأنه يكوِّن طبقة سميكة لا تَختَرِقُها المياه، وبالتالي يُعتبَر الوضوء أو الغسل لمثل هؤلاء النسوة باطلاً، إلا أن يُزِلْنَ الطلاء جيداً وبصورة تامة عن أظفارهن، وذلك قبلَ الطهارة بالوضوء أو الغسل - هذا إذا كُنَّ من اللائي يُحافِظْنَ على الطهارة والصلاة -. إذ أن صحة الطهارة شرط أساسي لصحة العبادة: كالصلاة والطَّوافِ بالكعبة عند الحج والعمرة.

ولا يَفوتُني أن أذكِّر بأن هناك حيلة ممقوتة انتشرت بين النساء لتحليل

---

(١) معنى غسل البراجم - جمع بُرْجمة: وهي غضون الأصابع من ظاهرها وباطنها. والعانة: هي الشعر النابت حول الأعضاء التناسلية، فيجب حلقه أو إزالته، وانتقاص الماء: هو الإستنجاء بالماء.

(٢)، (٣) «التاج الجامع للأصول» ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧١.

ذلك الأمر المحرَّم، إذ أن الكثيرات يتوهَّمْنَ أنهن إذا وَضَعْنَ الطلاء «المناكير» على طهارة (كأن تكون التي وضعته متوضِّئةً أو مغتسلةً قبل وضعه مباشرة)، يتوهَّمن أنه تَصِحُّ به الطهارة من وضوء وغُسل مرةً ثانية بدون إزالته.. وهذا خطأ عَظيم، وتلاعب بالدِّين.. إذ أنه كلما أراد الإنسان تجديدَ الغُسلِ للحَدَثِ الأكبر، فإنه يتوجَّبُ عليه تعميمُ جميع جسده بالماء بلا استثناء، فإن لم يَفْعَلْ ذلك كان الغُسل باطلاً، وبالمثل بالنسبة للوضوء إن لم تُعمَّم جميع أعضاء الوضوء ـ بما في ذلك الأظافر ـ كان الوضوء باطلاً، ولا تصح العبادة بغسل أو وضوء باطل[1].

أما في حالة صبغ الأظافر بالحِناء، أو دهن الجلد بالكريمات والزيوت الخفيفة التي يمتصُّها الجلد، ولا تَحجُز مياه الوضوء أو الغسل من الوصول للعضو، فإن ذلك مباح، لأن الحِنَّاء مجرَّدُ لونٍ فقط (وكذلك الأمر بالنسبة لسائر الأصباغ) حيث إنها لا تكوِّن طبقةً سميكة تَحجُز المياه، كما هو الحال في طلاء الأظافر «المناكير»، والذي تُطلَقُ عليه تسميات أخرى حسب البلدان المختلفة.

وكما تحدَّثنا عن مخالفة الموضة لسُنن الفِطرة بالعُرْيِ وتربية الأظافر، فإن إزالة الرجل للحيته كذلك بحَلْقِها أو تشويهها (بحلق بعضها وترك بعضها الآخر) كما تفرِضُ الموضة، مخالف لسنن الفطرة كذلك، وقد سَبَقَ أن تحدَّثنا عن أمر اللحية عند الحديث عن أهداف الموضة في الفصل الثاني من هذا البحث، فيُرجع إليه.

ومن المعلوم كذلك أن الحَياءَ أمرٌ فِطْري في المرأة، حتى ضُرِب به المثل فقيل: أشدُّ حياءً من العَذراء في خِدْرها.. وكذلك غَيْرةُ الرجل على عِرضه.. ولكن الموضة بتبرُّجِها الخليع تَهدِمُ الحياءَ من أساسه، وتُذكي هذه

---

(١) يمكن لمن تريد وضع طلاء الأظافر المذكور أن تضعه في غير طُهْرها من حيض أو نفاس، ثم تزيله إزالة تامَّة عند الطُّهر، أو تضعه ثم تزيله عند تجديد طهارتها كل يوم.

الناحيةَ المجلاتُ الخاصة بالمرأة في عالمنا العربي بصفة خاصة، والأجنبي بصفة عامة..

وإنني لأذكُر أني قرأتُ في مجلةٍ نسائية عربية (وأنا في سن المراهَقة) عن ضرورة تغلُّبِ الأنثى على حيائها، لأن الحياء يُعتَبَرُ مرضاً نفسياً، وعيباً خُلُقياً، ودليلاً على ضعفِ الثقة بالنفس!.

فكنت ـ وأنا أقرأ هذا الكلام ـ أشعُرُ بالصراع النفسي بين حيائي وخجلي، وبين ما ذُكِر، ولكن بفَضلِ الله تعالى أدركتُ فيما بعدُ أن هذه خُططٌ ينفِّذها عملاءُ مأجورون في بلادنا العربية والإسلامية لأعداء الله، وترمي إلى هدم القيم والأخلاق..

وكذلك كانت تلك المجلةُ تهاجم خُلُقَ الغَيرة عند الرجل، وتعتبره رجعيةً وتخلُّفاً، ولا يَليقُ برجل عصري (جنتلمان).

وكلُّ هذه أمور ضدُّ الفطرةِ تُذكِيها وسائل الإعلام المنحرفة، حتى ينطلق الرجال والنساء في المجتمع انطلاقَ البهائم، ومن ثَمَّ تُدمَّرُ القِيَم والأخلاق، وتُقوَّضُ تعاليم الأديان.

وإنه يَطِيب لي أن أستشهد ببعض الأحاديث النبوية الكريمة في هذا الشأن.. فقد أورد الإمامُ النَّوَوِيُّ في كتابه «رياضِ الصالحين» تحت عنوان: باب الحياء وفضله والحثّ على التخلُّق به، ما يلي:

١ ـ «عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مَرَّ على رجلٍ من الأنصار وهو يَعِظُ أخاه في الحياءِ، فقال رسول الله ﷺ: «دَعْه، فإنَّ الحياءَ من الإيمانِ» متفق عليه.

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «الحياءُ لا يَأْتِي إلاَّ بِخيرٍ» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «الحياءُ خيرٌ كلُّه».

٣ ـ وقوله ﷺ: «الحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمانِ» متفق عليه.

[ومما يؤكِّد أن خُلُقَ الحياء لازم للمرأة والرجل].

٤ ـ عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، قال: كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ حياءً من العَذْراءِ في خِدْرها، فإذا رأى شيئاً يَكرَهُه عَرَفْناهُ في وَجْهِه». متفق عليه(١).

وأما عن خُلُق الغَيْرَةِ، فإن الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله وكبريائه يَغارُ عند انتهاك حُرُمات الشرع، فكيف بالله تُعتبَرُ الغيرةُ على العِرض، وحرصُ الرجل على صيانة أهله من الأذى، كيف يُعتَبَرُ ذلك رجعيةً وتخلفاً.. فهل التقدمية ـ يا تُرى ـ أن يترك الرجلُ أهله يُنْزَى عليهم كما تترك البهائم التي لا تعقِل؟!(٢).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ تعالى يَغار، وغَيرةُ اللّهِ أن يَأْتِيَ المرءُ ما حرَّمَ اللّهُ عليه» متفق عليه(٣).

وإنه لمن المؤسف أن نَرَى الموضة تدخَّلت في الأطفال كما تدخَّلَت في الكبار، فأخرجت لهم ملابسَ مختلفة التسمية، يعرِفُها من يتابعها، وينفِّذُها لهم آباؤهم، فتتكدَّسُ عندهم الثياب رزماً رزماً، لمجرد أنها موضة ظهرت حديثاً فحسب، وذلك للتفاخر والمباهاة على الغير عن طريق الأطفال، ومن ذلك اقتناءُ ملابسَ جديدةٍ للأطفال في كل مناسبة بلا حاجة.

ومن المثير للألم أن نَجِدَ على ملابس الأطفال صوراً مكبَّرة للممثلين والممثلات، أو صوراً لنساءٍ جميلاتٍ، تملأُ الصورةُ صَدْرَ الثوب الذي يرتديه الطفل.

---

(١)، (٣) «رياض الصالحين» للنووي، ص ٢٦٩ باختصار بالنسبة للحياء، وص ٥٩٥ بالنسبة لحديث الغيرة.

(٢) بل إن بعض هذه البهائم لتغار على أنثاها كما اكتشف بعض العلماء، فكيف نزل الإنسان إلى درك أحط من منزلة البهائم!.

كما انتشرت موضةُ لَصْقِ وتعليقِ صور الأطفال المكبـرة ذكوراً وإنـاثاً يُقَبِّلُ بعضُهم بعضاً، أو يحتَضِنُ بعضهم بعضاً، أو يُمسِكُ الطفلُ الذَّكر بيد الطفلة الأنثى، وينظُرُ إليها وكأنه يبثُّها غـرامَه.. ومـا إلى ذلك من الصـور المخزية، التي تشـوِّه عالَم الـطفولـة البريء.. وتصبَغُـه بصِبغة الانحـراف الجنسي، وقد سبق أن تعرَّضتُ لذكر الانحرافات الجنسية في عالم الكبار مع الصغـار[١]، وما أظنُّ إلا أن هـذه المصورات جـزءٌ من خُطَّة إغـراء الكبار بالصغار، أو حتى الصغار بالصغار؛ خُطة ترمي إلى تشويـه الفطرة وتـدمير الأخلاق والآداب المصطَلح عليها في جميع الأديان، بل ولَـدَى من يحتَفِظُ بإنسانيته كإنسان.

وإن انتشار هذه الموضات الخبيثة بين أطفالنا يُنشِئهم على اتباع السبل المنحرفة، حيثُ إن كلَّ مولـودٍ يُولد على الفطرة، ويتحكَّم فيه أبواه.. أضِف إلى ذلك حرمةَ تصوير ما فيه روحٌ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مولودٍ إلا ويُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبواهُ يُهوِّدانِهِ ويُنصِّرانِهِ ويُمَجِّسانِهِ» رواه الأربعة[٢].

وقد ظهرت من ضِمْنِ موضات الأطفال أحذيةٌ ذاتُ كعب بداخله جرس يُصدِر صوتاً أثناء المشي.. بالإضافة إلى ظهور الأشكال المتنوعة والمختلفة من «الخراخيش»، وهي لعبٌ للأطفال تُصدِرُ أصواتاً كالأجراس.. وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن لُعَب الأطفال مباحة إلا ما دَخَل فيها شيء منهي عنه، ومنها تلك الأحذيةُ المذكورة والخراخيش لاحتوائها على الأجـراس، وذلك للأدلَّة التالية:

---

(١) تعرضت لذكـر ذلك في الفصـل الثالث من هـذا البحث، وذلك عنـد بيان «الأضرار النفسية للموضة».

(٢) «التاج الجامع للأصول» المجلد الخامس ـ ص ١٩٦.

«عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا تصحَبُ الملائكةُ رِفقةً فيها كلبٌ ولا جَرَسٌ» رواه الخمسة إلا البخاري.

ودخلت مولاةٌ للزُّبَيْرِ بابنةٍ له على عمَر رضي الله عنه، وفي رجلها أجراس، فقَطَعها عمر وقال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إنَّ مَعَ كلِّ جَرسٍ شيطاناً» رواه أبو داود ومسلم.

ودُخِل على عائشة بجارية وعليها جَلاجِلُ يصوِّتْنَ، فقالت: لا تدخلنَّها عليَّ، إلا أن تَقطَعُوا جَلاجِلَها، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تَدخُلُ الملائكةُ بيتاً فيه جرسٌ» رواه أبو داود بسند صالح.

يقول الشيخ منصور علي ناصف: الجَلاجلُ: جمع جُلْجُل، وهو ما يُعلَّقُ بعُنُقِ الدابة أو برجل الصبي أو ببعض الطيور، وله جَلجَلَة (أي: صوت).

ويقول: الجرسُ مكروه في كل مكان وفي كل زمان، إلا لحاجةٍ إليه لاستدعاءِ الخادم ونحوه، أو للتنبيه به كالمنبهات (أي: ساعات المنبه) التي أُحدِثَت الآن لإيقاظ الناس لصلاتهم وأعمالهم فلا شيءَ فيها» والله أعلم[1].

* * *

الدليل الثاني عشر: الموضة تقليدٌ محرَّم لأعداء الله وتبعيَّةٌ لهم.

يُعتبَرُ تطبيقُ الموضة تنفيذاً للمخطط الإجرامي الذي يستهدف انحلال المرأة لِيَنْحَلَّ على إثرها المجتمعُ بأسره، إذ أن الموضة تجعل المرأة تُمَثِّلُ بأزيائها عدة شخصيات؛ فمرةً تكون خليعةً، ومرةً لا مبالية، ومرة تتحوَّل إلى رجلٍ، ومرةً تُقَلِّدُ الوحوش والبهائم، ومرةً رجعية، ومرةً فوضوية.. إلخ.

وجميع هذه الشخصيات مرفوضة شرعاً بالدرجة الأولى، ومزرية بالمرأة

(١) «التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ص ١٧٨.

من ناحية أخرى، ثم إن في ذلك عبوديةً وتبعيةً لأعداء الله، بل إن فيها تقليداً لهم، وهو تقليدٌ أعمى زائف، إذ أن الأجانب ـ كما أثبتنا في بحثنا ـ لا يهتَمُّون بالموضات التي يصدِّرونها إلينا، ولكنهم يُوهِمُوننا بأنهم يُطبِّقونها، وذلك عن طريق مجلاتهم الخاصة بالأزياء كالبُردة الألمانية وغيرها. . وكسائر المجلَّات الفصلية التي تُوزَّعُ مجاناً وتعطي عنوانها داخل المجلة، ليُرسِلَ إليها من يريد أن يشتري من أزيائها حوالة بريدية بالمبلغ ورقم الثوب ومقاس الشخص، حتى يَجِدَه قد وصل إليه في أسرع وقت.

ولقد قرأتُ ذات مرة إعلاناً في إحدى مجلاتنا عن عنوان لشركة أزياء أجنبية، تناشِدُ الجمهورَ أن يرسِلَ إليها يطلب كتيِّبَها الفصلي للأزياء. . فأحبَبْتُ أن أجرِّب مدى صدقهم في إرسال الكتيبات مجاناً لمن يُريد، وكذلك مدى سرعتهم في الترويج لباطلهم، فأرسلت أطلبُ كتاباً لي ولأختي على العنوان نفسه. . فأرسلوا لنا في مدى أسبوعين تلك الكتبَ. . ولم يهمَّهم أن يرسلوا كتابين لأختين على العنوان نفسِه، مما يَدُل على وَفْرةِ الأموال المرصَدة للترويج للموضة، ثم إنني دُهشت للأسعار الزهيدة المبيَّنة أسفل كل ثوب، مما لا يَفِي بسعر الخامة ولا الخياطة، فأدركتُ أنهم يُشجِّعون على انتشار الموضة الخبيثة، فيتحمَّلون الخسائر المادية في سبيل أن يربَحوا إلى جانبهم امرأةً مسلمة تضيع، فيضيع معها المجتمع والأمة. . وبالطبع لم أشترِ شيئاً، وإنما كنت أهدف إلى ما ذكرت سابقاً، وحققتُ هدفي بالفعل. .

ولكن معظم نسائنا المسلمات، يتسابَقْنَ الآن على شراء تلك الأزياء عن طريق البريد، فَرِحات بثمنها الزهيد، ولا يَدْرِينَ أن هذا الثمن الزهيد سيكلِّفُنا دينَنا الغالي، وخُلُقَنا العالي. . وقد اعتَبَرْنَ ـ جهلاً منهن ـ أن تلك موضات يطبِّقُها الأجانب في ديارهم، فأردن تطبيقها في ديارهن، وفي هذا تقليد أعمى، وأخزى وأضل من كل تقليد. . إذ أنهم يقلِّدون حسب أوهامهن فحسب. . وقد كان رسول الله ﷺ يأمُرُ دائماً بمخالفة أهل الكتب وأهل الشرك في الزي والهيئة والزينة والآداب والعادات. . «وإنَّ الله تعالى ذمَّ التقليدَ،

ونَعى على أهلِه، ووبَّخهم في آيات كثيرة، منها قولُه تعالى بعد الاحتجاج على المشركين وبيان أنه لا حُجَّةَ لهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣ - ٢٥].

فقد احتجَّ على المقلِّدين بأنه يجب عليهم النظر واتباع ما هو أهدى، ولم يعذُرْهُم بالتقليد، فدلَّ على أنه غير مقبولٍ عنده، ولو كان التقليد عذراً لأحدٍ لكان جميعُ الكفار والمشركين معذورين عند الله تعالى في عدم اتباع الحق، بحُجَّةِ أنهم ليس لهم نظر يميزون به بينه وبين الباطل»[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة:

«ومع أن الله حذَّرها سبيلَهم (أي: سبيل اليهود والنصارى)، فقضاؤُه نافذٌ بما أخبر به رسولُه مما سبَقَ في علمه، حيث قال فيما أخرجاه في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخُدْرِي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتَّبِعُنَّ سَنَن مَن كان قَبلَكم حَذْو القُذَّة بالقُذَّةِ، حتى لو دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدَخَلْتُموه» قالوا: يا رسولَ الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟».

وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لا تقومُ الساعة حتى تأخُذَ أُمَّتِي مَأخذَ القرونِ شِبراً بشبرٍ، وذِراعاً بذراعٍ» فقيل: يا رسول الله، كفارسَ والرومِ؟ قال: «ومَنِ الناسُ إلا أولئك؟».

(١) «الوحدة الإسلامية والأخوّة الدينية» لمحمد رشيد رضا، ص ٤٦.

فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاةٌ لليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم، وهم الأعاجم.

وقد كان ﷺ يَنهى عن التشبُّه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة، بل قد تواتَرَ عنه أنه قال: «لا تَزَالُ طائفةٌ من أُمَّتِي ظاهِرَةً على الحقِّ حتى تَقُومَ الساعةُ».

فعُلم بخبره الصدق أنْ لا بُدَّ من أن يكون في أمته قوم متمسكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً، وقومٌ مُنحَرِفُون إلى شعبة من شعب اليهود، أو إلى شعبة من شعب النصارى.. وهذا الانحرافُ أمر تتقاضاه الطِّباع، ويُزيِّنُه الشيطان، فلذلك أُمِر العبدُ بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهوديَّة فيها ولا نصرانيَّةَ أصلاً»[1].

كما يقول أيضاً:

«إن الصراطَ المستقيم هو أمورٌ باطنة في القلب: من اعتقاداتٍ وإراداتٍ وغير ذلك، وأمورٌ ظاهرة: من أقوال وأفعال؛ قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات: في الطعام واللباس والنكاح.. إلخ.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ـ ولا بُدَّ ـ ارتباطٌ ومناسبة، فإن ما يقومُ بالقلب من الشعور والحال يُوجِب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً[2].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٦.

(٢) في هذا القول حجة على كل من يدَّعي أن طهارة القلب وسلامة النية يغنيان عن التمسك بالمظاهر الدينية (كالحجاب، وثوب الرجل المسلم، وإعفائه للحيته، وغير ذلك من الأمور).. لأن شريعتنا ظاهر وباطن معاً، وليس القلب قبراً للإيمان يُدفن فيه ولا يظهر على صاحبه آثارُه.

وقد بَعَثَ اللّهُ عبدَه ورسوله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنَّته، وهي الشِّرعة والمنهاج الذي شَرَعه له.

وإن من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يُبايِنُ سبيلَ المغضوب عليهم (اليهود)، والضالِّين (النصارى)، وأمر بمخالفتهم في الهَدْي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدةٌ، لأمورٍ منها:

أن المشاركة في الهَدْي الظاهر تورِثُ تناسباً وتشاكُلاً بين المتشابهين يقودُ إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس.. فإن اللابسَ لثياب أهل العلم ـ مثلاً ـ يجدُ من نفسِه نوعَ انضمامٍ إليهم.. واللابس لثياب الجند المقاتلة ـ مثلاً ـ يجدُ في نفسه نوعَ تخلُّق بـأخلاقهم، ويصيـرُ طبعُه مقتضياً لذلك، إلا أنْ يَمنَعَه من ذلك مانع.

ومنها: أن مشاركتهم في الهـدي الظاهـر توجبُ الاختـلاط الظاهـر، فيرتفع التميزُ بين المهديين المـرضيين، وبين المغضوب عليهم والضـالِّين (أي: حتى تزولَ وتذوبَ الفوارق فيما بينهما، فلا نكادُ نميِّزُ بين أهل الهدى والرضا وبين الكفار).. هذا إذا لم يكن ذلك الهَدْيُ الظاهر إلا مباحاً، فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الجاثية: ١٦ ـ ١٩].

أخبر سبحانه أنه أنعَمَ على بني إسرائيل بنِعَمِ الدين والدنيـا، وأنهم اختلفوا بعد مجيءِ العلم بغياً من بعضهم على بعض، ثم جَعل محمداً ﷺ على شريعةٍ من الأمر شَرَعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذي لا يعلمون. . وقد دخل في الذين لا يعلَمُون كلٌّ من خالف شريعته.

وأهواؤهم: هي كل ما يَهوُونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يَهْوُونَه، وموافقتهم فيه اتِّباعٌ لما يهوونه»[1].

ويقول فضيلة الشيخ علي محفوظ: «إن مما ابتُلِي به المسلمون وفشا بين الخاصة والعامة في هذا الزمان تقليدَ الأجانب في كثير من عاداتهم، من غير تمييز بين النافع منهـا والضار، وسببُ هـذا ما يَـرَوْنَه من قـوة الأجنبي وضعفهم. وتلك سنة الله تعالى في أمةٍ أهمَلَتْ أمرَ دينها، واتبعت أهواءَها حتى ذهبت ريحُها وضَعُفت قوتُها، فذلَّت واستكانَت.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يكرَهُ موافقة الأجـانب في كل أحـوالهم حتى قالت اليهود: إن محمداً يُرِيدُ أن لا يَدَعَ من أمرنا شيئاً إلا خالَفَنا فيه.

وكان يقول: «من تشبَّه بقومٍ فهُو منهم» رواه أبو داود من حديث ابن عمر.

وكان أيضاً يقول: «ليسَ مِنَّا مَن تشبَّه بغيرِنا» رواه الترمذي.

ويا ويلَ مَنْ تبرَّأ منه الحبيبُ المصطفى، وذلك لا شك يُفيدُ حرمةَ تقليد المسلمين للأجانب فيما هو من خصائصهم.

ولذا كان عمـر رضي الله عنه يـوصي قوَّاده الفـاتحين لبلاد الأعـاجم وعمّاله فيهـا بالمحـافظة على عـادات العرب وزيِّهـا، وينهاهم عن التشبُّـه

---

(١) «اقتضـاء الصـراط المستقيم في مخـالفـة أصحـاب الجحيم» ص ١١ ـ ١٤ باختصار.

بالأعاجم في عـاداتهم وملابسهم لتَبْقَى الأمـةُ العربيـة متميزةً عن الأجـانب بعاداتها وأزيائها، وكل ما يحفظ قوميَّتها»[1].

كم هو غريبٌ من أمتنا الإسلامية التي هي خير أمة أُخرجت للناس أن تَتَّبعَ في أزيائها وعاداتها أمما أدنى منها شأناً عند الله ـ وإن بَدَت في ظاهرها الدنيوي أقوى نظراً لانحرافنا عن ديننا ـ وهذا مَثَلُ مَن يستَبدِلُ الذي هو أدنى بالذي هـو خير. . وإنـه من العجيب أن نكون نحن المقلِّدين لهم، بينمـا يستوجب الاعتقاد السليم أن يكونوا هم المقلِّدين لنا. . وفي عمل المقلدين أبلغُ الدِّلالة على الارتكاس والتردي الذين سَقَطوا فيه من جَرَّاء ذلك.

يقول الأستاذ أنور الجندي:

«ومن تحديات الزي والزينة تلك المحاولات التي سَقَطَ في تبعيتها عددُ كبير من الشباب المسلم؛ تلك هي سوالفُ الخنافس، وهي تقليدٌ رديء، ومتابعة بَلْهاء لصورة عُرِفت على مدى التاريخ بأنها يهودية الهوية، وقد كان أول من فُرضت عليه سوالف الخنافس جماعة اليهود الأَسرى المطرودين إلى بابل، فقد أراد بختنصّر ملك بابل عام ٥٨٧ قبل الميلاد أن يجعل لهم علامةً فارقة يَعرِفُهم بها الناس، فأمرهم أن يُطِيلوا سوالِفَهم، وألزمهم بهذا التقليد، وبدأ حاخاماتُ اليهـود يكتُبون التلمـود، فسجَّلوا فيه عـادة إطالـة السوالف وجَعَلُوها شَعِيرةً من شعائرهم الدينية، ثم ظهر بعد نكسة ١٩٦٧ م توّاً ممثل يهـودي اسمه «دافيـد» في روايـةٍ من روايـات السينمـا التي تُشـرف عليهـا الصهيونية في هوليود (بأمريكا)، وهو بسوالفَ طويلةٍ، لأنـه كان يمثـل دور يهودي متدين. . وبدأ التقليد.

وقد أعلن كثيرٌ من الباحثين والعلماء أن شعور الرجال المرسلة تناقض

---

(١) «هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة» ص ٤٥٢.

روح اليقظة والتأهُّب، وأن محاولة تقليد هذا النموذج من شأنه أن يَبُثَّ روح الهزيمة في الأمم المجاهدة»(1).

وتحضُرُني قصة واقعية أودُّ أن أَسرُدَها عن إحدى المقلدات.. وهي معيدة جامعية بكلية علمية.. وقد فاجأتنا هذه المعيدة ذات البشرة السمراء، والشعر الأسود، بأنها قَدِمَت علينا ذات يوم وقد صَبَغَتْ شعَرها بلون ذهبي!.

ثم أخذت تتحدَّثُ عن سرٍّ صباغتها لشعرها بهذا اللون، والذي لا يناسبُ سوى البيضاوات.. فذَكَرَتْ أن لها أخاً يعمَل في أوروبا، وقد تزوَّج هناك بفتاةٍ أوروبية.. فلما أراد أن يَزُورَ مَسقِطَ رأسه مصطحباً معه زوجته.. سارعت أختُه (المعيدة) بصبغَ شعرها باللون الذهبي، لأنه هو اللون السائد في شعر الأوروبيات، وذلك لئلاَّ تَبْدُوَ أقلَّ جمالاً وجاذبية ومدنية من زوجة أخيها.. وفاتَ تلك المعيدة أن من السمراوات من هنَّ أشد جاذبية وجمالاً من الشقراوات.. وأن الجمال لا تَحُدُّه الأصباغ والألوان، بل وفاتها أن لون الشعر الذهبي لا يناسِبُها مطلقاً، بل يجعل من شكلها أضحوكة وذلك لسُمْرة بشرتها.

وعندما ذَهَبَتْ هذه المعيدةُ إلى المطار برفقة زوجها لاستقبال أخيها وزوجته، فوجِئت بالعروس الأوروبية ـ وهي تتقدَّمُ نحوهم بصحبة أخِ المعيدة ـ وقد ارتَدَتْ ثياباً فَضْفاضة طويلة محتشمة، وتغطِّي رأسها بخمار فلا تُبْدِي من شعرها الذهبي (الحقيقي) شيئاً.

فصُعِقَت معيدتُنا العربية المحسوبة على العرب والمسلمين ـ وهي بعيدة عن تقاليد العرب وتعاليم المسلمين بُعدَ المشرِقَيْنِ ـ وفوجئت بتلك الأوروبية وهي تطبِّقُ الإسلام ـ أباً عن جدٍ ـ كما فهِمَتْه، وتبدو بصورة معاكسة من أخت زوجها، التي كانت حاسرةَ الرأس، قصيرةَ الثياب، متبرجة الهيئة!.

---

(1) «التحديات في وجه المرأة المسلمة» ص ٦٦ ـ ٦٧ باختصار.

وبَلغ السيل الزُّبَى بعدما استضافت المعيدةُ أخاها وزوجته في بيتها، وذلك عندما رأتِ العروسَ الأُوروبية تسارِعُ إلى الوضوء والصلاة كلما طَرَقَ صوتُ الأذان مسامعَها، وتقول لمن حولها: الصلاةَ.. الصلاةَ!.

بينما تَغُطُّ معيدتنا في نوم عميق، أو تتشاغل بأي عمل لتُخفيَ عارَ تركها للصلاة في ديار المسلمين.. فما كان من زوجها إلا أنِ استَقْبَحَ أفعال زوجته، وبَدَتْ له وكأنها حيوان؛ لا همَّ لها إلا الأكل والشرب واللهو فحسب! فعاتَبَها مقارِناً لها بعروس أخيها، ومتحسِّراً لعدم قدرته السيطرةَ عليها، وإلزامها بشؤون دينها كما يفعَلُ أخوها مع زوجته الأوروبية.

فما كان من تلك المعيدة إلا أن طَرَدَتْ أخاها وزوجتَه المؤمنة من بيتها قائلة: إنكما ستخربان بيتي، فاختارا لكما مكاناً آخر لتقيما فيه!.

ثم أخذت تعدِّدُ لنا بعدَ ذلك كم خَسِرَتْ من الأموال التي كانت تدَّخرها في عمل ديكورات أوروبية لبيتها.. وفي صَبْغِ شعرها وفَرْدِه، واقتناء مجموعة كبيرة من الثياب الأوروبية المستوردة حتى تتفوَّقَ على زوجة أخيها، والتي تفوَّقت هي عليها في الحقيقة خَلقاً وخُلُقاً.

وإن في هذه القصة الواقعية لعبرةً لكل مقلِّدةٍ تافهة تتصرف بدون عقل ولا تفكير.

هَدْيُ الإسلام في اللباس

إن الإسلام في هَدْيِه يدعُو إلى أن يكون المسلم حسنَ الهيئة، نظيفَ الثياب، ساتراً للعورة[1].

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

وقد كرَّم الله تعالى بني آدم فأنزل عليهم لباساً يُوارِي عوراتِهم، ويَستُرُ سوآتِهم.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ ﴾ [سورة النحل: ٨١]. والسرابيل: هي الثياب.

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتانا النبيُّ ﷺ، فرأى رجلاً شَعِثاً قد تفرَّق شعرُه، فقال: «أَمَا كانَ هذا يَجِدُ ما يُسكِّن به شعرَه؟».

---

(١) سبق أن تعرضنا لستر العورة في الفصل الرابع من هذا البحث، تحت عنوان «الموضة تبرُّج محرم»، وبينّا أنه يجب على المسلمة أن ترتدي الحجاب أمام الرجال الأجانب، فيرجع إليه.

ورأى رجلاً آخرَ عليه ثيابٌ وسِخَة فقال: «أما كان هذا يَجِدُ ما يَغسِلُ به ثوبَه»[1].

شِعِثاً: أي تفرَّق شعر رأسه.
وَسِخة: أي غير نظيفة.

وعن أبي الأحوص، عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في ثوبٍ دونٍ، فقال: «ألكَ مالٌ؟» قلت: نعم. قال: «مِن أيِّ المالِ؟». قلت: من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: «فإذا آتاكَ اللّهَ مالاً فَلْيُرَ أثرُ نعمةِ الله عليك وكرامتِه».

رواهما أبو داود والنسائي بسندين صالحين[2].

ولكن الإسلام يربأُ بالمرء أن تستعبِدَه المادة من مَلبَسٍ ومأكل ومشرب وغير ذلك.. وينأى بنا عن أن تكون الحياةُ الدنيا بزينتها وزخارفها هي أكبرَ همِّنا، ومبلغَ علمنا.. ولهذا سِرٌّ كبير لا يُدرِكُه إلا المتأمِّل لكتاب الله.. والمتتبِّعُ لسنة رسوله ﷺ، وقد سبق أن ذكرنا طرفاً من ذلك في بحثِنا هذا.

ومن أجل ذلك وَجَب علينا التوقِّي والحرصُ الشديد عند اختيار الثياب.. فلا يَنْبَغِي أن نتجاوَزَ الحدَّ الشرعيَّ بالإسراف والتبذير.

وعلى المرأة أن تَنتقِي من الثياب ومن أدوات الزينة ما يَلزَمُها، وما يناسب شخصيتها، ويُجمِّلُها في عين زوجها، لا في أعين الرجال الأجانب عنها.. فلا يكون همُّها تتبُّعَ الموضات، وتكديسَ الأزياء مما هي في غِنىً عنه، وإلا كانت من ألدِّ أعداءِ دينها ووطنها ونفسِها، خاصةً بعد أن عرفت من خلال بحثنا هذا ماهيَّة الموضة، والأهداف التي يهدفُ إليها مُنشِئوها.. وكذلك الحال بالنسبة للرجال.

---

(١)، (٢) «التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٦٢.

وعلى المسلم والمسلمة أن يتجنَّبا ما حرَّم اللّهُ من لباس على كِلَا الجنسين. . ومن ذلك ما يُشبه لباس الكفار، وزي الرهبان، وثياب الشهرة.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأى عليَّ النبي ﷺ ثوبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فقال: «إنَّ هٰذِهِ من ثيابِ الكفَّار».

وفي رواية: فقال: «أمُّك أَمَرَتْك بهذا؟» قلت: أَغسِلُهما؟ قال: «بل احرِقْهُما» رواه مسلم والنسائي[1].

كما يحرُمُ لبس ثياب الشهرة، وهي كما يقولُ شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتُكرَهُ الشُّهرةُ من الثياب وهو المترفِّعُ عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة»[2].

ويقول ﷺ: «مَن لَبِسَ ثوبَ شُهرةٍ، أَلبَسَهُ اللّهُ يومَ القيامة ثوباً مثلَه ثم تُلهَبُ فيه النارُ» رواه أبو داود والنسائي.

وفي رواية: «ألبَسَهُ اللّهُ ثوبَ مذلةٍ يومَ القيامةِ»[3].

وثوب الشهرة: هو ما خَالَفَ لونُه ثيابَ الناس، أو كان مرقَّعاً عن عمدٍ، فيَزْهُو لابسُه ويختالُ على الناس تظاهراً لهم بزهده. . أما إذا كان مرقَّعاً بسبب فقر صاحبه فليس بشهرة.

ومن الثياب التي تحرُمُ على كلا الجنسين هي أن يلبس الرجال كثياب النساء، وأن تَلبَس النساءُ كثياب الرجال. . وقد سبَق ذكرُ الدليل على ذلك في الفصل الرابع من البحث.

كما أن هناك ثيابٌ تَحرُم على الرجال دون النساء: مثل الملابس الحريرية.

---

(١) «التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٥٦.

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية، المجلد ٢٢ ـ ص ١٣٨.

(٣) «التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٥٤.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «حُرِّم لباسُ الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأُحِلَّ لإناثِهم» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

وهكذا نَرى أن هناك من الثياب ما هو خير وبركة، وإن منها ما هو شرٌّ ونقمة، ولذا كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوباً ـ سمَّاه باسمه: عِمامة، أو قميصاً، أو رداء ـ يقول: «اللهمَّ لك الحمدُ، أنت كسَوْتَنِيه، أسأَلُك خيرَه وخيرَ ما صُنِع له، وأعوذُ بك من شرِّه وشرِّ ما صُنِع له» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن[2].

أي: أن رسول الله ﷺ كان إذا لَبِس ثوباً جديداً دعا بذلك الدعاء.

كما أنه من المستحب أن يَحمَدَ الله ربَّه عندما يلبَسُ ثيابَه عموماً.

فعن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أكلَ طعاماً ثم قال: الحمدُ لِلَّهِ الذي أَطْعَمَنِي هذا الطعامَ، ورَزَقَنِيهِ من غيرِ حَوْلٍ مني ولا قُوةٍ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ».

قال: «ومن لَبِس ثوباً فقال: الحمدُ لِلَّهِ الذي كساني هذا الثوبَ ورَزَقَنِيهِ من غيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ، غُفِر له ما تقدَّم من ذَنبِهِ وما تأخَّر» رواه أبو داود والترمذي بسند حسن[3].

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدُهم ثوباً جديداً قيل له: تُبلي ويَخلُفُ الله تعالى. رواه أصحاب السنن بسند صحيح[4].

تُبلي، من البلاء: أي: تعيشُ حتى تبليَه ويعطيك ربُّك غيره..

---

(١) «رياض الصالحين»: باب تحريم لباس الحرير على الرجال، ص ٣١٣.
(٢) «رياض الصالحين»: باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً أو نعلاً أو نحوه، ص ٣١٥.
(٣)، (٤) «التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

فتأمَّلوا كيف كان أصحابُ رسول الله، بل ورسول الله ﷺ الَّذي قال لأمِّ خالد وقد كساها ثوباً: «أَبلِي وأَخلِقي»[1].

تأمَّلوا كيف كانت ألفاظُهم وعباراتُهم.. وليس كما يقول عامة الناس عندنا إذا أعجبهم ملبوسٌ على أحدٍ، أو يَرَوْنَ عليه ثوباً جديداً، فنجدهم يقولون عكس ما وَرَد تماماً، وهو «ليته ما يَبْلى»!!.

وكأنهم يدعون على صاحب الثوب بالموت، وللثوب بالبقاء!.

وأخيراً.. نذكر لأَتباعِ الموضة هذا الحديث النبوي الشريف:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذ رسولُ الله ﷺ بمنكِبيَّ فقال: «كن في الدنيا كأنَّك غريبٌ، أو عابِرُ سبيلٍ».. وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ، وإذا أصبحت فلا تنتظرِ المساءَ، وخُذ من صِحَّتِكَ لمرضك، ومن حياتِك لموتك. رواه البخاري[2].

فهل ـ بالله ـ كان المتموِّضُ أو المتموِّضةُ اللذان يشتَرِيان اليوم شيئاً، ثم يُلقِيانه بعيداً لشراءِ غيره غداً، سواء لَزِم ذلك الشيءُ أم لم يَلْزَمْ، هل كانا كعابرِ السبيل الذي لا يأخُذُ معه في سَفَرِه إلا ما يحتاجُ إليه من المتاع؟!!.

تمَّ الكتاب والحمد لله ربّ العالمين

---

(١) التاج الجامع للأصول» المجلد الثالث ـ ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) «رياض الصالحين»: باب ذكر الموت وقصر الأمل، ص ٢٣٦.

محتويات الكتاب

المقدمة ٣

الفصل الأول: حقيقة الموضة ١١

نشأة الموضة ١٣

المستفيدون من الموضة ١٧

الفصل الثاني: أهداف الموضة ١٩

الهدف الأول من إنشاء الموضة ١٩

الهدف الثاني من إنشاء الموضة ٣٤

الفصل الثالث: أثر الموضة على الأسرة والمجتمع ٥١

١ ـ انتشار جاهلية الجنس ٥٦

٢ ـ الموضة تؤدي إلى الاختلاط بأضراره وأخطاره ٥٨

٣ ـ تهدُّم الأمم واندثار الحضارات والاستسلام للأعداء ٦٤

٤ ـ الأضرار الصحية للموضة والتبرج والاختلاط ٦٨

٥ ـ الأضرار النفسية للموضة ٧٥

٦ ـ الموضة هدم للمجتمع الإسلامي، ومحو للشخصية الإسلامية ٨٤

٧ ـ الأضرار الاقتصادية للموضة ٨٧

٨ ـ الموضة مسخٌ وتردٍّ في هاوية التقليد الأعمى للكفرة ٩٦

٩ ـ التبرج والاختلاط والموضة كلها تؤدي إلى انعدام القيم الإنسانية النبيلة ١٠١

الفصل الرابع: حُكم الإسلام في الموضة ١٠٥
الأدلة الشرعية على حرمة الموضة ١٠٦
الدليل الأول: الموضة بدعة ١٠٦
الدليل الثاني: الموضة ضرر وضرار ١٠٨
الدليل الثالث: الموضة إسراف وتبذير ١١٢
الدليل الرابع: الموضة عبودية لغير الله ١٢٠
الدليل الخامس: الموضة تولِّد الحقد أو التكبر أو الحسد بين الناس ١٢٢
- ما هو الفرق في طول ذيل الثوب عند الرجل والمرأة ١٢٣
الدليل السادس: الموضة تؤدي إلى هضم الحقوق الزوجية ١٢٦
الدليل السابع: تؤدي الموضة إلى تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال ١٢٩
الدليل الثامن: الموضة تبرُّج محرَّم ١٣٣
الدليل التاسع: الموضة تغيير لخلق الله تعالى ١٤٢
الدليل العاشر: تؤدي الموضة إلى الاختلاط المرفوض شرعاً ١٤٧
الدليل الحادي عشر: الموضة تخالف سنن الفطرة ١٥٣
الدليل الثاني عشر: الموضة تقليد محرَّم لأعداء الله وتبعية لهم ١٥٩
الخاتمة: هَدْي الإسلام في اللباس ١٦٩
محتويات الكتاب ١٧٥